بحوث ورسائل علمية

الامام المجدد السيد محمد ماضي ابوالعزائم
مسجده وضريحه ومكتبته العلمية بالقاهرة
ومشيخة الطريقة العزمية
السيدة زينب تقاطع شارع مجلس الشعب مع تقاطع شارع بورسعيد

تليفون المكتبة 002 022 3901030

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــــــــة

الحمـــد لله الظاهـــر لعيـــون السر تنزلاً إحسانيًّا. القريب لقريب، المجيب لمجيب. تجلي سبحانـــه بمعاني صفاته العلية، فحجبت أنوار تجليه الآيـــات في الكائنات حتى أشرقت علي أفق اللطائف شمس (فأينما تولوا فثم وجـــه الله) واجـــه أحبابـــه سبحانـــه بجماله المقدس أن تحلوا، فتأهلوا لجناب القدس الأعلى، فلمعت عليهـــم لوامع العظموت والجلال، فصعقوا رهبـــة، وغابوا به سبحانـــه عنهـــم رغبـــة، فأنسهـــم بعواطف وده، وسقاهـــم من طهور حبـــه، فأحاطت بهـــم الأنوار بعـــد سلب الظلال، وأسمع آذان قلوبهـــم (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهـــم اللائكـــة) وروَّحهـــم بريحان (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) فصار همهم هما واحداً في الله تعالي، وأقبل بهم سبحانـــه عليهـــم، فهم مواجهـــون لقدس الجبروت، والجميل الولي الرءوف اللطيف القريب مواجههـــم، فهـــم الروحانيـــون في الهياكل الإنسانية، أجسامهـــم في الأرض، وقلوبهـــم بالرفيق الأعلى.

والصلاة والسلام علي سدرة منتهي علوم الخلائق، سبحانه الوجـــه العلى، وشمس الهداية الرءوف الرحيـــم، ذي الخلق العظيم، وآله بدور الدلالة، وورثتـــه الأنجم الزاهرة، سرج الدنيا، ومصابيح الآخرة، ورضي الله تبارك وتعالي عن عالم الأولياء، وولي العلماء، إمام هذا العصر، وحجة هذا الزمـــان، الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبي العزائم الذي ترجـــم عن حقيقية مكانتـــه ورتبته قائلاً رضي الله عنـــه.

تحققت لما أن شهـــدت حقيقتـــــــــــي	هي الحيطـــة الكبرى لرمز هويتـــــي
وعاينت في مجلي الكمالات وإلبهـــا	جمالاً تجلي عند سلبي لصورتـــــــي
وأيقنت لما لاح لي بدر شرعتـــــــي	مضيئاً لأرجائي بسر شريعتـــــــــــــي
سمعت لدي المجل خطايا مقدســـــاً	يشيـــر بأني عبد ذات الحقيقيـــــــــة
وأن جميع الكـــون شرقا ومغربـــــاً	بسري بدأ في غيبتي وشهادتـــــــــي
ولا شيء إلا هو هن حسن ذاتيـــــا	وكل الذي ترآه زينـــة بهجتـــــــــي

ونضر الله وجه الإمام الممتحن السيد أحمد ماضي أبي العزائم،وأنار الله روضة الإمام السيد عز الدين ماضي أبي العزائم.. اللهم ثبتنا في معيتهم، واحشرنا في زمرتهم،آمين

أما بعد:

فتقــدم (دار الكتاب الصوفي) التابعــة لمشيخــة الطريقة العزميــة الطبعة الأولي من كتاب: (بحوث ورسائــل علمية عن الإمام المجــدد السيد محمد ماضي أبي العزائم).. وذلك بمناسبة ذكري مولده رضي الله عنــه، والتي يحتفي بها في السابع والعشرين من شهر رجب كل عام. ويأتي إصدار هذا الكتاب الهام، تحقيقاً لمطلب طالماً أشتاق إليه الكثيرون من تلاميذ الإمام المجــدد ومحبيــه وعارفي فضلــه.. كما تكمن أهمي هذا الكتاب فيما يلي:

أولاً: إنه يعــد أول كتاب تصدره مشيخــة الطريقــة العزميــة عن الإمام المجــدد أبي العزائم رضي الله عنه يتناول نشأته وحياته وسيرته ومنهجــه وخصائص دعوتــه.. خا صة بعــد مضي ما يزيد علي مائــة عام علي تأسيس دعــوة آل العزائــم.

ومن المعلوم أنه قــد صدرت عدة مؤلفات في السنوات الماضية تتناول حياة الإمام المجــدد رضي الله عنه.. وهذه الكتب بالترتيب هــي:

١- كتاب الطريقة العزمــية.. وصدر عام ١٣٢٨هــ.

٢- كتاب الإمام محمد ماضي أبو العزائم (حياتــه - جهــاده - آثاره) وصدر عام ١٩٧٠م

٣- كتاب الإمام أبو العزائم كما قدَّم نفســه للمسلمين.. وصدر عام ١٩٨١م

٤- كتاب أبو العزائم وأثره في التصوف المعاصر.. وصدر عام ١٩٨٣م

٥- كتاب الإمام أبو العزائم المجــدد الصوف.. وصدر عام ١٩٩٠م

٦- كتاب الإمام محمد ماضي أبو العزائم صفحــات من حياتــه.. وصدر عــام ١٩٩٦.

ومع تقديرنا للجهــد المبذول في تلك المؤلفات.. إلا أنها لم تقدم الإمام المجدد أبا العزائم كإمام للعصر، ومجــدد للزمــان، فمعظم تلك المؤلفات تنازلت جانباً أو عدة حوانب من حياة الإمام المجــدد فقط، أو ركزت علي الجانب الصوفي عند الإمام المجــدد فقط،، ولم تنجح في إبراز وسطية وشمولية وتجديدية وعالمية دعــوة الإمام المجــدد رضي الله عنه.. وأثره علي الحياة الإسلامية في عصره.

وللإنصاف يعتبر كتاب: الإمام محمــد ماضي أبي العزائم (حياته - جهــاده - آثاره) من أبرز تلك المؤلفات.. ذلك لأن مؤلفــه الأستاذ/ عبد المنعــم شقرف المحامي حاول قدر المستطاع، وعلي قدرة ما أتيــح له من آثار عملية للإمام المجــدد - حاول - إبراز الجوانب الجهادية الإمام المجــدد، وإظهار.

آرائـــــه في بعض القضايا الإقليمية والعالميـــة.

- إذن - فقد كان من الأهمية بمكان، أن تتولى مشيخـــة الطريقة العزميـــة هذه المهـــة، باعتبارها القائمة علي نشر دعــوة الإمام المجـــدد رضي الله عنـــه.

ثانياً: إن هذا الكتاب الذي بين أيدينا، يمثل أحد محاور الكتابة عن الإمام المجـــدد رضي الله عنه، ذلك أننا أن نري أن الكتابة عن الإمام المجـــدد أبي العزائم رضي الله عنه، لا بد وأن تشمل ثلاثة محاور هـــي:

المحـــور الأول: يتناول ما كتب عن الإمام المجـــدد في الرسائل والبحوث الجامعيـــة.

المـــحول الثاني: يتناول السيرة الذاتية للإمام المجـــدد من المولد حتى الانتقال.

المحور الثالث: يتناول الجامعـــة العزميـــة (منهجها ورجالهـــا)

ثالثاً: إن هذا الكتاب يعتبر محاولة منا لرفع المظلمة التاريخيـــة التي تعرض لها الإمام المجـــدد أبا العزائم رضي الله عنه.. ذلك لأن وسائل الأعلام المسموعـــة والمرئية والمكتوبة قد تجاهلت للأسف الشديد حياة الإمام المجـــدد رضي الله عنه وتاريخـــه المجيـــد الحافل بالجهاد في سبيل الدين والوطن والأمـــة، وفي الوقت الذي فتحت فيه ابوابها أمام النكرات والمجاهيل من علماء السلطة والسبب في ذلك.. يكمن في عظمـــة الدور الجهادي الذي قام به الإمام الجدد رضي الله عنه،وخطورة هذا الدور، وأثره في إيقاظ الهمم، وإيجـــاد صحـــوة حقيقية إذا ظهـــر في الوسائل الإعلامية، فكان ولا بد أن يتولى أبناء وتلاميذ الإمام المجـــدد مهمـــة رفع المظلمـــة التاريخيـــة عنه.. وإظهار أنواره وأسراره وأثاره.

رابعـــاً: إننا أثرتا أن يكون هذا الكتاب الذي حوي رسائل وبحوثاً جامعيـــة عن الإمام المجـــدد أبي العزائم هو أول ما يصدر عن مشيخـــة الطريقة العزمية بخصوص حياة الإمام المجـــدد وسيرتـــه ومنهجـــه.. وذلك لأن الكتاب يحوى دراسات ورسائل وبحوث جامعيـــة أكاديمية متخصصة، لا مجال فيها للمجاملة، أو التحيز، أو التعصب ثم إن هذه الدراسات الجامعيـــة قد تناولت بالفعل آثار الإمام المجـــدد وأفكاره بطريقة علمية منهجيـــة لا بد أن نعلمها ونتعود عليها حتى نستطيع دائماً تقديم أفكار الإمام المجـــدد بطريقة أفضل، كما أن الكتاب بهذه الصورة سيكون أفضل وسيلة للتعريف بالإمام المجـــدد رضي الله عنـــه.

- إذن - فكل هذه الأسباب مجتمعة مشيخـــة الطريقة العزمية إلي إصدار هذا الكتاب الهام، ولقد روعي عند أعداد هذا الكتاب الالتزام بمنهج وأضح، يتيح الاستفادة بأقصى درجة من هذه الرسائل والبحوث العلمية وكان خطناً في أعداد هذا الكتاب كما يلي: -

١- قدمت هذه الرسائـــل في هذا الكتاب مرتبـــه علي أساس أسبقيـــة تقديمها للجامعة، وتاريخ الحصول علي الدرجـــة العلميـــة.

٢- بلغ عدد صفحات تلك الرسائل ما يقرب من ألف صفحة، اختصرت إلي هذا الكتاب الذي بين أيدينا

٣- التزامنا في إعداد مختصر هذه الرسائل والبحوث، بألا يكون الاختصار مخلاً بالهدف من الرسالة، ولم نتدخل إطلاقاً في أسلوب الباحثين، وعرضنا كافة أبواب وفصول ومباحث هذه الرسائل جميعها.

٤- روعي تماماً في أعداد هذا المختصر لتلك الرسائل التركيز علي ما ذكر عن الإمام المجـــدد أبي العزائم رضي الله عنه من آراء، أو تحليل لمنهجـــة، وذلك لأن هذا الهدف هو مقصدناً من إخراج هذا الكتاب وإصداره.وبنظرة فاحصة مجملة لهذه الرسائل يتضح لنا ما يلي:

الرسالة الأولـــي: تحت عنوان (منهـــج التربية عند الإمام المجـــدد السيد محمد ماضي أبي العزائم) للدكتور / محمد يوسف حمودة.. الأستاذ بكلية أصول الدين.. وهذه الرسالة تعتب من وجهة نظرناً أعمق هذه الرسائل، لأنها قدمت شرحاً كاملا، وغير مسبوق، لمنهج التربية عند الإمام المجـــدد رضي الله عنه.. وهذا يرجع لكون صاحبها أحـــد الذين تربوا علي مائدة الإمام المجـــدد، وأحد الذين نهلوا من محيطـــه العلمي والمعرفي.

الرسالة الثانيـة:

تحت عنوان (النثر الصوفي عند كتاب مصر المحدثين) للباحث / أحمد يسري عبد الونيس العزباوي.. وأحب أن أشير إلي أن اختصاص هذه الرسالة كان صعباً للغاية.. ذلك لأن الباحث أجري دراسة مقارنـــة في النثر الصوفي الحديث بين الإمام المجـــدد ابي العزائم. وأخرين وهم (الشيخ يوسف الدجـــوي – الشيخ توفيق البكري _ الشيخ العنيمي التفتازاني من عاصروا الإمام المجدد رضي الله عنه (ولكننا قدمنا في مختصر هذه الرسالة ما ذكره الباحث عن الإمام المجـــدد أبي العزائم من تحليل ودراسة نقدية وعرض لآرائـــه وكتبـــه ورواياته وحكمـــه ورسائلـــه وخطبـــه ومقالاتـــه.

وأحب أن أوكـــد أن اقتصارناً في مختصر هذه الرسالة علي الإمام المجـــدد فقط، لم يكن تقليلاً لأدوار الآخرين، أو إنكارا لهـــم.. وإنما لأن موضوع كتابنا هذا يدور حول ما كتب عن الإمام المجـــدد من بحوث علمية ورسائل جامعيـــة.

وأشهـــد بحق أن ما كتبه الباحث / أحمـــد يسري العزباوي، بعـــد إضافة جديدة في مجال تحليل آراء الإمام المجـــدد رضي الله عنه حيث قدم تحليلاً رائعاً لرواية محكمة الصلح الكبري علي وجـــه الخصوص، وأعتبر الباحث تلك الراوية مظهرًا من مظاهر التجديد عنـــد الإمام أبي العزائم رضي الله عنه، وقرر بأن الإمام المجـــدد هو أول من أدخل هذا الفن الأدبي في الأدب الصوفي.

كما قدم الباحث العديـــد من الرسائل الإخوانية التي لم تنشر من قبل، والتي وجهها الإمام المجـــدد رضي الله عنه لمريديـــه ومعاصريـــه من العلماء والمشايـــخ ورجال الحكومة والزعماء والملوك.

أم الرسالة الثالثـــة: فهي رسالة ماجستير تحت عنوان (آثار الإمام محمد ماضي أبي العزائم الشعرية) للباحث / سري محمد حسن.. وهذه الرسالة تعتبر رسالة متخصصة في مواجيـــد الإمام المجدد أبي العزائم رضي الله عنـــه. ولا ريب أن مهمة الباحث كانت غاية في الصعوبة، ولكن الذي نحب أن نلفت النظر إليـــه، هو أن الباحث في هذه الرسالة قد تناول ظاهر مواجيـــد الإمـــام المجـــدد، ولم تكن مهمته تناول معانيها وبواطنها وأسرارها،وظاهر المواجيـــد لابد أن يخضع للدراسات النقية واللغوية، ولنفس المقاييس التي يخضع لها الشعر العربـــي عامـــة.. مع أن التسليم بأن مواجيـــد الأمام المجـــدد إلهامية عرفانية كما أثبت الباحث، وكما قال الإمـــام المجـــدد.

ليس شعراً ما قلت حال شهـــودي   بل هو الخمر يحتسي في الوجـــود

وعموماً فإن دراســـة ظاهر المواجيـــد من خلال هذه الرسالة أثبت أنها حوت الجديد من الأفكار والموضوعات التي لم يعهدها هذا اللون من التعبير في الأدب العربي.

ولا ريب أن ديوان الإمام المجـــدد أبي العزائم، يحتاج إلي عدة رسائل تتجـــه لشرح أسراره وبواطنـــه ومعانيـــة.. ونتمني أن تمتد أقلام الباحثين والدراسين ورجال الفكر إليه في القريب العاجـــل.

وأما الرسالة الرابعـة:

فهي تحت عنوان " الإمام محمد ماضي أبو العزائم ودوره في التصوف الإسلامي) إعداد الباحث / محمد السيد المليجـــي.. والجديد في هذه الرسالة أنها تناولت موضوعاً محدداً لم تخرج عنه،وأبرزت أثر الإمام المجـــدد علي التصوف.. وكان أعظم ما في هذه الرسالة مجموعات التوصيات التي جاءت في الخاتمـــة، حيث أوصي الباحث مشيخـــة الطرق الصوفيـــة

بضرورة الأخذ بمنهج الإمام المجـدد أبي العزائم في الإصلاح، وكذلك منهجـه في الأخـوة الإسلامية، حتى تقوم تلك الطرق بدورهـا.

ويبقي في نهاية هذه المقدمـة أن نشير إلي أن هناك بعض الرسائل الجامعيـة الأخرى قد أشارت إلي الإمام المجـدد أبي العزائم ولكن في إشارات عابرة.. ونعـد أن نضم تلك الإشارات في طبعـة قادمـة لهذا الكتاب.. ومن تلك الرسائـل.

أ- رسالة دكتوراه: تحت عنوان (الأصول الفكرية للجانب الاجتماعي عند الصوفية) للباحث / أبو اليزيد العجمي. قدمت إلي كلية دار العلوم - جامعـة القاهرة عام ١٤١٢هـ ١٩٩٢م

ب- رسالة ماجستيـر: تحت عنوان (مؤتمر الخلافة في مصر) للباحث / فتحي أحمد شلبي.. وقدمت إلي كلية اللغـة العربية - جامعـة الأزهـر عام ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م

وأثرنا أن نجعل خير ختام لما كتب عن الإمام أبي العزائم رضي الله عنـه كتاب (السر الأعظم) للدكتور مصطفي محمود والذي غاص في بحار الأشواق ليخرج لنا لآلي وجواهر من الأسرار الربانية التي وهبها الله للإمام أبي العزائم حتي قال (والإمام أبو العزائم يقول هذا الكلام عن علم كشفي لدنِّي وليس عن اجتهاد برأي، وللإمام أكثر من مائتين من الكتب والمخطوطات من المواجيـد الشعريـة والالهامـات العرفانية، وهو في نظري كنـز لم يكتشف بعـد وقطب ينافس الفحول قدما وعلمًا وسلوكاً.. ولا يصح أن يُقْرَأ شعره علي أنه شعـره (كما هو الحال عند أبن الفارض) فشعر لا يخضع للمواصفات الفينة للشعر، وإنما هو شفره ورموز عرفانية عالية يفهـم منها كل واحـد علي قدر حظه ونحن ما قدمنا من علم الرجل إلا نقطـة من بحر.. رحم الله أبا العزائم وأمدنا الله وإياكم من عين إمـداده.

ولا يفوتنا في النهاية أن نشير إلي كتاب " المواهب الإلهية " والذي كتبـه تلميـذ الإمام أبي العزائم فضيلة الشيخ أحمـد سعـد العقاد وبين فيه بعض مقامات الإمام ومنهجـه في الدعـوة والتربية.

ومشيخـة الطريقة العزمية، إذا تقدم هذا الكتاب الهـام تدعـو الله مخلصـة أن ينفع به المسلمين، والله سبحانـه وتعالي هو الموفق الهادي إلي سواء السبيل، وهو حسبنا ونعـم الوكيـل، وصلي اللهـم علي سيدناً محمـد وآلـه، وأعطنا الخير، وأدفع عنا الشر، ونجناً وأشفنا.. يا رب العالمين.

دار الكتاب الصوفـي

٢٧ رجب ١٤١٧هـ

٨ ديسمبـر ١٩٩٦م

عنـي بطبعـة

شيـخ الطريقـة العزميـة

السيد محمد علاء الدين ماضي أبو العزائم

الرســالــة الأولــي

منهــج التربيــة

عنــد الإمام المجــدد السيد محمــد ماضي أبي العزائــم

مختصــر رسالــة دكتوراه

للدكتــور / محمد يوسف حمــودة

الأستاذ بكلية أصول الديــن / القاهــرة

منهج التربية
عند الإمام المجدد
السيد محمد ماضي أبي العزائم رضي الله عنه

عـدد صفحـات الكتاب ١٤٠ صفحـة

موضوعات الكتاب

١- مقدمـــة:

٢- البـاب الأول: حياة الإمام المجـدد ووسائل تربيته من ص ٩ إلي ص ٥٠

ويحتوي هذا الباب علي

أولاً: الفصل الأول: مع الإمام في حياتـه ونشأته

ثانياً: الفصل الثاني: التربية عند الإمام المجـدد

٢- الباب الثاني: ميادين التربية عند الإمام المجـدد م ص ٥٣ إلي ص ١٣٥

الفصل الأول: التربيـة النفسيـة

الفصل الثاني: التربية العقليـة

الفصل الثالث: التربية الأخلاقيـة

الفصل الرابع: التربية الروحيـة

الفصل الخامس: التربية الاجتماعيـة

٤- **خاتمـة**:

ملحوظة هامة: أخذ هذا الكتاب مما كتبـه الدكتور / محمد يوسف حمودة في رسالته للدكتوراه وطبعته مشيخـة الطريقة العزميـة عام ١٤٠٩هـ ١٩٨٩.

المقدمـــــة

إن أعظم نعمـــة ينعم الله تعالي بها علي عبـــد من عباده بعـــد نعمـــة الإسلام أن يوفقه تعالي إلي إمـــام يهديـــه وأستاذ يأخذ بيديـــه، وخبير يقيمـــه علي الطريق إذا تفرقت السبل، وكثرت الأهـــواء وتعـــددت الأسباب، فيجمـــع الله لعبـــده نعمـــه الاهتداء مع نعمـــة الإقتداء.. حتى يحصل للعبـــد كمال الرشد في دينه والهدي في سبيله، لقولـــه تعالي (من يهـــد الله فهو المهتـــد ومن يضلل فلن تجـــد له ولياً مرشـــداً) " الكهف ١٧"

ومن رحمـــة الله بالأمـــة إمداده لها بالأئمـــة.. ورثـــة النبي صلي الله عليه وسلم والخلفاء له الذين يحيـــون السنـــة بعـــد مواتها ويجـــددون لهـــم ما يطمس من معالم الديـــن.. فأخذ كل إمام علي عاتقـــه واجب التبليغ وقام بالتربية علي خير وجـــه وقد نالت كل مدرسة من إمامهـــا منهجـــه وتربيتـــه، وهم جميعاً –الائمة – معتصمون بالكتاب متبعـــون للسنـــة متمسكون بهـــا.

لا يمليون إلي بدعـــة، ولا يدعـــون إلي ضلالـــه، لأنهم ساروا مهتديـــن وسلكوا الطريق مقتدين (قل هذه سبيلي أدعـــوا إلي الله علي بصيرة وأنا ومن أتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركيـــن) يوسف " ١٠٨"

البـــاب الأول

حيـاة الإمـام المجدد ووسائـل تربيتـه

الفصـل الأول

مـع الإمام في ونشأتــه

مولــده واسمــه ونسبــه وكنيتــه [1]

لقــد ولــد الإمـــام السيـــد محمد ماضي أبو العزائم في ليلة السابع والعشرين من شهر رجب الفرد في عام ١٢٨٦هـــ،وذلك يوافق الرابـــع والعشرين من شهـــر نوفمبر عام ١٨٦٩هـــ وكان ذلك أثناء زيارة والديـــة للمسجـــد المشهـــور برشيـــد (مسجـــد سيـــدي زغلول)، والقريب من محلـــه أبو علي التي تقطنها أسرتـــه وهي من أعمال دسوق من البلاد المصريـــة فإذا عرفنا أن الإمام انتقل إلي جوا ربه في نفس الليلة والشهر عام ١٣٥٦هـــ الذي يوافق عام ١٩٣٧هـــ كان ذلك يعني أن الإمام عاش في الفترة ما بين الثلث الأخير من القرن التاسع عشر والثلث الأول من القرن العشريـــن.

اسمـــه ونسبـــه [2]

اسمـــه السيد محمد واسم أبيه السيد عبدالله المحجوب بن السيد أحمـــد ابن السيد مصطفي بن السيد إبراهيـــم بن السيد صالح بن السيد ماضي.. وينتهي إلي الإمام الحسين عليه السلام.

وأما نسبه من جهـــة أمـــه: فهي السيدة آمنـــه المهدية ابنه السيد أحمـــد العرب الفرجائي بن السيد أحمد القادري بن السيد علي بن السيد سليمان.. إلي أن ينتهي إلي السيد عبد القادر الجيلاني إلي القادم في حسين فهو حسني.

وأما أبو العزائـــم فهي كنية للإمام السيد محمد بن السيد عبد الله المحجوب يكني بهـــا. ويجمع للإمام أسمـــه وكنيته ونسبه إلي ماضي.. جـــده فهـــو (السيد محمد ماضي أبو العزائم) يعرف بكنيتـــه فقط أو بمحمـــد ماضي فقط أول بالكل.

عصـــر الإمـــام رضي اللّه عنـــه: [1]

كان من الممكن أن نمر علي ذك العصر مر الكرام لولاً ما شهدناه من الإمام في وقفاتـــه المتعددة من أحداث ومن تعبئـــة الروح الإسلامية ضـــد الإستعمار والمستعمرين ورفعة راية العداد عالية في وجـــه المستعمر الحقود وأعوانـــه الذين يحادون الله ورســـوله.

لقد سار الإسلام يتهادي بفضل الله تعالي كما يتهادي النسيم إلي كل البلاد التي أذن الله تعالي لها بالهدي، وغشي نور الحق ظلمـــة الباطل فأباها من كل ربوع الدنيا.. فلقي الإسلام من الناس قبولاً ووجـــد الناس في الإسلام ملاءمـــة للفطرة السليمة فتعانقاً تعانق الاعتقاد الجازم

بصلاحه والحاجـــة إليه وعمل من ذاق حلاوتـــه أن يهدي إلي الناس ولو تحمل في ذلك أي شئ وبذل في سبيله كل نفيس وغال، حتي بلغ الإسلام أوربا. وطاف أطراف الدنيا فسمع به كل قاص ودان.. وكان هذا الانتشار غصة في حلق الشيطان وأتباعـــه فدفنوا حقدهــم في قلوبهــم وسكت ناعقهــم إلي حيــن.

حتى بدت لهــم من المسلمين التفاتـــه إلي الدنيا، فقاموا بكل حقـــد، ينادي بعضهــم بعضاً للقضاء علي الإسلام والمسلمين.

الضربات التي وجهت إلي المسلمين [1]

بدأت الضربات التي وجهت إلي المسلمين في شكل الحروب الصليبية التي دعا إليه البابا في أوربا واستجاب لها الملوك والنبلاء حتى الأطفال.. ولعل العوامل في الزحف الغربي علي البلاد الإسلامية متعددة، لكن أظهرها عامل الحقد الدفين الذي تجلي أكثر عند البابوية وفرسان المعبد والروح الطاغية التي كانت تنفث في صدور الشباب وغيرهــم لحمل الصليب إلي القدس والاستيلاء علي مصر خاصة لأنها مفتاح الوصول إلي بيت القدس.

ومما يوسف له أن الكشوف الجغرافية التي قام بها البرتغال والأسبان، لم تخل من هذا الحقـــد الدفين.

ومن الضربات التي وجهت للمسلمين.. ما جري في بلاد الأندلس، وطرد العرب والإسلام نهائيا من غرنـاطـــة عام ١٤٩٢م.

ثم شاء الله تعالي للشرق الإسلامي، أن يتنفس الصعداء، بدخول البلاد الإسلامية تحت راية مسلمة، وأن يجتمع بعد تفرق تحت إسلام الخلافة الإسلامية، والتي انتزعت من آخر الخلفاء العباسين، وانتزعهـــا السلطان سليم الأول بعـــد دخولـــه مصر سنـــة ١٥١٧م وإعلانه نفسه خليفة للمسلمين، وضمت الدولة العثمانية تحت رايتها كثيرا من البلاد الإسلامية من آسيا وأفريقيا وتوسعت في أوربا كذلك.

ولم يكن ذلك بالأمر الهين علي أوربا (الاستعمار والمستعمريـــن) فأخذوا في نفث السم، وبعثت الحقد من جديد، وتحينوا الفرصة للأنقضاض علي أطراف الدولة

الإسلامية.. فكانت الحرب بين الروس والدولة العثمانية.. في عام ١٧٦٨م ومنيت الدولة العثمانية بهزائم وذلك للضعف الإداري والعسكري والمالي:

ورأي علي بك الكبير في مصر ضعف الدولة العثمانية حربياً وعجزها عن الاحتفاظ بهيبتها.. فاستقبل بمصر، وضم إليه بعض البلاد الأخرى.. وجاءت الحملة الفرنسية إلي مص سنة ١٧٩٨م.. وكان دخول الفرنسيين مصر ضربة أخري أفقدت الخلافة الإسلامية الوعي فأخذت تترنح ولا تقوي علي القيام.

وجاءت أثر ذلك حملة إنجليزية سنة ١٨٠٧ م بقيادة فريزر.. فأستطاع الشعب المصري قهرها في رشيـــد.. وتولي محمد على القياد في مصر.. وأستطاع أن يقيم دولة حديث في مصر يجمع عليه أقطار إسلامية أخري مثل الشام والحجاز والسودان..وبالطبع لم يرق هذا للإنجليز، فاخذوا في احتواء الدولة الإسلامية الحديثة وهدمها من أطرافها وهدمها من أطرافها.. وبالتالي أجبرت مصر علي أن ترجع إلي حدودها القديمـــة.

ونظراً لأهمية مصر عربياً وإسلاميا وعالمياً لوقوعها علي خط الوصل بين المستعمرات الشرقية في الهند وغيرها.. كانت أكثر من غيرها مسرحاً لتنافس الدول الأوربيـــة.

وبدأ الاستعمار العربي يتسلل إلي العالم الإسلامي في بداية منتصف القرن التاسع عشر، ففي عام ١٨٥٧.. تم استيلاء الفرنسيين علي الجزائر كلها، بعد أن أبتدأوا غزوها سنـــة ١٨٣٠م وواصلت دول الاستعمار الغربي احتلال بلدان العالم الإسلامي واحـــد تلو الأخرى.. وكان أمل الاستعمار الصليبي أن يتم تنصير تلك البلاد الإسلامية بوسيلـــة أو بأخرى.

وسائـل الاستعمـار الغربي لإضعاف المسلمين في إسلامهـم

لقـــد اتخذوا في سبيل إضعاف المسلمين في إسلامهـــم وسائل مختلفة ومتعددة تنحصر فيما يلي:-

الصـورة الأولـي:-

قيام بعض مفكري المسلمين بحركة تقدميــه في الإسلام.. تبغــي تقرير سلطة المستعمر وتثبيت ولايته علي المسلمين من الوجهــة الإسلامية، أو بعبارة أخري تبغي عدم تحديــه ومعارضتــه.

الصورة الثانيـة:

قيام بعض الغربيين المسلمين بإبراز الخلافات المذهبية، وتأكيــد الفجوات والتغرات بين طوائف المسلمين وشعوبهــم، من الواجهــة الشعوبيــة أو الجغرافية أو نظام الحكــم.

حركــة المقاومــة ضـد المستـعـمـر الغربـي:

وفي مقابل هاتين الصورتين برزت حركة المقاومة للاستعمار الغربي كرد فعل للتدخل الأوربي في البلاد الإسلامية، ولمناهضــة الفكر الأوربي ومناهضــة المستشرقين الذين دسوا السم في العسل، وقام بعضهــم سافراً بالعداوة للإسلام ونبي الإسلام صلي الله عليــه وسلم.

بعض الحركات الفكرية التي قاومت الاستعمار في القرن التاسع عشر.

أولاً: السنوسيـــة في النصف الأول من القرن التاسع عشـر:

نشأت مدرســـة السنوسيـــة بزعامـــة الإمام السيد محمد بن علي السنوسي.. الذي ولد سنـــة ١٧٩٨م، وتوفي سنة١٨٥٩. وقد جاهــد السنوسيون الاستعمار الغربي ممثلاً في دولتين أولها: الفرنسية، الثانية: الإيطالية.. فلقد جاهــدوا مع الأولي جهاداً كبيراً ودافعوها بكل شجاعـــة.. وكانت شجاعتـــه مع الطليان أكبر.

ثانياً: مدرســة السيد جمال الدين الأفغانــي.

لقــد تعدد نشاط السيد جمال الدين نظراً لسعـــه أفقه وكثره تنقله ووقوعــه علي الأحداث في بيئتها ومعرفته الجيدة بحيل الاستعمار والمستعمرين، وإرادته لقيام وحـــدة إسلامية تنمحي أمامها الأسوار ويجتمـــع أهلها تحت راية القرآن وألوان نشاطـــه كثيرة ومتعددة لا نستطيع استقصاءها.. وأن كان يهمنا أن حين وصل إلي مصر وجــد الأرض صالحـــة خصبة ومتعطشـــة والنفوس متثوثبة فأجتمع حوله كل من الشيخ محمد عبده وسعــد زغلـــول وغيرهـــم من رجال الذين سيلعبـــون دورا هاماً علي مسرح السياســـة المصرية والحركـــة القومية وكذلك الكفاح ضـــد الاستعمار، وكان أتباعه بعد رحيلـــه عن مصر هـــم وأصحاب الريادة السياسية والحركة الوطنية وقد ارتبطت بهـــم أحداث المقاومة للاستعمار والمستعمرين سواء في سنة ١٩١٩م والتي كان زعيما سعــد زغلـــول أو غيرها..

ثالثاً: مدرســة الإمام أبي العزائـم [1]

وأوضح مدرسة فكرية ظهرت في أثر ذلك هي مدرسة الإمام أبي العزائم والتي نحن بصدد الحديث عنهـــا.

حيـاة الإمام أبي العزائـم ونشأته

نستطيع أن نقسم مراحل حياته رضي الله عنه إلي أدوار ثلاثة.. ذلك لأن الإمام رضي الله عنه قد عاش ما بين سنة ١٢٨٦هـ إلي ١٣٥٦هـ فيكون ذلك سبعين سنة قمرية وقد مرت تلك الحياة الكريمة بأدوار ثلاثة هي:-

أولاً: دور النشأة:

إمتازت نشأة الإمام بالذكاء الشديد والتوفيق السديد.. فحفظ القرآن الكريم صغيراً مع أخوته في مكتب القرية، وكأن أسرع إخوته حفظاً للقرآن الكريم، وأجاد الكتابة والقراءة، ولم يكتف والده بهذا.. فقد كانت أسرته من ذوي اليسار، فجلبت له مدرسين من العلماء يعلمونه مبادئ العلوم.

فحفظ في تلك الفترة المتون علي يد الشيخ عبد الرحمن عبد الغفار وهو من علماء الأزهر الشريف، فحفظ كتاب أقرب المسالك لمذهب مالك بن أنس، وقسم العبادات من الموطأ، ومن علم التوحيد متن السنوسية، ومن النحو الأجرومية والألفية، ومن علم الحديث. المختصر للإمام الزبيدي، وكان الشيخ عبدالله المحجوب والده وهو من العلماء لا يكتفي بذلك، فأخذ يحفظه كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، وكتاب قوت القلوب لأبي طالب المكي، وكتاب الشفاء للقاضي عياض، وسيرة النبي صلي الله عليه وسلم لأبن هشام، والطبقات الكبري لأبن سعد.. وكان يشترك مع إخوته في تلك الدراسية الأولية.

وكان له ساعات يقضيها وحده بين الكتب في مكتبة والده

وقد درس علوم التوحيد مع الشيخ الجليل محمد القفاص،ـ وكان يقضي مع هذا الشيخ ووقتاً، وكذلك مع الشيخ محمد الخطيب في دراسة الفقه.. وكلاً الشيخين من علما الأزهر الشريف، وقد درس علم النسك والزهادة علي والده السيد عبدالله المحجوب وكذا الشيخ غانم الخشاب.. وأمتازات هذه الفترة بحبه الشديد للعلم، وحب شيوخه له وحرصهم علي إمداده بالعلوم والفهوم المختلفة لما رأوا فيه فطنة ونجابة وأهلية للعلم والتعلم..مع أجتماعه بكثير من علماء الطبقات

التابعيـــن لمذهب السلف الصالح من الرجال الصادقين من خلال زيارة والده لهـــم وصحبتـــه لـــه أو زيارتهـــم لوالـــده.

ثانيـاً: دور التعليــم:

يتحدث الإمام رضي الله عنـــه عن تلك الفتـــرة فيقـــول:

(في السنـــة السادســـة عشرة من عمر توجهت إلي الأزهـــر الشريف، وكان شقيقي أحمـــد ماضي إذا ذاك مديراً لجريدة المؤيـــد، فاشتغلت في تقلي العلوم مع المحافظة علي ما تألفه نفسي من دوام زيارة الأولياء وصحبـــة أهل الصلاح والتقوى، ثم حضرت علي الشيخ حسن الطويل علـــم التوحيـــد بالأزهـــر، فمالت نفسي إليه فصحبته زمناً، وكنت أشتعل معه في منزله بمطالعـــه كتب المحكمـــة، وأصرف بعض أوقاتي في صحبـــة الشيخ حسنين الحصافي)

(وكنت في أغلب أوقات أكتب شروحاً ومشاهِـــد وأذواق علي بعض الأحاديث النبوية والآيات القرآني، واكتب بعض أبيات نظميـــة ومواجيـــد قلبية في أمور أعتبر بها ما يدل علي قدرته الله تعالي وبديع صنعـــه، وصار ذكري قراءة القرآن، والتدبـــر في معانيـــة، وفي كلام رسول الله صلي الله عليه وسلم وسيرته الشريفة، وسيرة خلفائـــه وأهل الخير من السلف.. لا لقصد أو هوي ولكن لميل من النفس ورغبـــة.

(.. وكنت وأنا بمصر كلما سمعت بأحـــد الصالحين أو بولي من الأوليـــاء أو بعالـــم زرتـــه وسمعت منـــه، فإذا نطق بالحكم أو بشئ من علوم التوحيـــد أو الأخلاق الفاضلة أحببتـــه وأن رأيت غير ذلك سلمت له أمره وانصرفت عنه، وما وجدتني معارضاً أو منتقداً أو مجادلاً، اللهـــم إلا إذا رأيت ما يغضب الله عزل وجل فكنت أنصح وأعظ برحمـــة وليـــن..)

(ثم تخرجت من دار العلوم وعينت مدرساً وانتقلت إلي مدينة المنيا أوائل عام ١٣١١ للهجـــرة.. فكنت أودي الواجب عليَّ نهاراً، وأصرف أكثر أوقاتي بين

العامـــة وأهل العلم لقراءة دروس مذهب مالك والتكلم في الأخلاق والتوحيـــد حتى أنست بإخوان لي يعينونـــي علي مواجيـــدي)

(.. ثم انتقلت إلي الإبراهيمية من أعمال مديريـــة الشرقية وفيه ظفرت بإخوان أحسنوا الإصغـــاء والقبول).

(ثم نقلت إلي سواكـــن وفيها قرأت البخاري لعلمائها، وقسم العبادات من المؤطأ الإمام، وصار لي أخوان يحسنون الإقتداء والفهـــم في علوم الحكمة العالية ثم إلي حلفاً وكان بها كثيرون يشتغلون بالملاهي فوفقهـــم الله تعالي للإقبال علي عمل الأركان الإسلامية وسماع (علوم الشريعـــة).

(.. ثم نقلت من حلفاً إلي أم درمان من أعمال السودان أيضاً، فقرأت الموطأ وحكم أبن عطاء الله بمسجـــدها وأهلها يحبون العلم وأهل العلم إلا أنـهم محتاجون لفهـــم روح الشريعـــــة.

(ثم نقلت إلي الخرطوم فقرات البخاري والموطأ والتوحيـــد والأخلاق وأهلها مؤهلون لتقلي علوم الحكمـــة العاليـــة.

وتلك هي الفترة الثانية من أدوار حياتـــه رضي الله عنه.. وظل في السودان حتى أقصاه الحاكم الإنجليزي عام ١٣٣٣هـــ الموافق ١٩١٥ م فعـــاد إلي مصـــر.

ثالثاً: جهـاده رضي اللّه عنه في الدعـوة الإسلاميـة

وهي – المرحلة الثالثـــة – التي بذل فيها أقصي الجهـــد في الدعـــوة الإسلامية سياسياً وتربوياً.. ومن قرأ برنامجـــه اليومي يتعجب من حياة كلها الجـــد والسفر، والدروس اليوميـــة، والإملاءات للمواجيـــد والكتب والمجلات وردوده علي الأسئلة والاستفسارات والخطابات التي ترد عليه من شتى الأنحاء، ومقابلاته للوفود السياسية ورجال الفكر وسفراء الدول الإسلامية، وغير ذلك مما لا يقوى عليه إل مجاهـــد باع نفسه وأهلـــه لله رب العالمين.. فضلاً عن تربيتـــه لجيل كامل من العلماء والحكماء.. وتراثـــه العلمي الذي أبقاه زخراً للمكتبة الإسلامية.

صـور الجهاد عند الإمام أبي العزائم في أدوار حياته الثلاثـة:

نستطيع أن نوجزهـــا فيما يلي:

أولاً: خلق قادة تربوا دينياً علي الآداب الإسلامية والشمائل المحمديـــة.

ثانياً : خلق قاعدة عريضة من المتعلمين العارفين والنابهين الذين أدركوا باليقين الحق معني الدين فتسربلوا به حتى كان منهـــم بمثابة الروح من البدن.

ثالثاً: إصداره للصحف والمجلات (السعادة الأبدية – الفاتح – المدنية المنورة) وتلك الصحف كانت لسان حاله – حيث أظهر من خلالها عداوة سافرة للاستعمار وجهاده بكل معاينـــة.

رابعاً: مقابلاته لزعماء الثورات في العالم الإسلامي، واستضافته في داره لأبناء الأمة الإسلامية من الزعماء وغير الزعماء.. ومن أمثلة ذلك نزول السيد أحمـــد الشريف السنوسي ومن معه من الثوار في بيت الإمام رضي الله عنه وترحيب الإمام به ونشر أخبار الثورة في ليبيا أولاً بأول.

خامساً: الرسائل المتبادلة بين الإمام وبين زعماء البلاد الإسلاميـــة.

سادساً: المقالات التي كانت تصدر في الصحف اليومية بمصر.

سابعاً: دور الإمام في مقاومـــة الإنجليز في السودان، وكذا دوره في دعم ثورة ١٩١٩م وزعيمها سعــد زغلول مما أدي إلي اعتقاله مرتين عام ١٩١٩

ثامناً: دوره العظيم في الإعداد لمؤتمر الخلافة الإسلامية بمكة المكرمة عام ١٩٢٦م

تاسعاً: تراثــه العلمي الذي يعتبر زخراً للمكتبة الإسلاميــة.

عاشـراً: مواجهتــه للملك فؤاد وفضائحــه لقادة الأحزاب السياسية لكي يعملوا لمصلحة الأمــة.

وحقيقــة الجهاد عند الإمام أبي العزائم أنه لم يدخر وسعاً في النصيحة العامة والخاصة بل والجهاد بنفسه وقلمه ودروســه وشروحــه وندواتــه ولقاءاته وسفره هنا وهناك ورحلاته المتعددة.. يذكر المسلمين دين الله تعالي، وأن المجــد الإسلامي لن يعود إلا بالألفة والمحبة والاجتماع علي كلمة سواء.. ولا أول علي ذلك من سفره إلي مكــه المكرمــة بقصد جمع المسلمين واجتماعهــم ودعوتــه إلي مؤتمر الخلافــة عام (١٣٤٤هــ -١٩٢٦م)

وقد ظهرت تلك التربية الفكرية في نفوس بعض أبنائــه وتلاميذه وكانوا أصدق قولاً وأحسن عملاً وأسرع الناس إذا وجــدت ملمــة، فهــم بالخير وللخير داعين.. واستقصاء ذلك يطول.. ومن يطالع الكتب والمجلات يري أثر ذلك بادياً، وأنــه جهاد شاق وتام غير منقوص.

الفصـل الثانـي

التربيـة عنـد الإمـام أبي العزائـم [1]

التربيــــــــــة:

التربيـــة هي تلك العملية التي يتم بمقتضاها تنمية الشخصية الإنسانية وبناء الإنسان الكامل داخل الهيكل الآدمي، بناء يبلغ الإنسان معه غايته التي يرجوها من الكمال الإنسان ويكون ذلك من جميع الجوانب النفسية والعقلية والاجتماعية فلا يهمل فيها هذا الهيكل ذاتــه ويكون وفقاً لمعايير تتفق عليها الجماعة التي يتم في وسطها عملية البناء وحسب الأدوار التي يقوم بها الفرد المعــد للبناء والمراد من التربيـــة.

نشـأة التربيـة ومفهومها:

لا محيص حين البحث عن النشأة من تحديد المفهــوم العام للتربية، والعكس صحيح فكلاهما قد أرتبط في الواقع، حتى أننا نقف من نشأنها علي كونها علمية أو فنية أو علمية تطبيقية وكذلك كونها صناعة أي فناً أو علماً يحـــدد لنا كيف بدأت، وسارت في الأمم تخطو خطواتها الأولي علي غير حسبان أو رقيب، حتى صارت علماً يفسخ له المجال في المكان والزمان، ويفرد له الأساتذة والباحثون، وله من الأسس والقواعــد والبرامج والمناهج ما لغيره وسواه.. والحق أنهم حين بحثوها أنقسموا فيها علي النحو السابق ثلاثــة أقســام.

مدارس التربيـة:

تعددت مدارس التربية بحسب اختلافها في مناهج الإنسان ونظرتهــم إليه.. فالمدارس الفلسفية لما كان اهتمامها بعقل الإنسان دون سواه كانت التربية قاصرة علي نواحي الفكر المختلفة ثم تعددت نفس المدارس وانقسمت بعضها علي بعض فكانت المدرسة النفعية والواقعية والمثاليــة والوجوديــة وغير ذلك وكل مدرسة لها منهجها التربوي وأسلوبها في التربيـــة.

أما المدارس الإسلامية فقد نظرت للإنسان من خلال نظرة القرآن إليه باعتباره جسماً ونفساً، فكانت تلك المدارس لابد وأن تشمل الجسم والنفس بالتربية فكان ذلك جديداً علي التربية أو تجديداً فيها لكن خطواتهم سارت وئيدة.. ذلك لأنهم ارتبطوا في التربية بالمفهوم الإسلامي ولم يخرجوا عن الإطار الفلسفي. أي قالب فلسفي بمفاهيـــم إسلامية.

ومدرسة الإمام أبي العزائم التي نحن بصدد البحث فيها عن التربية : هي مدرسة إسلامية خالصة في قلبها وقالبها مشتملة علي الإنسان الخليفة بجميع نواحيه فجاء تعبيرها رقيقاً ولفظها دقيقاً وأسلوبها معبراً وفكرتها واضحـــة.. وفي العرض جلاء الحقيقـــة.

مفهـوم التربية وضوابطها عند الإمـام أبي العزائـم[١]

الإنسان في نظر الإمام أبي العزائم هو ذلك النوع الوسط الجامع بين عوالم الملكوت الأعلى وبين أسفل سافلين باعتباره روحاً وجسماً وهو في هذا يشير إلي قول الله تعالي (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم، ثم رددنا أسفل سافلين. إلا الذي أمنوا وعملوا الصالحات.. فلهـــم أجر غير ممنون) التين ٤-٦

ولما كانت جواذب كل جانب تميل به إلي فطرتـــه..فجانب الروح يميل إلي الخير، ويحب العلم، وينعم بالطاعـــة، ويسعـــد بالقربة، ويطمئن بذكر الله تعالي

وجانب الجسم ينعم بما هو من جنسه من شهوة مطعم أو مشرب أو منكح ويجد في ذلك متعتـــه ولذتـــه..

فكان التوفيق بين المطالب والتوسط في الجواذب، هو نوع الكمال المنشود الموضوع لهذا الإنسان.. لو أتبعـــه لبلغ الغاية هنا وهناك. فسعدت روحـــة ولم يحرم جمسه.. وذلك الكمال: في جملة الإسلام الذي وضعه الله تعالي كمالاً للبشرية فقال عز وجـــل: (اليـــوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) " المائـــدة ٣ "

---

[1])راجع ص ٣٨ من الكتاب

تعريف التربية عند الإمام أبي العزائـم [1]

(هي عمارة كل وقت من أوقات السالك فيما اقتضاه الوقت من اللازم الشرعي من عمل قلبي فقط، أو عمل بدني فقط، أو عمل مزدوج منهما.. وبذلك ينتقل علي معارج القرب في كل لمحـــة ونفس، لأن الزمن هو المراحــل.

التي ينتقل منها إلي حضرة الرب سبحانه وتعالي، وإنما العمر هو المسافــة بين العبــد وربــه).

ولابد – والأمر جــد خطير – من وضع إطار عام لهذا العمل الذي يقوم به الطالب – سواء كان من أعمال القلب أو البدن أو هما معاً.. فإن هذا الإطار هو الذي يحفظ علي الطالب وقته، ويختصر عليه طريقة. هذا الإطار هو ما وضعه الإمام تحت عنوان المقدمات والضوابط.

المقدمـات والضوابط في عملية التربيـة.

المقدمـات:

(١) العلم بالنفس والعلم بالله والعلم بأحكامــه والعلم بأيامــه.

(٢) إخلاص النية عند العمل وتأدية العمل علي الوجــه الشرعــي، وقهــر النفس عند الكسل علي عمل الوجبــات.

الضوابط

مسافــة ما بينك وبين وصولك إلي مقصودك أو اتصالك بمحبوبك وفوزك بالفلاح.. هو مدة عمرك المعدودة لحظاتــه، المحدودة مسافته.. التي لا تزيد ولا تنقص نفساً ولا أقل ولا أكثر،، والعمر قصير والمطلوب عظيم والأنفاس معارج، فلو أضعت نفساً في غير عمارته بما يجعلــه معراجاً لقربك وكنزاً محفوظاً لك وخيراً مدخرا لأجلك، أعقبك بعداً عن الحق ونقصاً من الأجر وجهلاً بما لابد من عمله.

الأصـول التي تقوم عليها التربية عند الإمام أبي العزائـم [1]

يرى الإمام رضي الله عنه أن التربية تقوم علي أصلين:

أولاهما: صفــاء النفس. والثاني. استقامــة الطريــق

فأما صفاء النفس فهو مبحث خاص نرده فيما بعد إن شاء الله تعالي وهو المقصود بالتزكية والمجاهدة، وأما الاستقامـــة أو الطريق المستقيم، فقد جمعها في خصائـــل تشمل علي اثنتي عشرة خصلة هي جامعة لأوصاف الإيمان.

أول ذلك الشهادتان وهي الفطرة، والصلوات الخمس وهي الملة، والزكاة وهي الطهرة،والصيام وهو الجنـــة، والحج وهو الكمال، والجهاد وهو النصر، والأمر بالمعروف وهو الحجـــة، والنهي عن المنكر وهو الوقاية، والجماعة وهي الألفة، والاستقامة وهي العصمة، وأكل الحلال وهو الورع، والحب والبغض في الله وهو الوثيقـــة.

وكل ذلك لا يتحصل عليه المريد إلا إذا ابتدأ بالبحث عن عالم عامل عارف متمكن منحـــه لله الفقه في قلب وجملَّ ظاهره بجمال حلل السنة، حتى إذا وجـــده سعي إليه كان وصحبه، مسلماً له نفسه، ملاحظاً لأعماله وأقواله وأصوله، حتى يتلقي عنه السنـــة المحمدية عملاً وحالاً وتعليماً.

وإن لم يظفر بالرجل فعليـــه أن يبحث عن الآثار وأعمال السلف، وهديهم من العلماء وفي الكتب، ويعمل بها ويترك أعمال علماء الدنيـــا.

وبهذه الأصول يكون الإمام أبو العزائم قد وضع إطاراً كاملاً للتربية ووسائلها. فقد تكلم عن الطريقة المستقيمـــة وأنها جامعة لأوصاف الإيمان، وأنها تقوم علي أصلين أساسين لا بد منهما:

أولاً: صفـــاء جوهـــر النفس.

ثانياً: استقامـــة الطريق والذي لا يستقيم إلا بالمرشـــد.

الفصـل الثالث

وسائـل التربيـة عنـد الإمـام أبي العزائـم [1]

أقام الإمام رضي الله عنــه وسيله واحــدة، وجعلها الأساس الصالح للتربية وهي، الوسيلــة وحــدهــا – كفيلة ببقية الوسائل التربويـــة.. ففيها الموعظـــة وفيها الحكمة ومنها العادة بالصحبـــة والملازمـــة، وتقوم بالعقوبة إن أقتضي الأمر. فهي جامعة لبقية الوسائل ولذلك استغني عن الفرع بأصله ما دام قد انطوى فيه، وتلك الوسيلة هي: (القوة).. ويعبر عنهـــا الإمام دائماً بالمرشـــد، فهو الذي يجلي للتلميذ والطالب طريقـــة.

الحاجـة إلي المرشـد.

تنبعث الحاجــة إلي المرشـد من الحاجــة للسير والسلوك أي من الحاجة للإعداد والتربية. وتلك الحاجة عند الإمام أساسها أن الطالب المريد متبع لا مبتـــدع.

ولهذا يقول رضي الله عنه (علي المريد الصادق أن يهتم قبل كل شئ بالبحث عن المرشـــد، ليتلقي عنه العلم من عباداتـــه وأعماله وأحوال وإشاراتـــه، فإن العلم إذا كان من القلوب وصل إلي القلوب، والحال إذا كان عن اليقين أنتج اليقين، والعمل إذا كان عن أخلاص انطبع في الخيال والإشارة إن كانت من خزانة الغيوب، استفادت بها القلوب).

المرشـد كما يعرفـه الإمام رضي اللّه عنـه.

أما المرشـــد: فهو الصورة التي تظهر معانيها علي السالك، والطابع الذي ينتقش في نفس المريـــد، وإنما تظهر في السالك أعماله وأحواله، وتنتقش صفاته وأخلاقه دون أخلاق نفسه.. لأن الأقوال أعراض تزول، تؤثر علي النفس عند سماعها.

والمرشـــد في نفســه متبع لرسول الله صلي الله عليه وسلم، والمريــد متبع للنبي فيه.. لذلك وجب أن يكون المرشـــد مستكمل النفس توقيراً للنبي الذي قام عنه نائباً وداعياً وهادياً، فالوراثـــة إنما هي نيابة عن النبي صلي الله عليه وسلم في مقام الدعــوة والتربيـــة.

معني الأتباع للمرشـــد.

لا يتصور المسلم مرشداً إلا إذا كان ممتلأ من نور السيد الأكمل عليه الصلاة والسلام، كم لا يتصور هداية من غير هدي، ولذلك وجب الاتباع من المرشد للنبي كما وجب الأتباع من الطالب المريــد والسالك المجتهد للمرشد الولي، أي إقتداء بمن اقتدي واهتداء بمن أهتدي، حتى يكون موصول الهداية بالنبي صلي الله عليه وسلم غير مبتدع أو مخترع.. فالبداية والنهاية بالنبي ومع النبي صلي الله عليه وسلم

شرط التلقـــي:

وشرط التلقي أن يكون المتلقي عنه قد تحصل علي العلوم النافعـــة وفهــم حكم الأحكام وعرف أمراض النفوس، فقام يرشد عباد الله بالقول والعمل والحال علي طبق والمحافظـــة علي ما عمله من المرشد أو ما عمله من تلقي عنه من أبدال المرشـــد أو نوابـــه.

تلاميـذ القـدوة (المرشـد):

وإنما يقوم بالتربية.. الولي المرشـــد والوارث للنبي صلي الله عليه وسلم، فإن فقد المرشـــد أو بعــد لظروف ما- وجب أن يقوم مقامـــه في الإعداد نواب المرشـــد الذين أعدهــم لهذا.. وفي هذا يقول الإمام أبو العزائم رضي الله عنه.. (الدعــوة إلي الله تعالي يلزم أن يقو بها جماعـــة من أهل الفضل والعقل والعرفان الذين صحبوا المرشد صحبـــة حقيقية بصحة بداية وحسن نية وجمال مقصد، صحبـــة حقيقية بصحـــة بداية وحسن نية وجمال مقصد، وتقلوا عنه أسرار عقيدته، وفهموا

أنوار حالة، وذاقوا حلاوة فهم علومـــه ومعاملاته القلبيـــة والبدنية وعباراته وأخلاقه حتى ظهرت لم الدنيا منكشفه زوالها وبقاء تبعاتها، من الأعمال السيئة، أو نوال السعادة في الدار الآخرة، بما من الله به عليهم من حسن العقيدة وحسن العمل والخلق، حتى زهوا فيما فيها وأنكروا ما فيها مما هو فإن، إنكاراً حقيقياً ومالوا إلي الحق بكليتهم، وتحققوا الخير ورأوه بعين اليقين ورأوا ما عليه الناس فأشفقوا عليهـــم، فبذلوا وسعهم في إنقاذهم من الهاوية والغضب الإلهي برأفـــة وشفقه وحكمـــة، وبيان لآيات الله سبحانـــه وتعالي ونعمـــه علي العباد وذكري لمننـــه عليهـــم ليحنوا إلي الله سبحانـــة، وينهجوا علي نهج رسول الله صلي الله عليـــه وسلم.

رأي في التربية عند الإمام أبي العزائم ووسائلها.

ونحن في هذا الاتجاه لا نجـــد ثغرة قد تركها الإمام أو تركتها المدرسة من غير أن تقوم علي حراستها بإخلاص وصدق وعزيمـــة ومراعاة لله تعالي وأملاً في نيل رضوانه

الباب الثاني

ميادين التربية عند الإمام أبي العزائم

الفصل الأول

التربيــة النفسيــة [1]

تعريـف النفـس:

يرى الإمام رضي الله عنه أن النفس: جوهرة سماوية روحانية نورانية إذا لم تتراكم عليها الجهالات، ولم تدنسها الأعمال السيئة، وحجبت بالأخلاق الردية بقيت محجوبـــة عن إدراك الحقائق الروحانية بعيدة عن الوصول إلي الله تعالي وحجاتها جهالتها جوهرهـــا.

كما يري رضي الله عنه: أن النفس ليست بجسم ولا بعرض وبهذا لا تتحيز ولا تتغير فأصلها اللطافة والصفاء وتدرك جميع الأشياء بالسوية دو أن يلحقها ملل أو كلل.

ويجمع الإمام رضي الله عنه ذلك في قوله عنها (وقف العقل الكامل عن إدراك حقيقة النفس ورسمها بحــد، لأنها من أمر ربنا سبحانـــه تعالي كما قال سبحانـــه وتعالي (قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً)..

ومن هذا حكموا أن النفس ليست جسماً، ولا جزءاً منـــه، ولا عرضاً(والمراد بالنفس إذا أطلقت النفس الملكية التي تسمي بالناطقة، وإذا أردت أن أعرفها فإنما تعرف ما يقرب حقيقتها لا حقيقتها، فأقول: هي جوهرة سماوية روحانية نورانية من أمر ربنا سبحانـــه وتعالي وما قلتـــه فيها:

نفسي هي الكنز فيها سره معنـــاه بغير كيف وفيها نور مجـــــــلاه
جهلي بها الحجب عن علمي بمبدعها وعلمها كشف حجبي فهـم معنــاه
نفسي مثال تراي لي به وضحـــــت آياتــه وبــه أعطيت جـــــدواه
نفسي له صورة تبني مشاهـدهـــا إذا تحقق أن المبـــــــــدع الله
جهلي بها اللبس والتشكيك أجمعـــه وعلمها الكشف عن غيب وأخفــاه
جهلي به التيه بل والبعـد عن نسب بها يلوح جمال الوجــه أجـــلاه
لو أنها أشرقت نفساً لعالمهـــــــا فكت طلاسمــه ورقي لعليـــــاه
يا نفس ما أنت نور أنت أم عــرض أم كوكب مشرق بضياء مبنــــاه
وهل بك الجسم قد قامت معالمـــه أو قمت فيه فهذا السر أهـــــواه
حيرت أفكار أهل العقل لم يصلـــوا إلي يقين وفيك ضل أهـــــــداه
العقل يعقل محسوساً ونسبتـــــه لا يدركن رتبتي والمنعــــــم الله
سري خفي عن الألباب يحجبهـــا عنه نظائره فيــه وأشبــــــــاه
من أمر ربي ومن يطلبــه يعرفـــه فيعرف الله رب العرش مـــــولاه
ونفخـــه منـــه تجلي للمراد لـــــه فتشهـد الوجــه بالتنزيــه عينـاه
من كان يعرفني بالفصل يعرفـــه أن المثـال له أفق لمـــــــرآه

ولقد كشف الإمــام رضي الله عنه النقاب عنه في هذه القصيدة حتى لم يبق بعد علمها جهل أو الجهــل بها علــم.

قــوي النفـس:

وبين الإمــام رضي الله عنه أن النفس واحــدة ولها ثلاث قوى، وتلك القوي وهي:

(١) النفس الملكيــة أو الناطقة.

هي النور المضيء لأفق الحواس العامة الذي به الأدراك والفقه والحركة في عوالم الملكوت، وكشف أسرار التجليات وفهم غوامض العلوم والتجميل بجميل الأخلاق وكمال الصفات، ومتي صار لها السلطان علي البدن كان الإنسان ملكاً وأكمل.. وتلك النفس الملكية هي المدبرة لجميع النفوس، وإنما تكون قائمــة بأمور الجسم إذا قهرت بقية النفوس.. وتزكيــة النفس الملكية يكون بمعاونــة من الله تعالي، بصحبة مرشــد عارف بأمراض النفوس ورعوناتها.

(٢) النفس الغضبية (السبعيـة)

وبها دفع المضار عن الإنسان وجلب المنافع فهي التي بها الشجاعــة والإقدام والصبر وعلو النفس، والحلم وتحمل الشدائد في اكتساب الخيرات والمبادرة إلي عمل القربات، إذا انقادت إلي النفس الكلية.. وبها الهلع والجزع والطيش والتهور والتعدي والكبر والظلم والجور إذا أهملت عن التهذيب والتزكيــة.

(٣) النفس الشهوانيـــة

وبها تحصل العفــة والحياء والزهــد والورع والأمانــة والخشية والرهبة والرغبة فالرجاء والطمع في الفضائل إذا تهذبت وانقادت للنفس الملكية ويحصل بها الفجور والفسوق والفحشاء والجبن والمذلة والتعلق والخداع والشره والكيــد والمكر وسوء الظن والتطرف في الشهوات إذا أهملت.

فضائـــل النفـــس:

لما كان نفس كمال به يكون جمالها وتصدر عنها الفضائل، كانت الفضائل ثلاثـــة، لأن للنفس الملكية فضيلة هي (العلم اللازم له والحكمة)، ومتي كانت حركة النفس الشهوانية معتدلة منقادة للنفس الملكية حدثت عنها فضيلة (العفة ويلزمها السخاء) ومتى كانت حركة النفس الغضبية معتدلة مقتدية بالنفس الملكية حدثت منها فضيلة (الحلم وتلزمها فضيلة الشجاعـــة).

ومتي اعتدلت تلك النفوس وقويت النفس الملكية وظهرت الفضائل الثلاث، لزمها فضيلة رابعـــة وهي أكمل الفضائل وأعلاه وهي فضيلة (العدالـــة).

فالفضائل إذن أربع: العلم ويتبعـــه الحكمـــة، والعفـــة ويتبعها السخاء، والحلم ويتبعه الشجاعـــة، والعدالة وهي جماع الخير والفخـــر.

رذائـل النفـس

وأما الرذائل فهي أربع وهي أضداد الفضائل: الجهل والشره والجبن والجور، وتحت هذه الأجناس، أنواع من الرذائل لا تحصي.

أمـراض النفس وعلاجها

يرجع الإمام رضي الله عنه رذائل النفس إلي أصول ثلاثة يري أنها سبب فساد النفس.. وتلك الثلاث هـــي:

١-**الكبـــر**: الذي أوقع إبليس في القطيعـــة واللعنـــة.

٢-**الطمـع**: الذي هو سب المعصية لأبينا آدم حيث أهبط بسببه من الجنة لأنه طمع في الخلود في الجنـــة.

٣-**الحسـد**: الذي دعا قابيل أن يقتل أخـــاه هابيـــل.

ويري الإمـــام أبو العزائم أن هذه الأمراض التي تنتجها المفاسد وتقع بسبب الرذائل.. إنما تقع لأمرين عظيمين.

الأمـر الأول: اختلاف تركيب الجســـم وفساد المزاج.

الأمــر الثاني: مرض النفس من سوء الاعتقاد والعياذ بالله.

ويند تحت الأمر كثير من الأمر والأعراض الناتجــة عنه

ويري رضي الله عنه أن علاج الأمر الأول يكون بفن الطب والتربية السليمة والتنشئة الصحيحة للصغير.

أما علاج الأمر الثاني فيكون بما يلــي:

أولا : أن يبادر من حصلت منه المخالفة – للمرشد إن كان مسترشـــداً فيعرض عليـــه أمره ثم يعمل ما يكلفه به مما هو شفاء لنفسه وتوبـــة من ذنبـــه.

وأما إذا كان ليس له مرشـــد، بأن كان من العلماء أو كان من القائمين بالدعوة إلي الله فالواجب عليه إذا رأي نفسه أوقعته في الحماقة والغضب والعداوة بين الناس أن يبادر بأن يتعرض لسفيـــه أحمد يسببه بين الناس وليتحمل ذلك ويفرح ليعالج نفسه ويرد عليه صحتها، أو يبادر بأن يذل نفسه لمن كان يعظه ويقبل يده ويتوب مجاهداً نفس بترك تلك الصفـــة القبيـــحـــة.

ثانياً: وأكمل دواء المبادرة علوم الدين من أهل اليقين الذين يعلمون الناس الحكمة والموعظـــة الحسنة وبدعوتهم إلي الله علي بصيرة ويجعلون أساس دعوتهم كشف عناية الله بهـــم وإظهار آياته في الآفاق وفي أنفسهم بطريق مقتع التربية والمجاهـــدة

التربية في معناهـــا. نيل الكمالات الإنسانية، ولا ينال الإنسان هذا إلا بالمجاهـــدة للنفس.

وجهـــاد النفس عند الإمام أبي العزائم رضي الله عنه يعني: وقوفها علي الشرع الشريف مورداً لها تنهل منه عذب الحياة فلا تميل لسواه.. وفي الشرع الشريف غذاؤها ودواؤها وشفاؤها وصلاح أمرها.. والله تعالي قد كلف العبد بما يصلح نفسه وفرض عليه ما يحفظ عليه صفاء الفطرة الأولي التي فطر الناس عليها.. والأخذ بالتكاليف الشرعية من إحلال الحلال وتحريم الحرام والبعـــد عن الشبهات هو حصن النفس من المرض أو التردي والهلاك.

ويبين الإمام أبو العزائم ذلك نظمـــاً حيث يقـــول:-

عزم المريـد جهـاد النفس بالعمـــــــل وهمــه حظـــــوة في روضــــــــــه الأمــل

يجاهـد النفس بالأعمـــال يحبسهـــــــــــا عن حظهـا خشيـــــــة التغريـــر والــــزلل

ويقول في مكان أخـــر

جاهـد نفوساً فيك بالشرع الأميــــــــــــــن وأحذر قوى الشيطان في القلب مكيــــــــــن

غل وكيـد من حســود ماكــــــــــــــــــــــر ظلم العبـاد بنيــة في كل حيـــــــــــــــن

هذا اللعيــن بـــه الهلاك فخلــــــــــــــــه أسرع إلي القرآن في الركن المكيـــــــــن

أنواع تركيــة النفوس كما يبنها الإمام رضي اللّه عنـه:

النوع الأول: وبه تكمل تزكيـــة النفس.. المشاهــد عن عين التوحيـــد، وهذه شيمـــة المقربين.. فإن من ذاق حلاوة التوحيـــد في الأفعال والصفات والذات، كان من الأفراد الكاملين، وكان في أعل مراتب المهذبين، لأن اليقين الحق حفظ نفسه من هوى يعميها، ومن طمع يذلها وأمل يقويمها، وعمل يغربها، لمشاهدته أن الكل من الله وبالله إلي الله

النوع الثاني: وهو أرقي مراتب التهذيب.. ويكون بصحبـــة أهل النفوس الطيبة، والمرشدين العلماء العاملين، فقد يكتفي الرجل بمجلس معهـــم لتزكيـــة نفســـه.

النوع الثالث: وهو قمع النفس بزواجر ترك المألوف، وحبسها في سجن الزهــد عن كل شهواتها وحظها والصبر علي ذلك.

النـوع الرابـع: تزكيـــة النفس علي تزكيتها ليدوم أنسها بربها، ولا يكون ذلك إلا أهل الشوق الشديد والغرام المحرق، فقد يفعل ذلك المرشد في تمكينه، والكاشف في شهوده، والسالك في مسلكه، والواصل في نهايته، وهم درجات عند ربهـــم.

الفصـل الثانـي

التربية العقليـة [1]

ما هو رأي مدرســـة الإمام أبي العزائم في الحياة العقلية، وسعيها الفكري. وهلي يري الإمام رضي الله عنه قصور العقل؟ وما رأي في العقل الفعال ؟ وما معنى التربية العقلية عنـــده ؟

إن الإمام رضي الله عنه يري. أن العقل قاصر عن إدراك الغيبيات لكنه يستطيع أن يعقل الكون بما ظهر فيه، وأن يستدل بالآلاء الظاهرة علي قدرة الحق للباهرة.. فيقول نظماً.

يعقل العقل التطور والمبانـــــي ... يفهـــم العقل المكون والمعانـــــي
فوقـــه غيب علي غامـــــــض ... أعجز الأرواح في حال التدانـــي
غيب أقدار وغيب المقتضـــــــي ... غيب أوصافي تري عند التهانـــي

فالإمام رضي الله عنه بهذا قد وضع طريق العقل في تصوره وإدراكاته.. ولا ينبغي له أن يتجاوز ذلك.

وأن هذا الطريق العقلي: هو في مباني الكون وإدراك المعاني أما ماعدا دائرة الكون الظاهر محظور عليه.. ومن ذلك الغيب بأنواعه سواء كان غيب أقدار أو غيب الأسماء والضعف.

ولا يري الإمام رضي الله عنه محركاً للعقل أو أمراً له أو ممداً مثل الشرع الشريف، ويعالج الإمام رضي الله عنه أمر العقل بأسلوب بديع وحوار عجيب عن طريق المحاورة الدائرة بين أعضاء النفس في الإنسان، بعد أن يجرد كل عضو ويوقفه أمام خصمـــه فتلوح الحقائق وتظهر الرقائق ويبدو الأسلوب جداباً إلي أقصي ما يكون..

فيجعل الإمام رضي الله عنه الفكـر يخاطب العقل قائلاً.

لا ترتقي أمم تكون نفوسهـــــــــم	أمارة بالســــــــــوء والآلام
حتي يكون العقل سلطاناً علــــــي	تلك النفوس بصولــــــة الإقدام
كم أهلكت تلك النفوس ممالكـــــــاً	نالوا العلا ومراتب الإعظـــــام
ساسوا وسادوا دمرتهـــم أنفـــس	لم تحتفل بالعقل والإفهـــــــــام
مولاي أدرك بالعدالة واشفنــــــا	من داء أنفسنا وذل مـــــــــلام
حتى تسود سيادة عقليــــــــــة	ترقي بنــور الشرع كل مقــــام

أيها العقل، أنت لطالب الخير الإمام، وبالإقتداء ك تبلغ الأمم أرقي مقام، وأنت المصباح والشريعة زينتك، والأساس والدين بيتك، بك تظهر أنوار الشرائع فيعمل بها، وتلوح حكمتها فيرغب فيها، ولولاك ما اتضحت شريعة لعامل، ولا نيلت بغية لأمل، (راجع كتاب محكمة الصلح الكبري للإمام رضي الله عنه) وبالتالي يحدد الإمام رضي الله عنه موقف العقل من الشريعــة في قولـــه.

أنت المصباح.. والشريعـــة زيتك

والأســــــــاس...والديــــن بيتك

وتكون الصورة بهذا العرض قد تم عرضها بوضوح.. فالعقل من غير الشرع لا يضئ، والشرع أساس تكاليفه وواجباتـــه وجـــود العقـــل.

والشرع الشريف وضع إلهي يسوق العقل إلي مرضاة الله تعالي.. ولكي نقف منه علي حقيقته لا بد من إدراك صورته.. وهذا هو المقصود بالعلم.

وتلك هي التربية العقلية: إمداد العقل بالعلم حتى يقف في مصاف العلماء الراسخين في العلم.

منزلة العالم عند الإمام أبي العزائم رضي اللّه عنـه.

يري الإمام رضي الله عنه وجوب العلم كما يجب الإيمان، ويجمع بينهما في الوجوب

لما بينها من الكمـــال.

والعلم في مدرسة الإمام أبي العزائم تصفو موارده صفاء يجعل الوارد تتملكه الحيرة يأخذ هذا أم ذاك أم جميعـــه ؟ !!!

فالكل تهفو إليه النفس الصافية.. ولكنه لكثرته وتنوعـــه، وعمقـــه وجمعه لليسر مع العمق. وتتعدد مراتبه بحيث يلين اللفظ حتى يأخذ بالنفس المريضة إلي أجواء الصحـــة والعافية ويملأً القلب اعتقادًا يبعث صاحبة علي الاطمئنان بذكر المولي تعالي بما يحمله اللفظ من المعاني...أما عن حديث الأرواح وسبحها في فيضه الطامي فحدث عنه ولا حرج وهذا يدل بحق علي منزلة العلم في تلك المدرسة وما أولاه الإمام إيـــاه.

يقول الإمام رضي اللّه عنه في منزلـه العلـم.

(أول واجب علي المسلم هو تحصيل ما به كمال التصديق الذي هو الإيمان.. لأن الإيمان هو التصديق لرسول الله صلي الله عليه وسلم فيما جاء به من عند الله تعالي وبينه صلي الله عليه وسلم بالقول والعمل والحال حتى وضحت العقيدة الحقة، والعبادة الخالصة، والمعاملة الجميلة، والأخلاق الفاصلة.. لكل مسلم مهما كان عقله.

والواجب علي المسلم. تحصيل ما به اليقين، بطالب العلم الناف الذي حث الله تعالي علي طلبه، وفرضـــه صلي الله عليه وسلم عل كل مسلم ومسلمـــة.

رأي الإمام رضي اللّه عنه في العلوم النـافعـة.

جعل الإمام رضي الله عنك تلك العلوم النافعـــة تنحصر في:

(علم يقوي به يقينك)، (علم تحسن به عبادتك)،(علم تحسن به معاملتك) ((علم تحسن به معيشتك)، (علم تعلم به مكن أنت وما هي الآيات والحكم فيك وفي السموات والأرض وفي الآفاق وتعلم به نسب مراتب الوجـــود حتى تتحقق بمعرفة ربك.

وهذه العلوم يتلقاها المريـــد السالك، والطالب الصادق من المرشـــد والإمام

ويعمل بها علي مسرح النفس ويطبقها تطبيقاً كما تلقاها من المرشـــد، فثمر تلك العلوم العلمية علماً أخر هو العلم الذي لا يمكن تعلمه إلا بالله عز وجــل ومن ذلك العلم علوم اليقين والتوحيـــد وعلوم الغيب بانكشاف معاني الصفات بمقتضي التجليات وظهور خفي الآيات في مرائي المكونات وهو العلم الفيضي.

أنواع العلـوم النافعـــة.

يجمع الإمام رضي الله عنه العلوم النافعة في تفسيره لقوله تعالي: (كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون).. ويفضل الإمام رضي الله عنــه في تفسيره أسرار القرآن قائلاً:

قولـــه: (يتلو عليكم آياتنا): تلاوة الآيات هي أن يسمعنا كلام الله تعالي، وأن يبين لنا ما في الكون من بدائع إبداع آيات الله الدالة علي قدرته وحكمته.

وقوله تعالي: (يتلوا عليكم آياتنا): في تعظيم لحضره رسول الله صلي الله عليه وسلم، حيث أقامـــة سبحانـــه وتعالي ليتلوا الآيات المضافة إلي ضمير المتكلم يلفظ (نـــا) الدالة علي العظمـــة، التي يدل معناهـــا علي أن الآيات التي تتلي من ألفاظ الكتاب العزيز ـــوبيان أسرار الكون ما ظهر للإبصار والعقول وما غاب عنها، حتى تحصل لنا الطمأنيته فيكمل اليقين، وقولـــه (ويزكيكـــم): الزكاة في اللغة هي الطهرة، والمراد هنا – والله أعلم – هو تزكيـــة نفوسهـــم بما يشرحـــه صلي الله عليـــه وسلم لنا من أسرار النشأة الأولي والثانية، وبيان حكم الله في إيجادنا وإمدادناً، وبيان آيات الله الخفية التي لا تعلم ولا تشهـــد إلا ببيانـــه صلي الله عليه وسل، وبع التركية أي التطهر تكون النفس مؤهل لتلقي أسرار التوحيـــد العالية، وتكون قابلة لمواجهـــة وجـــه الله تعالي.

وقولـــه: (ويعلمكم الكتاب والحكمـــة) ذكـــر التعليم بعد التزكيـــة وبعـــد تلاوة الآيات ليعلمنا الله تعالي كيف نعلم الناس، فنبدأ أولاً بتلاوة الآيات، ثم نقدم الوسائل التي بها تزكو نفوسهـــم، ثم نأخذهـــم بالعلم علي قدر عقولهـــم، حتى يحصلوا من العلم ما به تخشي قلوبهـــم من الله تعالي.

والكتاب هو القرآن المجيــد، وتعليمـــه كشف أسراره وبيان حكمـــه، وعلم الهيئات في الأحكام الدالة علي العبادة بتفضيل المجمل منها بالعلم حتي تكمل النفس ويكمل الجســم (والحكمـــة) وهي أقوال رسول صلي الله عليه وسلم وأعماله وأحوال التي يتذوقها من سمعوا التلاوة وزكت نفوسهــم وتعلموا الكتـــاب .

وقولـــه (ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) من العلوم التي لا تحصلها العقول ولا الأبدان وتلك العلوم نوعان: نوع عملي، ونوع شهــودي.

أما العملي: فما يتعلق الواجب علي الإنسان لله، والواجب عليه لوالديه ومن يليه في منزل، ولجيراتـــه، ولأهل بلـــده، وللمسلمين جمعياً أين كانوا.

وأما الشهــودي: فإن الإنسان لا يمكن أن يعلم ما يحبه الله تعالي ويرضاه منـــه سبحانـــه بالعقل ولا بالجسم، ولكن يحصل تلك الأسرار من رسول الله صلي الله عليه وسلم.

(ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) بأنفسكم. من علم النفس وعلوم التوحيــد والغيب، وعلوم المـــادة إلي أن تعرفوا الله تعالى، فتكونون معـــه ويكون سبحانـــة معكـــم.

رأي الإمام في بعض العلــوم الأخرى.

رأيه في علم النطق أنه لازم للإنسان :

يرى الإمام رضي الله عنه أن هذا العلم يوجد مع كل إنسان في إبان حياته. حتى أنه ليكاد يكون من البديهات ثم ينمو بعد ذلك مع كل إنسان. "" فالطفل بعد الرضاع يعلم أكثر البديهات فيعلم أن البعض أقل من الكل ويبكى ليأخذ كل الشيء إذا طلبه فأعطوه جزءا منه، ويعلم أن الكل أكثر من الجزء، ويعلم أن الأرض تحته والسماء فوقه، ويشعر بمرتبه أبيه وأمه وأخيه والأجانب عنه، ويفرح إذا أعطى له ما يسره، ويبكى إذا منع عنه ما يريده، فيحس بالمنع والإعطاء، ثم تنمو تلك الغرائز المنطقية بنموه حتى يدرك ما غاب عنه من الآثار بمشهده، فيعتقد أن البعرة تدل على البعير، والصنعة تدل على الصانع، ويقيس الأمور بأشباهها. فليس علم المنطق من وضع فلاسفة اليونان الذي جعلوه لاستبعاد الأمم وللاستعانة به على سد المطامع وإتقان الصناعات، ولذلك فإن أعلم الناس بدقائق علم المنطق يعجز عن أن يقيم دليلاً مقبولاً عقلاً على إثبات أي

حقيقة من الحقائق المقررة، فكيف يمكنه أن يقيم دليلاً على ما غاب عن الحس والنفس والعقل.

رأى الإمام في تربية المرأة وتعليمها:

وقبل أن نترك المجال التعليمي في مدرسة الإمام رضي الله عنه.. نذكر رأى الإمام في العلوم التي تتعلمها المرآة والتي ينبغى لها تحصيلها وكيفية تحصيلها فنذكر قوله: (تتعلم الإيمان ثم تحفظ ما لابد منه من القرآن، خصوصاً الآيات التي تتعلق بالعفة،، والأمانة، وأركان الإسلام من صلاة وصيام أولاً، والزكاة والحج عند تعيينها عليها، وكتاب الأدب من كتب السنة مع تفضيل باب المعاشرة ومعاملة الجيران والأرحام والأقارب، وثواب من يتولى مريضاً، وبعض بعض الأخلاق من الرحمة والشفقة على الخلق والصلة، ليتعلم ما يجب عليها لوالدة زوجها ووالده وأقاربه، ويمكنها أن تقوم بتعليم أبنائها الصغار ما تعلمته من العقائد الحقة والعبادة والأخلاق حتى لا تكون سبباً في فساد عقائد الأبناء ونقش الأباطيل والبدع على صفحات قلوبهم من الطفولية، فإن تكلمت بعلم أحكام الحيض والاستحاضة واليمين بالله وكتاب العورات وعلم من يحل لها إن تبدى زينتها له أو يحرم عليها، كان ذلك كمالاٌ لها، ولو زادت على ذلك أخذ شيء من علم اللسان يجعلها إذا كتاباُ تميز بين الفاعل والمفعول، والمحكوم عليه والمحكوم به أو قرأت حديثاً لا تلحين فيه كان ذلك من الفضائل).

أما عن الآداب التي تتعلمها المرأة فيقول رضى اللّه عنه:

(تتعلم كيف تطيع زوجها وكيف تحفظ عرضها وتعاشر أقارب زوجها، وكيف تتصرف في المملكة التي صارت رئيستها، وتتعلم الاقتصاد في الملبس والزينة والحلى والأكل والشرب، وتتعلم أن تكون رياضتها البدنية في أوقات فراغها بتنظيف الحجر وتركيب الأدوات والبحث عما يحفظ الأثاثات المنزلية وما يجعل زوجها منشرح الصدر منها، وما يجعل أبناءها في صحة وعافية، وتتعلم آداب المجالسة مع أقارب زوجها وغيرها من النساء،وآداب المعاشرة وآداب السلوك فى السفر والحضر).

أما الأخلاق التى تتعلمها المرآة فيرى الإمام رضي الله عنه:

(أن تتعلم النفور من كل أجنبي لا يعنيها التكلم معه، والوحشة من كل رجل يتعرض لها الا لحاجة شرعية، والحدة على كل امرأة تذكر أمامها غير زوجها أو تذكر لها أجنبياُ، والعفاف بتعصب أعمى والغيرة على كل عضو من أعضائها أن يراه غير زوجها أو محرمها، حتى أطراف أصابعها، حتى تكون امرأة مصونة عفيفة، وهكذا النساء الفضليات كن يسترن حتى أطراف أصابعهن).

أصول وآثار فى التربية العقلية

عند الإمام رضي اللّه عنــــــه (١)

ما دمنا الآن بصدد التربية العقلية.. وقلنا إن العلوم هي نور العقل المفاض عليه من الشرع الشريف والذي يستضيء بنور الفهم ويخرج من ظلمات الوهم، فإن ما وضعه الإمام من مؤلفات علمية وأصول تربوية يفوق الحصر. لكننا سنثبت من ذلك - باعتبار تلك الكتب والإملاءات والشروح والمواجيد أصول تربوية في مدرسته - بعضها حتى نكون بذلك قد استوفينا جانب التربية العقلية..

ومن هذا التراث التربوى:

١ - **أسرار القــــــــــــرآن**

تفسير للقرآن الكريم يجمع مع القول المأثور.. التفسير الاجتماعي والفقهى، والأخلاقي مع إبراز صورة التربية الإسلامية والمراد منها.

٢ - **أصول الوصول لمعية الرسول**

٣- كتاب شراب الأرواح من فضل الفتاح.. وهو كتاب جامع لكل ما يلزم المريد من علوم الدين عقيدة وعبادة ومعاملة، وتفصيل علوم القلوب ومواجيد أهل اليقين.

٤- **معارج المقربيـــــــــــن**

٥- **مذكرة المرشدين والمسترشدين**.. وقد قال الإمام عن غرض الكتاب الأول: (هو تنبيه السالكين والمرشدين إلى ما به صفاء جوهر النفس حتى تفقه القلوب أسرار الشريعة، ويظهر لها أن الخير كله في الدنيا والآخرة بإتباع السنة، وأن نوال السعادة الحقيقة فى الدنيا والآخرة بفهم روح الكتاب والسنة وتعليم العلوم النافعة)

٦- **النور المبين لعلوم اليقين ونيل السعادتين**

وهو كتاب وضعه الإمام ليبين فيه الواجب للمسلم وعليه.

٧- **الإسلام دين اللّه وفطرته التي فطر الناس عليها**

٨- **الإسلام نسب يوصل إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم.**

٩- **الإسلام وطن والمسلمون جميعا أهله.**

وهى كتب ثلاثة منفصلة وضعها الإمام رضي الله عنه لبيان ما على المسلم لمجتمعه والعكس.

١٠- **الفرقة الناجيـــــــــــــة**

وفى هذا الكتاب جمع الإمام رضي الله عنه ما كان عليه السلف الصالح فى تلاوة القرآن وفى عبادة الله تعالى، وفى المعاملة، وفى الأخلاق، وما كانوا عليه من أعمال القلوب. والكتاب جزءان طبع الجزء الأول منه ولا يزال الثانى مخطوطاُ.

١١- **وسائل إظهار الحـــــــق**

كتاب فى الرد على المبشرين والمستشرقين.

١٢-**محكمة الصلح الكبـــــرى**:

كتاب تربوى يأخذ من النفس الإنسانية جميع أطرافها فيضعهم موضع التضاد على مراتبهم فى الحقيقة ويترك لكل من الأعضاء أن يدافع عن نفسه، ويعرض قضيته وحاجته أمام محكمة من النفس أيضاُ متخصصة.. وبعد أن تلوح الحجج، ويقل اللجج، تصطلح النفوس.. وهو كتاب في التربية غاية في الإبداع وحين تعقد النفوس صلحاُ وتعقد بالصلح عزماُ على مواصلة الحياة فهو نوع فريد وقلائد منظومة من درر معقودة يعجز البيان عن إنزالها منزلتها

١٣- **الطهور المدار على قلوب الأبرار**

والكتاب إجابة عن أسئلة عن المجددين ومآخذهم، وأساس التربية عند الإمام للطالبين ومجاهداتهم، وسر احتياج المسلم إلى هذه التربية، وبيان عن المرشد والسلوك..

١٤- **تفصيل النشأة الثانيـــــة**

كتاب وضعه الإمام رضى الله عنه إجابة على سؤال من أحد تلاميذه وهو محمود باشا سليمان.. وفيه شرح لأحوال البرزخ وما بعده.

١٥- **عقيدة النجـــــــــــاة**

كتاب يشرح العقيدة كما جاءت عن السلف الصالح.

١٦- **الشفاء من مرض التفرقة**

وهو إجابة على سؤال يطلب العلاج من التفرقة والشفاء من هذا الداء العضال وهو تربية للعلماء والدعاة.

١٧- **دستور آداب السلوك إلى ملك الملوك**

وهو شرح لبيان ما لابد للمريد منه فهو قاعدة فى التربية والآداب

١٨- دستور السالكين طريق رب العالمين

. وهذا الكتاب يحمل رسالة الآداب التي يجب أن يتخل بها السالك فى طريق الله.

١٩- بشائر الأخيار فى مولد المختار

وهو قصة وسيرة وتاريخ للنبي صلى الله عليه وسلم.. وفيه كشف الدافع عن جمال الغيب المصون، وإماطة اللثام عن غوامض الأسرار في بعض مقامات النبي صلى الله عليه وسلم

٢٠- السراج الوهاج فى الإسراء والمعراج

وفيه شرح وتفصيل جميل العبارة على الإشارة فى مقام الإسراء والمعراج.

٢١- صيام أهل المدينة المنورة

وفيه قبس مضنون، ودر مصون في معنى الصيام ورتب الصائمين وشرح لآياته وكشف لبيناته

٢٢- تفسير سورة القدر

وهى رسالة صغيرة كشف فيها الإمام رضى الله عنه أسرار ليلة القدر

٢٣- هداية السالك إلى علم المناسك

رسالة فى المناسك بين فيها الإمام رضي الله عنه آداب السفر من خروج الحاج من بيته إلى أن يصل إلى مكة المشرفة، وأركان ألحج وفضائله، مشيراُ إلى حكم تلك الأركان والفرائض، ملمحاُ إلى حج الروح بعد بيان حج الجسم.

٢٤- الوسيلة وما اختلف فيه من السنة والبدعة

جواب عن سؤال عن حكم التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم شرعاُ وعقلاُ، وحكم الصلاة على النبي بعد الأذان، مسائل أخرى.

٢٥- الجهـــــــــــاد

وهى مقالات كان يكتبها الإمام في مجلة المدينة المنورة جمعت ثم طبعت.

٢٦- من جوامع الكلم

وهى حكم للإمام رضي الله عنه مما كان يميله على أبنائه وتلاميذه.

٢٧- الطريق إلى اللّه

وهى مقالات للإمام في مجلة المدينة المنورة جمعت ثم طبعت فى كتاب باسمه.

٢٨- حديث الجمعة

عبارة عن دروس كان يلقيها الإمام عقب صلاة الجمعة من كل أسبوع شرحًا للآيات التي كان يقرؤها المقرىء قبل الصلاة.

٢٩- منازل السالكين

اسم لكتاب تحت الطبع.

٣٠- الفتوى الشرعية فى بيع أرض فلسطين لليهود

وتسمى تحذير الدين من بيع أراضى فلسطين.

٣١- رسالة إلى المرأة المسلمة

٣٢- رسالة إلى الرجل المسلم

٣٣- إنسان المؤمنين وإنسان الملحدين ردًا على نظرية داروين.

٣٤- دروس في قصص.

٣٥- الجفـــــــــر

وهو كتاب يجمع خمس عشرة قصيدة فى علم الجفر، وفيها بيان لاجتماع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم.

٣٦- الفتوحات الربانية والمنح النبوية فى الصلاة على خير البرية

والكتاب مجموعة من الأدعية والتوسلات لطلب العون من الله تعالى وصيغ من الصلوات على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهى أحزاب وفتوحات حسب أيام الأسبوع.

٣٧- نيل الخيرات بملازمة الصلوات

جملة أوراد الليل والنهار وختم الصلاة والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٣٨- وقال ربكم ادعوني أستجب لكم

وهو أدعية واستغاثات.

٣٩- مشارق البيان في فضائل شعبان

٤٠- أكمل الصلوات على سيد الكائنات

٤١- الخمر رجس من عمل الشيطان

٤٢- وسائل نيل المجد الإسلامي

المخطوطات من التراث

حفظ لنا من التراث الكثير فطبع بعضه أثناء حياة الإمام وبعضه بعد انتقاله وهناك إلى الآن بعضًا لا يزال مخطوطًا نذكر منه على سبيل المثال :

١- المضنون والمكنون:

هو كتاب **فيه أسرار العلوم، وغوامض المفهوم من الحكم العالية، والأسرار الغالية.**

٢- موارد أهل الصفا:

وفيه يرد الإمام على رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا مبيناُ حقيقة الصفا ومورد أهل الصفا وهو الرحيق المختوم من القرآن الكريم.

٣- سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: وتقع هذه السيرة في ألفى وخمسمائة صفحة من حجم الفلوسكاب

٤- تفسير القرآن الكريم:

فبعض التفسير قد طبع ومنه ما زال مخطوطاً

٥- الجزء الثاني من الفرقة الناجية

الفصل الثالث

التربية الأخلاقية

عند الإمام أبى العزائم (١)

لقد وضع الإمام رضي الله عنه إطاراُ للخلق الفاضل يظهر أثره في الغير، ولما كان الإنسان في تربيته ملازمًا للقدوة متربيًا على يديه كان لزامًا أن يظهر الخلق أول ما يظهر مع الأستاذ والقدوة والمرشد.

ثم هناك للطالب إخوان يصحبوه فى التربية ويسيرون معه في نفس الاتجاه، فكان تبعاُ لذلك عليه أن يتخلق فيهم بالأخلاق الفاضلة.

وقد وضع الإمام تلك التربية الأخلاقية سواء في صحبة الأستاذ أو الإخوان آدابًا يسير عليها المتعلم حتى ترسخ فيه فتصدر عنه بعد ذلك بغير فكر وروية. أي تصبح له خلقًا يعتاده وهيئة تلازمه..

أولاُ: الآداب الأخلاقية

فى صحبة القدوة (المرشد) (٢)

وجب على المريد حسن الصحبة للمرشد، وإحسان العشرة معه، والتأدب بأدب الصحابة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا ما وضحه الإمام فيها:

الأمر الأول:

المحافظة على تحصيل علومهم، وفهمها فهماُ حقيقياُ يطمئن به القلب، والسؤال منه عن كل ما وقف عن إدراكه الفكر أ قصر عن فهمه العقل ولزم فى هذا أن يقيدا يتلقاه فى بطون الدفاتر خشية ضياعة أو نسيانه.

الأمر الثانى:

التشبه بالعلماء الهداة المخلصين لربهم فى أساليب عباراتهم وطرق تعليمهم وفنون استدلالهم، وجميل أخلاقهم، ولطيف سمتهم، وظريف هديهم، حتى يكونوا نسخة كاملة طبق الأصل.

الأمر الثالث

العمل بما عمله من غير تأن.. ولو كان في العمل عناء لنفسه أو ضياع لجاهه وماله، أو فقد لعضو من أعضائه.

الأمر الرابع:

الصبر على جفوة العالم الربانى، وإن جفا، فإن للعلماء دالة على الطالبين، وامتحاناُ لأخلاقهم واختيار يكشفون به ما طوى عنهم من فطرهم.

ثانياُ: الأخوة فى الّله وأدابها (١)

معنى الأخ فى الّله تعالى:

الأخ فى الله تعالى هو الصاحب في السفر إلى الله تعالى والمذكر في الحضر.. ولذلك أولى الإمام رضي الله عنه الأخوة كل عناية، واشترط لها كل رعاية، فجعل للأخ شرطاُ وصفة وحقاُ وتعريفاً.. فيقول رضى الله عنه الأخ فى الله:

" هو أنت إلا أن شخص آخر، لأنه ما يقصده يقصده ويتمنى ما تتمنى، ويعتقد ما تعتقد، ويعمل بعملك ويقتدى بقولك وعملك وحالك، ذاق ذوقك، وفهم عبارتك، وأدرك إشارتك، يسعى فيما يرضيك ويحب من تحب، يصادق صديقك، ويعادى عدوك، يحفظك غائباُ، ويسرك حاضراُ، يذكرك إن غفلت، ويعنيك إن ذكرت، يساع فى مراضيك عندما ترضى الله، ويتوقف عن العمل إن جهل حكم عملك، حتى يتبين له بدون جدل ولا انتقاد ولا اعتراض. تجمل بكل خصالك،واتصف بكل صفاتك،ودك بأكمل ما يود به نفسه، وتحمل الشدائد فى جمع الكلمة، يجاهد نفسه ليتجمل بمكارم الأخلاق. يصل رحمك ويكرم أقاربك ويعطف على أولادك. هذا هو الأخ ولو كان بعيد النسب عنك.

الأخ هو أنت خلقاُ واعتقادًا ومقصدًا وعملاً وحالاَ. الأخ من بذل نفسه قبل نفسك، وماله قبل مالك، وقدم أصدقاءك وأهلك وأولادك على خاصته وأهله وأولاده. ليس الأخ بنسب الأبوين إنما الأخ من ناسبك فى خصوصياتك، وتشبه بك فى جميع أحوالك، قرب منك بما جملك الله به فصار قريبك، وانتسب إليك بما تقربت به إلى الله تعالى فصار من نسبك، الأخ من لا تتكلف له ولا تخشى الشر منه استوى عندك السر والعلن معه، وأنت عظيم فى عينه وقلبه فى كل أحوالك، من يسر وعسر وبعد وقرب، إن شددت يسر وإن يسرت هابك، سروره أن تكون مسرورا، هذا هو الأخ (وقليل منهم) "

مراتب الإخوان:

من سبقك ولو بيوم فى صحبة الشيخ فله عليك فضل السابقية، ثم تصلهم بقدر مجاهداته وبذلهم وموالاتهم وكمال اتباعهم وحسن أخلاقهم وصدق تسليمهم، فقد يفضل الواحد على الألف لما أختص به من الفضائل والكمالات....

وعلى الإخوان أن يعتقدوا الإحسان فى غيرهم، والنقص فى أنفسهم، وأن يغضوا عيون البحث عن عيوب بعضهم، ويصموا آذان التنقيب عن نقائص بعضهم، فإن المريد ليس معصوما ولا رسولاُ ولا ملكًا نورانياُ مجردًا عن لوازم البشرية، وعلى كل أخ أن يشتعل بتطهير نفسه وتزكيتها من عيوبها، وأن ينظر لنفسه بالانتقاد أو البحث عن دسائسها ومساوئها، وينظر لكمالات إخوانه ليتكمل بها.

الآداب الأخلاقية فى الأخوة:

ذكر الإمام رضى الله عنه جملة من الآداب العمومية التى هى ميزان حياة الإخوان وصراط سعيهم المستقيم، وهى آداب كثيرة عاصمة للأخوة وحافظة لها.. ومنها:

أولاُ: الإخوان كثيرون إلا أنهم جسد واحد كل منهم عضوا لهذا الجسد وروح سارية فى كل عضو من أعضائه، وكل عضو متصل بالجسد فعله لنفع الجسد فإذا انفصل من الجسد لا ينفع الجسد ولا ينتفع. فالأخ فى الله يخدم لينفع إخوانه وينتفع بمنفعتهم، ومن أحب نفسه فليس منهم.

ثانياُ: إذا عاتب أخ أخاه أو خاصم، وكان لأحدهما أقارب أو أصدقاء من الإخوان أو كان بين أحدهما أو بعض الإخوان شىء فى النفس. فالواجب على الإخوان أن يجعلوا الحق أكبر من أن يميلوا إلى القرابة، وعلى من في نفوسهم شيء، أن يروا الحق أجل وأعظم من أن يخالفوه لحظ نفساني.

ثالثاُ: إذا رأيت من الأخ هفوة أو زلة، فلا تفشها لأحد ولكن اجتهاد فى تقبيحها أمامه بالحكمة حتى يتحق قبحها ويتوب، واحذر أن تشيعها عنه فربما سمعها منك جاهل بالنصيحة فبلغها له، أو زجره عنها بحالة تنفره فتقطعه عن الله وتكون سبب ذلك.

رابعاُ: إذا جاهر أحد الإخوان بما يخالف الشرع، أو ما يخالف المرشد فالواجب على جميع الإخوان أن ينصحوه، فإن قبل فبها وإلا هجروه،فإن تاب فبها وإلا قطعوه عن نسب الأخوة، وأعلنوا ذلك لجميع الإخوان حتى يشاع عند الناس جميعاُ، فلا تنسب عيوبه للإخوان.

خامساُ: من أكمل صفات الإخوان أن يؤثر كل منهم أخاه على نفسه، ولو فيما هو محتاج إليه. كما قال الله تعالى: (ويؤثرون على أنفسم ولو كان بهم خصاصه). " الحشر ٩ "

سادساُ: لما كان الحب إنما هو في الله – لمعان يحبها الله تعالى ويحبها رسوله ويحبها الإخوان والمؤمنون – وأهم هذه المعاني – أن يكون الأخ يعتقد عقيدة إخوانه والمؤمنين ويرى رأيهم ويعمل أعمالهم بحيث لا يخالفهم في معروف من الدين ثم يكون ميزانه فى الحب بقدر أخلاقه وإيثاره إخوانه على نفسه بأن يرى أنه أقل منهم، إذا تحققت تلك الصفات في الأخ، وجب حبه واحترامه وتعظيمه.

سابعاُ: أيها الأخ – أيدك الله وإيانا لإتباع الكتاب والسنة – اعلم أنك إذا جلست تذاكر من يخالف في طريقك.. بذكر خصوصيات شيخك، أو أنوار طريقك، أو بيان أن طريقك هو الطريق القويم والصراط المستقيم الذي كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فإنك بهذا تنفره منك، وأنت مكلف بدعوة النصراني واليهودي إلى الله تعالى، فإذا كنت لا تحسن أن تدعو أخاك المسلم إلى ما علمت من الحق فكيف تكون داعياُ لله تعالى.. لا تقل إذا لم تحسن أن تؤلف إخوانك المسلمين.. أنك داع ولكنك منفر.

ثامناُ: إخواني – منحنا الله الحكمة والحب والسكينة – اعلموا أن المراد من الدعوة إلى الله تعالى.. نجاة العامة من نومة الجهالة، وظلمة الغفلة، وحجاب الغرور بالدنيا، ولا يكون ذلك إلا بالشفقة والحكمة والرحمة والمحافظة على عباد الله من وقوعهم في عداوة أولياء الله، ومن إنكار الحق وإزلال أهله.

تاسعا: إخواني – منحنا الله الحلم والتأني اعلموا أنه من أشد الشر أن يكره المسلم أخاه المسلم لغير معصية الله وينفر منه ويعاديه، كما يحصل بين أهل المذاهب وأهل الطرق، فإن كان أهل الطريق يبغضون من لم يسلك طريقهم ويعتقدون أنهم على الحق، وأن غيرهم على الباطل، وقد يبلغ يهم العناد إلى أن يلعن بعضهم بعضاُ، ويكفِّر بعضهم بعضًا من غير بينة ولا حجة من كتاب ولا سنة، بل للحمية الجاهلية والعصبية الجهنمية.

فيا إخواني: جعلني الله وإياكم نورًا للقلوب، وانشراحًا للصدور، كونوا رحماء حلماء حكماء وأحبوا كل أهل: لا اله إلا الله محمد رسول الله، حباُ للكلمة وحباُ لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم.

عاشراُ: إن بعض الإخوان ممن يجهل المراد من الطريق، قد يفتح أبواب الجدل والعناد حتى يتظاهر بعمل المنكر، أو ترك المعروف عنادًا، ويجهل المسكين أنه بذلك قد أغضب الله

ورسوله وخالف محجة الطريق.

فيا إخواني – حفظنا الله وإياكم من البدعة، وحصننا بحصون الشريعة – إذا رأيتم أخاً من الأخوان يفعل ذلك فعليكم جميعاً أن تردوه إلى الحق وأن تكلفوه أن يقتدى بالمرشد حقيقة الإقتداء، فإن أبى إلا العناد فالواجب على الإخوان اتخاذه عدوا لهم، وكيف لا يتخذوه عدواً وقد عمل ما يغضب الله ورسوله وخالف المرشد.

وهذه الآداب التي رويناها، وغيرها مما هو مبثوث في كتب الإمام رضي الله عنه هي بحق وثائق أخلاقية بمثابة نظم للمسلمين عامة ولأهل التعليم والتربية خاصة ولو أمعنَّا النظر فيها.. لوجدناها اختصاراً لمنهج حياة فاضلة وأسلوب للسير رفيق فالجماعة كالجسد الواحد.. وسلامة الأعضاء فإن حقير الأعضاء كأفضلها ما دام قائماً بعمله.

على أنه يجدر بنا في هذا المقام وقبل أن نتركه إلى غيره، أن نذكر أمراً يجب علينا ذكره، وهو تلك الأخلاق أو التربية الأخلاقية هي بعض قليل مما سطره الإمام أبو العزائم رضي الله عنه ودونه وشرحه في قصائده ومواجيده، وهناك غير ذلك مدونات ومطبوعات ومخطوطات لو جئنا بها في التربية الأخلاقية لكانت كثيرة جداً، ولكان استقصاء ما يحتاج لأعوام بدلاً من الأيام.

ومن مواجيد الإمام أبى العزائم ما يعد نظاماً راقياً في التربية الأخلاقية.. أنظره يقول:-

أيا رفقتي يا خلتي يا أحبتـــــــــــــي	علي العروة الوثقي فسيروا ورافقـــــــوا
إلا فاجتماعا بالقلوب وألفـــــــــــــة	وعوناً علي عمل المكارم تلحقـــــــــوا
وإياكــم أخلاق إبليس إنهــــــــــــا	لقد أبعدتـــه وهو طاووس رامـــــــــق
دعوا الكبر والحســد القبيحين سادتــــي	دعــوا طعماً فيما يزول وسابقـــــــوا
وستراً لعورات الأحبــة كلهـــــــــم	وعفواً عن الزلات فالعفو أرفـــــــــق
وغضوا عن المكروه أعين عفـــــــة	وجودوا ببشر فالسماحــة رونـــــــق
وإياكم وعدوكم سوء خلقكـــــــــــم	وطعماً وحب الجـاه فهو يفـــــــــرق
تواودا بروح الله في الله وأبذلــــــوا	لإخوانكم بشر اللقا وتعانـــــــــــوا
وكفوا عن التنفير واسعوا لجمعكـــــم	علي الله فالدنيا متاع مفـــــــــــارق
ألا من يكن في قلبه بعـــــــض ذرة	من الكبر والأحقاد ما هو ذائـــــــق
ألا طهروا الأخلاق والنفس زكهـــــا	وإلا فهم لبعد يرمي فيقـــــــــق
إلا يا أخي بالذل ترقي وترفعـــــــن	وبالزهــد تعطي ما له تتشـــــــــوق
تخلق بأخلاق الإلــه وحافظـــــــــن	علي منهج المختار في العقد تنســـــق
ودع عنك ميلاً للحضيض وزينـــــــة	بهــا اشتغل اللاهــون عنه وفارقـــوا
وقم داعيا بلسان حكمته التي	بها قد حباك الله وهو الموفق
ولا تسع للتفريق وأجمع بــه لــــــــه	عليــه أولي التسليم إذا أنت واثـــــق
الا سارعوا أحيوا لسنــة أحمـــــــد	قتنه هذا العصر كلنا تحـــــــق

ألا أطفئوها باليقين تجــــــــــــــــــــــردوا　　علي الحظ والأهــواء فالحظ مفــــــــــرق
وجدوا وجودوا بالنفوس تحفظــــــــــــــــاً　　علي السنـــة الغراء فالله خالــــــــــــــق
ألآ بتعموا لله مالاً وأنفســــــــــــــــــــاً　　بمدلول (إن الله) والذكــر ينطــــــــــق
وعلماً بأن الدين حسن عقيـــــــــــــــدة　　وأنوار أخلاق بها الكشف يشــــــــــرق
ألا خلصوا الأرواح من سجــن نأيهــــــا　　وجدوا لتزكيــة النفوس وسابقــــــــــوا
ألا جاهدوا تلك النفوس بهمـــــــــــــــة　　تفوزوا برضوان من النار تعتقـــــــــوا
علي ســنة المختار سيروا بهمـــــــــــة　　عسى الله يحيين به ويوفق

ويمحو بنا الإلحاد والبغي والجفـــــــــا　　ويشرق شمس الدين والشرق مشـــــــرق
ألا فابغضوا من أكـد الله بغضــــــــــه　　أحبوا بحب الله والحظ فارقـــــــــــوا
ألا فاحفظوا الأركان أركان ديننـــــــــا　　صلاة صياماً ثم حجاً تصدقـــــــــــوا
أديموا لذكر اللـــه فالذكـــر نوره　　بها وتسودوا في القيامــة تسبقـــــــوا
أل عظموا لشعائر الله تعظمـــــــــــوا　　بها وتسودوا في القيامــة تسبقـــــــوا
إلهـــي علي طـــه الحبيب محمـــــــــد　　أفض غيث إحسان به القلب يشـــــــرق
وآل وأصحـــاب كرام أئمـــــــــــــة　　ومن تابعوا المختار بالحال صدقـــــــوا

وهذه الأخلاق من أغلي الفضائل: إذا رعاها الإنسان في تربية أثمرت ثمرة طيبـــة، وجاءت بخير للمرء وغيره من الناس.. وعم المجتمع الأمن والسلام.

الفصل الرابع

التربية الروحية عند الإمام أبي العزائم (ر)

الروح في تعريف الإمام أبي العزائم

لا يكـاد كتاب من كتب الإمام رضي الله عنـه أو قصيدة منظومـة لـه تغفل جانب الروح (النفس الناطقـة) فيتحدث الكل عنها في ماهيتها وخفائهـا وعدم إدراكهـا.. أو في سعادتها وأحوالها المتعددة فيقول رضي الله عنهـا.. عنها (في أسلوب محاورة العقل وإنبائـه المحكمـة الإنسانية كوزير لها في محكمة الصلح الكبرى) بأعذب أسلوب تربوي.

(النفس الملكية محجوبـة عن الأبصار، لأنه مفارقـة للمحيز من الآثار، وتعرف بأعمالها الحسان، ولا يظهر جلية إلا في الجنان، أو لنبي مرسل، وكيف تظهر وهي من نور صاغها الله، لا يشهدها إلا من صافاه. قال الله تعالي (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمـر ربي وما أوتيتـم من العلم ألا قليلاً) (الإسراء: ٨٥).

(ويواصل العقل حديثة عن الروح كأنه وزيـر لها بأسلوب الإمام رضي الله عنه في الكتاب) فيقول: فأنا وزيرها الأول، وعلي في شئونها المعول، فهي كالشمس في رابعـة السماء، ونورها مشرق علي الأباطح والمنخفض من الماء، فهي وإن أشرق نورها لا تداني ولا يدرك أحـد حقيقتها ولو فيها عاني، فأسمع مني بعـد التحقق بقولها ذلك عني فإني ألقـي عليك بياني عنها بلساني وجنانـي.

الروح يا عدل فـوق العقـل إدراكهـا	لم تدركـن وبذاك العقـد أنباكـا
قد أعجزت وهي من آيات خالقهـا	فيكف تدرك يا مخلـوق مولاك
الروح صيغت من النور العلي فلم	تدرك بعقل وهذا العقل أفتاكا
الكل فيها حياري جـل مبدعهـا	سلم لمن يجلي العلم ناجـاك

بهجة الروح وتربيتها:-

يقتصر الإمام رضي الله عنه الطريق علينا، فيبين أن حاجـة النفس الملكية يتركـز في الاتصال بعالمها وبما هو منـه من علم أو عمل أو حـال.

فإذا نالت شيئاً من ذلك أسعـدت وتهنت وظلت مبتهجـة مسرورة، وإن حرمت تلك العلوم والأعمال والأحوال شعرت بتعاسـة وانتكاسـة وحبس وضيق.. فيقول (النفس الملكية تواقـة إلي عالمها العلوي، تشتاق للاتصال به علماً وعملا وحالا، ولكن الفطر البشرية تحول بينها وبين ما جبلت عليه من الاستشراف إلي علومها ومعارفها ومشاهدها، فإذا أكرم الله الإنسان بعالم عامل بجميع الأعمال وعلي الأحوال، وكانت قواه البشرية متوسطـة لا تحجب النفس الملكية عن شهود علومـه وأعماله وأحوالـه، فإن النفس بميل الإنسان

إلي هذا العالم تستيقظ من نومه بحظوظ الجسم واشتغاله بأهوائه. فتشرق عليه شمس أنوار الملكوت وتنكشف له حقائق الأسرار وما عليه العال العلوي من المشاهدات، والقيام بالطاعات والقربات، فتحصل العزيمـــة والرغبة والشوق والولـــه والمسارعـــة إلي المزيـــد من العمل وتحصيل المعارف الحقـــه، والعقائـــد الحقـــة حتى يتشبه بالملائكة الروحانيين، وتدوم منافسته حتى تجلى له حقائق صادقـــة في نفسه وفي الآفاق فتبدل صفاتـــه وأطواره ومعارفـــه وعقائـــده، وأعماله بالمعاني الروحيـــة حتى يكون روحانياً حقاً ربانياً صدقاً).

منهـج الإمام رضي اللّه عنه في تربيـة الروح:

للإمام رضي الله عنه مناهـــج عليه تسعـــد الروح بمنازلتها من الطهور المدار علي قلوب الأبرار، وشراب الأرواح من فضل الفتاح، وسعادة الروح ولذتها أن تري سراً فيما حولها.. أو فيضاً من غيبها.. وهذا محمود في كتب الإمام رضي الله عنه مثل الطهور المدار، وشراب الأرواح، ومعارج المقربين، ومحكمة الصلح الكبري.

والغذاء الروحي، والتربية الروحية بحق إنما هي في القصائـــد النظميـــة وهي بحمـــد الله كثيرة جـــداً.

أسلوب الإمام رضي اللّه عنه في هذا المنهـج.

تعـــد المواجيـــد أخص تربية روحيـــة متبعـــة لمنهـــج الإمام أبي العزائم، وبأسلوب عذب رقيق يأخذ الروح حيث عالم النور الذي تصبو إليـــه.. وأسلوب القصائـــد والمواجيـــد يتسق مع التربية في الأمور التالية:

أولاً: بواعث الشوق والحنين إلي عالم النـور.

الذي منـــه بدايتها وكان فيـــه شهودها وإشهادهـــا في (ألست بربكـــم) أي يوم العهـــد والميثاق علي الأرواح بربوبيـــة الخالق تعالي بعـــد جمعها في صعيـــد واحـــد (وإذا أخذ ربك من نبي آدم من ظهورهـــم ذريتهـــم وأشهدهـــم علي أنفسهـــم ألست بربكـــم قالوا لي شهدناً أن تقولوا يوم القيامـــة إنَّا كنا عن هذا غافلين. " الأعـــراف ١٧٢ "

ولذلك نري الإمام رضي الله عنه دائـــم الذكـــر لـــه فيقول:

تراءي لي ألست عينـــــــــــــــــا	جذبت بـــه إليه بصدق رقـــــــــــــــــي
سمعت ألست كشفاً في اتصالـــــــــــي	بـــه رأيت نور الوجـــه فوقـــــــــــــــي
تجلي ظاهـــراً في الكون حتـــــــــــي	بـــه أفني شهودي حال محقـــــــــــــــي
أنـــا سترت ولاح الوجـــه نـــــــــوراً	فأثبتني لـــه عبداً بعتقـــــــــــــــي
الآحت لي ألست ضياً المعالي	أمامـــي الفرد في جمعـــي وفرقـــــــــــــي

ثانياً: ويتصل بهذا المقام مقام أخـــر في مواجيـــد الإمام رضي الله عنه وهـــو: ذكر النشأة والنشوة عند ذكرهـــا، حتى نري للروح انتعاشاً وطرباً ينعكس علي الجســـم.

وأمثله ذلك كثيـــرة في المواجيـــد: ومن ذلك قولـــه رضي الله عنـــه:

أواه لي لوعـــة للبدء دائمـــــــــة	إذا تخيلتها في سدرتـــي أفنـــــــــــي
كل الوجـــود لمعني في مشرقـــــــــة	مسخـــر لا لأركـــان ولا مبنـــــــــــي
لي لوعـــة وهيـــام لا يفارقنـــــــــي	إن شمت منها وميض اللامع الأهنـــــــي

في هيكلي صورة تنبي بمبدعهــــــــــا　　لكنهــا حجبت بح ضيضها الأدنـــــــــي
اشتاق رؤيتها لو أنهــا رفعـــــــــــت　　عنهــا الستائــر حتي تظهــر المعنـــــــي
في هيكلي وأنا أشتاقهــا أبـــــداً　　إن لاح نـــور وإنشاد لها عنـــــــي

ثالثاً: الإنســــــان

وهو من بدايتــه يشهــد عبوديتــه، وكذلك في مراحل حياتــه بعد ذلك فيقول:

كنت نـــوراً يضــئ قبل ألســـــــــــــــت　　وهي بدء للحسـن والتقبيــــــــــح
آه والروح في هيـــــــــــــــام وولـــه　　لعـــلـي منـــزه سبـــوح
(وسقاهــم) قد هيمتنــي فروحـــــــــــي　　في هيــام للكشف والتصريـــــــح

ومن أول الرتب الإنسانية إلي أخرها تقع المخاصمـــة بين الروح والجسم، حيث كانت الروح في بدايتها من نور تشهــد الأنوار، فلما جاءت إلي الكون حجبت بالجسم، ويري الجسم غير رأيها وتقع المخاصمـــة والمحاورة في أسلوب بديع فيقول الإمـــام في ذلك.

لي غرام من نشــأتي الأوليـــــــــــــــة　　حيـن واجهت وجـه رب البريـــــة
لاح لي الوجـه في صفـاً الروحأحيـــــــا　　ذا غرام إلي المعاني العليـــــــة
كنت روحــاً أشتاق والنــور حولـــــــي　　صرت جسماً في دار دنياً دنيـــــــة
ظل كوني قد حجب الروح ويحي　　عن شهود الأسرار في الصمدية

كيف صبري من بعـد رؤيـــة وجـــــــه　　في صفــاء عن صورة المثنويــــــة
أنت يا جسـم قد سترت حبيبــــــــــي　　صرت يا جسـم للقريب بليـــــة
خـل روحـي تقـر للــه إنـــــــــــي　　في هيــام للوصــل للأحديــــــة

قال الجسـم:

صاغنــي الله ربــي باليديـــــــــــــن　　فاشهــد جمال العطيـــــــــة
صاغنــي الله باليديـــــــــــن وأنت　　بي نلت طهـــوره الأحمديـــــة

حتي يتم الصلـــح:

قالت الروح أنت يا جســـــم رق　　أشرقت فيك شمســه الأوليـــة

المواجيــد القبليــة:

وأسلوب الإمام في التربية يجعلنا نقف أمام المواجيـد لنعرف مراقبهــا ومراتبها كأساس في التربية الروحيــة عنـد الإمــام رضي الله عنــه.

فالمواجيــد القلبيــة:

(هي قصائـــد نظميـــة تجمع المراتب وتبيح المطالب تتحدث تارة عن نور كان، وتأخذ أخري في أسرار يكون، وتارة في غوامض كن.. إبرازاً لمعني الوجود، وأخباراً بأسرار الشهـــود.

وتلك القصائـــد المنظومـــة كالعقـــد الفريـــد، والنور التليـــد، يسمو نوراً يعجـــز الروح أمره، ويقهرها سره،، فتصفق الحقائق فينا عجبناً لهذا الطين الذي صار نوراً وهادياً، وليست المواجيـــد في ذاتها نظماً لكلمات واختياراً للقوافي والمقامات.. بل هي غيض من فيض يجري علي حسب الرتب السمعيـــة والقلوب الهنيـــة التي تسمع فتتب، وتكتب فتعقل وتحفظ.

وما هو فوق الإسرار فلا تبديـــه الحروف، ولا تكشفه غوامض الكلمات، والإمام في كل حال ينادي أبناءه أن يحفظوا السر عن غير أهلـــه خشيـــة أن يبذلوه رخيصاً فيجحـــده الجاحدون وينكـــره المبطلون، وهو أسمي من أن يرد وأغلي من أن يمجـــد.. فيقول لهم:

احفض سري فسري لا يبـــاح	من يبح بالسر بعد العلم طــــــاح
علمنا فوق العقـــول مكانـــــــــة	كيف لا وهو الضيا الغيب الصـــــراح
خصناً بالفضل فيـــه ربنـــــــا	ذاك ســـر غامـــض كيف يبـــــاح؟

ولهذا جاءت القصائـــد والمواجيـــد: -

(١) آداب وأخلاق تهدي المريـــد إلي صحـــة الطريق التربوي وتجمل لـــه الشرع الشريف في نظم سهـــل يسيـــر.

(٢) قصائـــد ومواجيـــد في النفس وتربيتها وتزكيتها والجهاد والمجاهـــدة.

(٣) قصائـــد في الأحكام وحكمتها والعبادات وسر تنوعهـــا.

(٤) رتب الوجـــود ومقام الإنسان بين هذه الرتب.

ولا نستطيع أن نمضي أو تستقصي القصائـــد عداً.. فأمر ذلك يطول وهي آلاف مؤلفـــة، ومجلـــدات مخطوطـــة تعـــد أكثر التراث، وأعمـــه...ولها في التربية الروحية طرق وأصول منها تسعـــد الروح وتهنأ.

هذا وإن من المؤلفات للإمام رضي الله عنه ما تسعـــد الروح به كثيراً ويعتبر الأصل في ذلك، إلا أن هذا بجانب المواجيـــد قليل وقليل جداً... وإن كان كثيراً جداً بالنسبة إلي غير المدرسة.

الفصل الخامس

التربية الاجتماعية عند الإمام أبي العزائم [1]

نعني بالتربية الاجتماعية، ما يتعلق بالفرد والجماعة في فكر الإمام وما يتعلق منه بالتربية والاجتماع علي وجه الخصوص.

والإمام رضي الله عنه لا يري في الدعوة اختصاصا بجماعته دون غيرهم، صحيح أن للداعية تلاميذ ملازمون له، فهو يخصهم ببعض إشاراته وعباراته .. لكن ليس معني ذلك أنه بهذا مقصور عليهم.

فالكمل من الرجال، ومن تحلو بحلل الوراثة وتجملوا بجمال الهداية ممن حفظهم الله تعالي وأخلصهم له وجعلهم من الذين ليس للشيطان عليهم من سبيل، إذ هم عباده وأولياؤه وأحباؤه وأصفياؤه ومحل نظره من خلقه، يراقبون الحق في الخلق فيعاملوه سبحانه فيهم من غير حلول – أستغفر الله – أو شبهة ذلك.. إنما هم متبعون لأكمل الرسل صلي الله عليه وسلم ويتجملون بحاله.

فدنوهم من الخلق علي قدر قربهم من ربهم وشهودهم جمال وليهم...حالا ووجداً، ودعوة وقرباً.

معني الأخوة عند الإمام أبي العزائم.

إننا نجد الإمام رضي الله عنه في تفسير ذلك قد حار قصب السبق في الوارثين فنجده يقول (أريد بالإخوان، كل الناطقين معي بـ (لا إله إلا الله محمد رسول الله المتفقون معي علي التصديق بما أنزله علي سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم، المؤمنون باليوم الآخر وأن تفاوتت مراتبهم من حيث فهم آيات الله، وذوق معانيها، وانبلاج أنوارها، ووضوح الحجج والدلائل بحسب المواهب التي يمن بها علي كل أخ مؤمن من الفطنة والذكا والنور والفقه، والمعرفة والعناية والتوفيق لعمل تزكية النفوس، والقربات ومكارم الأخلاق، وحسن المعاملة وعلوم اليقين، فإن هذا التفاوت وإن أدي إلي اختلاف في مشاهدهم وأحوالهم وخصوصياتهم، بالنسبة لما يمن الله به عليهم من مزيد الإيمان، إلا أننا والحمد لله جميعاً نمثل والد واحد، ووالدة واحدة، كلنا بارون بوالدينا، لا نشك ولا نرتاب في

صحـــة نسبتنا إليهما. إلا أننا نتفاوت في السن، لا يؤدي إلي اختلاف بيننا وخلاف، بل كل واحـــد منا – وإن كان رضيعاً – وهو أخر للآخر – وأن كان كهلاً حظـــه من والديـــه مع طفوليته كحظ الكهل منهما.. نسباً وميراثاً وحقوقاً.. إلا أن الصبي يعظم أخاه الكبير بالإقتداء به ويتلقي علومـــه، ومعاونتـــه علي النفع العام والأخ الكبير يرحم الصغير بدلالته علي الخير، وتربيته علي ما بـــه سعادتـــه وسعادة إخواته وموالاتـــه بما لابد منه من غذاء الجسم أو الروح أو تزكيـــة النفس).

ويري الإمام أبو العزائم رضي الله عنه من حق الأخـــوة، صفات الرحمـــة والمودة وأخص شئ فيها هو الدلالـــة علي الخيـــر.. وهو معني التربية.. ولقد وفي بها الإمام رضي الله عنه للعالم الإسلامي سواد كانوا أفراداً أم جماعات أداموا قد نطقوا بالشهادتين.

ولقد بذل الإمـام رضي اللّه عنـه قصـارى جهـده في سبيـل:

(١) تربي الفرد الإنساني الإسلامي تربية صحيحة تقوم علي كتاب الله وسنـــة رسولـــه صلي الله عليـــه وسلم.

(٢) دعـوة الإنسانية فيما بينها إلي التراحم والتواد والمصالحـــة.. وهذا ما نعنيـــه بالتربية الاجتماعيـــة.

غايـــة التربيـــة الاجتماعية عنـد الإمـام رضي اللّه عنـه.

إن مرمي الإمام ليس القصد منـــه فقط تربية جماعـــة بل هو بناء شامل وإعداد كامل للأمـــة والمجتمع الإسلامي قاطبة حتى يسترجع هذا العالم مجـــد سلفـــه وآبائه الكرام المخلصين الذي رفعـــوا رايـــة الإسلام في كل مكان باذلين في ذلك النفس والنفيس.

ولقد ظهر هذا البناء الاجتماعي الذي ذهب إليه الإمام رضي الله عنه ونادى به، ودعا إليه دعـــوة عاليـــة في الجيـــل والناس أجمعيـــن في كتابـــه (الإسلام نسب)، (والإسلام ديـــن الله)، (و الإسلام وطـــن) (ووسائل نيـــل المجـــد الإسلامي) وهو دستور اجتماعي ديني تربوي.

جهـاد الإمـام أبي العزائـم لتحقيق المجـد الإسلامـي.

إن حصر المواقف الجهاديـــة للإمام من الصعوبة بمكان.. إلا أننا سنختار من ذلك قطفاً من تلك الأزهــار الفيحاء الغنية بها جنتــه.. وتتمثل فيما يلي:

أولاً: جهـود الإمـام في جمـع كملـة الأمـة

أتخذ الإمــام كل وسيلة في جمــع كلمـــة الأمـــة مستخدماً في ذلك ما يملك من أنفاس معبراً عن ذلك في كتبــه ودعوة أبنائـــه وأتباعــه، وصحيفتــه، وجميع الصحف التي كانت تصدر في ذلك الحيــن.

ومما كتبــه الإمــام رضي الله عنـــه ناصحا الأمـــة.. قولــه:

(خيـــر وسيلـــة لنيل الخير أن يثق كل فرد من الأمـــة بنفسه معتقداً أنـــه جنـــدي من جنود الوطن فيضع نفسه حيث يكون الخير للأمـــة، فإن كان من أهل الشوري فمعهــم، وإن كان من أهل التنفيذ فمعهــم، وإن كان من العمال الذين يجب عليهــم ملازمـــة أعمالهم الضرورية للأمـــة لزم أعمالـــه من زراعـــة أو صناعـــة أو حرفة أو تجـــارة، والفساد إنما يحصل بقيام كل واحـــد بعمل ما لا يحسن، وترك ما لابد منـــه، وأهم ما يجب علينا الآن عملـــه، تكوين الأمـــة حتى تكون جسداً واحـــداً، ويكون كل فرد ككل عضو في الجســـد وبذلك تقهـــر الأمـــة أعداءها ولو أجتمع عليها كل من بأقطار الأرض).

ونشرت جريـــدة الأخبار مقالاً للإمام رضي الله عنـــه بعنوان (حول الحالة الحاضرة – الدين النصيحـــة) وفي هذا المقال يوجـــه الإمام النصح للحكام والعلماء والتجار والعلماء والصناع، ورجال الأحزاب.. ومما قالـــه لرجـــال الحكومــــــة:

(إنكم أفراد من الأمـــة، وأن ما تمتعتـــم بـــه من نفوذ الكلمـــة من واسع النعمـــة، ومن الجـــاه والعز، ، إنما هو بالأمـــة ومنها، فإذا عاديتهم الأمـــة وهي مصدر الخير لكـــم وأرهبتموهـــا بالحديـــد والنار، قتلتهـــم نفوسا أنتم في حاجـــة إليها وأضعتهم ثقة من القلوب لا غني لكم عنها، وفتحتم علي الأمـــة أبواب الشرور من الجبن والعمل علي نيل السلامة، منكم بالمكر والخديعـــة فيهملوا الواجب عليهـــم من التعليم والتجارة والصناعـــة والزراعـــة، ويخرج بعضهـــم علي بعض فيتفرقوا شيعاً وأحزاباً).

ومما قاله رضي اللّه عنـه لرجال الأحـزاب.

انظروا ما آلت إليه حالكم.. لقد أصبحتم أحزاباً تتطاحنون، مع أن القصد واحـد، وإنما الاختلاف لا سبب له إله الطمـع.. أورباً كثرت فيها الأحزاب ولكن لكل حزب مقصدا خاصاً به، والأحزاب أحـزان في أمـة تجاهـد لدفع العدو الغاصب، والتفرقة في أمـة لا قوة لها علي دفع عدوها الرابض في عقر دارها هي موت أبدي.. فلينصـح كل فرد من الأمـة بكل رخيص وغال لنيل الخير العام، وليحقر كل رجل ما يناله من الجـاه والسلطان الذي يكون فيه ذله وذل أمتـه.

ثانياً: جهود الإمام رضي اللّه عنـه في الخلافـة الإسلاميـة.

حين قررت الجمعيـة الوطنية بأنقرة في الثاني من مارس سنـة ١٩٢٤م إبعـاد الخليفة عن تركياً وتخليـه عن الخلافة.. حينئذ دعـا الإمـام أبو العزائم إلي اجتماع عام في داره التي كانت موئل القصاد من كل مكان في العالم الإسلامي وذلك في الرابع عشر من شعبان سنة ١٣٤٢هـ والموافق للعشريـن من مارس في نفس سنة ١٩٢٤م وأتفق الحاضرون جميعاً علي تأسيس جماعة الخلافة الإسلامية برئاسة الإمام أبي العزائم، كما اتفقوا علي عقـد مؤتمر عام بمكة المكرمة تمثل فيه جميع الشعوب الإسلامية لتعـود الخلافـة كما كانت.

وعقب ذلك بدأ الخلاف بين الإمام أبي العزائم والقصر، واتخذت العداوة بين الإمام والملك فؤاد مظهراً علنياً، ومنع الإمام من السفـر لأداء فريضـة الحج في نفس العـام.

وظل الإمام رضي الله عنه علي اتصال برؤساء لجان الخلافة بالبلاد الإسلامية، حتى خرج رضي الله عنه للحج سنة ١٣٤٤هـ - المرافق ١٩٢٦ - ومعـه (٤٠٠) من تلاميذه وأعضاء لجان الخلافـة.

وقد أشارت جريـدة أم القرى التي كانت تصدر في مكـة المكرمـة إلي ذلك.. حيث جاء في الصفحـة الأولي منها خطاب الملك عبد العزيز في الوفود المجتمعة، وأعقب ذلك محضر جلسات المؤتمـر، وبيان عدد الوفود وعددهـم تسعـة وخمسون وجاء في هذا البيان (جمعيـة الخلافة بوادي النيل.. رئيس: السيد محمد ماضي أبو العزائـم، وعضوية السيد كامل عثمان الفنـدى... الـخ).

وبعـد جهـوده لعقـد مؤتمـر الخلافـة في مكـة المكرمـة.. عاود الإمام اتصالاته بزعماء العالم الإسلامي وجددواً الدعوة إلي عقد مؤتمـر إسلامي بمدينة القدس، وحددوا لذلك اليوم الأخير من عام ١٩٣١م، ولكن الحكومة المصرية منعت إعطاء تأشيرة للإمام رضي الله

عنـــه، ومنعتـــه كذلك من الالتقاء بالزعماء الإسلامية.. لكنـــه التقي بهـــم سراً في طريقهم إلي القدس.

الإمـام أبو العزائـم والإصلاح العام

في المجتمع الإنسانـي

لم يتوقف جهـــد الإمام أبي العزائـــم عند ما سبق.. ولكنـــه بين المجتمع الإسلامي الأضرار القادمـــة عليه من هنا أو هنـــاك.

موقف الإمـام أبي العزائـم من الاشتراكيـة والعلمانيـة.

كتب له تلميـــذ من تلاميذتـــه شخص إلي أوربا برسالة جاء فيهـــا.

(وعلي هذا فليس هنا تنافر بين الاشتراكية والإسلام، وإذن فقد كذب الذين يستندون إلي الآيـــة (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجـــات) " الزخرف:٣٢" لتثبيط هم الطبقة العاملة بحقوقه وتبرير حالة الذين يرثون المال، فيأخذون في إنفاقـــه علي العاهرات، وبائعي الخمور متخذين من تركيـــز الثروة في أيديهـــم قوة ووسيلة لإتلاف أخلاق الوسط الذي يعيشون فيـــه..) وإجابة الإمام رضي الله عنه برسالة في اثنتي عشرة صفحـــة جـــاد فيهـــا.

(ليست الاشتراكيـــة هي الإسلام، وليس الإسلام هو الاشتراكية.. الاشتراكية فلسفة ومذهب إنساني من وضع الإنسان الذي لا يبرأ من الخطأ والغرض والطمع مهما حاول أن يكون قريباً من الصواب.. فتلك طبيعتـــه أما الإسلام فهو دين سماوي، ونظام إلهي، ووضع رباني فهو أبقي علي الدهر وأقرب للعدل لأنه يأمر بالمساواة وينهي عن البغي والعدوان.. لأنه يقوم علي التوحيـــد، ووحدة الألوهية تمحو الشرك، وإن الشرك والطغيان متلازمان، وليس في رسالة الإسلام أدني عيب، إنما العيب في المسلمين أنفسهـــم، وما زال الإسلام علي حق بتعاليمه محفوظاً في كتاب الله وسنـــة نبيـــه، وهو حاكم علي المسلمين غير محكوم عليه بأعمالهـــم).

وواصل الإمام رضي الله عنه شرحـه في تلك الرسالة قائلاً.

(إن الاستعمار في شكله الحديث عمل في أولي مراحلـــه، علي تعميق هوة القديم الوجود أمامـــه من الشعوبية والعصبية في المجتمعات الإسلامية المتفرقة وآثار نزعات جديدة بين الأمم

الإسلامية، للتتسع الهوة الفاصلة بينه... ثم كانت مرحلته الثانية، وهي مرحلة توطين الاتجاه الفكري العلماني الغربي الذي يقضي بفصل الدين عن الدولة، وهو ما طبقته أوربا الرأسمالية، وبدلاً من أن يعود المسلون إلي دينهم الذي يضمن لهــم العزة والمجــد.. راح فريق منهم ومن خيرة شبابهــم يأخذون بالعلمانية والماركسيــة.. فمتي يا ولدي يفيق المسلمون فينظروا إلي ما داسو من بأقدامهم من جواهر التعاليم، متطلعين إلي صخور ورمال لا تؤدي إلي شئ ولم تخلق لهــم، لأن الحق تعالي من اختار المسلمين عبثاً وإنا اختارهــم لرسالة الإنسانية جمعاء فوضع لهــم النظام الذي ينفعهــم وينفعها).

رأي الإمام رضي اللّه عنــه في الحضــارة الأوربيــة.

حين نادت تركيا بالعلمانية – عقب إلغاء الخلافة – وأرادت أن تلحق بالركب الأوربي، فانتشر فيها الخمر، وأبيحت المحرمات.. هنالك كتب الإمام إليهــم ونشر مقالاً في الصحف تحت عنوان الدين النصيحــة.. إلي الأمــة التركيــة.. جاء في هذا المقــال :

(يا رجال الترك: أنا لا أنكر إننا في حاجــة شديدة إلي تقليد أوربا لاستعادة ما فقدناه وما سلبوه منا من علوم وصناعات وفنون، ولكننا في غني عما هم فيه من الإباحــة، التي تجعلهم أحط من البهائم السائمــة، والإسلام وسع لنا في أن نقوم بواجب الوقت عند المقتضي، لأن العقيــدة الإسلامية والعبادة والأخلاق، بها نيل السعادة والسيادة في الدنيا، وبها الفوز بخيرات الخيرات الباقيات في الآخــرة.

وما عدا ذلك مما لا يغير عقيــدة، ولا عبادة، ولا أخلاقا، فأمــر مباح يا رجال الترك: إن أعداءنا يجب أن ننتفع منهــم بما هو خير لنا، وأن نرد عليهم رذائلهــم التي يحرمها الشرع وينكرهــا العقــل..).

الخاتمــــــة

هذا هو المنهج الذي سلكــه الإمام أبو العزائم في التربية، وهو بحق منهج سام راق إلي حــد بعيــد، ذلك لأنه لم يجنح بالطالب إلي حــد الجمــود في الفكــر.. فيقعــده علي أثر من غير عين. أو يوقفه علي نص بغير فهــم، أو يعطيــه فهماً خاطئاً يجنح به بعيدا عن الحياة

التي يحياها الناس.. أو يحييه حياة لا ترضي الله تعالي وتغضب رسول الله صلي الله عليه وسلم، فلم يغب بالطالب عن يومـــه وأمســـه، وعن أهله ونفسه، ولا عن قرأنه ودرســـه، ولا عن نهج الحياة التي كان يحياها النبي صلي الله عليه وسلم. فكأنها – التربية حياة القرون الأولي بأسلوب العصر الحديث.. وقيام الشرع الشريف بحذافيره في جســد المتربي ونفســه في هذا الحيــن.

والتربية عنــد الإمام ليست تابعــة لمنهــج فلسفي، أو فكر غربي، أو خلوة صوفية، أو فنون أخرى تدعي أمراً ولا تجــد أثرا، وتزعــم أصلاً ولا تري نصاً، وتبني قصر وتهــدم مصراً بل كان منهـــج التربية عنده واضحاً سهلاً ميسراً، يقبله القاضي والداني بأسلوب يأخذ الجميع بسلاستـــه وعذوبته، ومعني يعجز الإنسان أن يصف حتى يذوقـــه، فإن ذاقـــه عرفه، وإن عرفه صار له منهجاً متبعا، وسبيلاً مدروساً.

فالتربية عنده رضي الله عنه، بلوغ الإنسان درجة من الكمالات النفسانية اعتقاداً وخلقاً وعملاً وحالاً، وسبيل الإنسان في هذا الرشـــاد وتلك الكمالات أمور موضحـــة لا بد منها.. أول ذلك.. استقامـــة الطرق.

ثانياً: تزكيـــة النفس إن المراد من التربية عند الإمام أبي العزائم هو بناء شخصية إسلامية لها وزنها وقيمتها بلغت من الكمال الإنساني مبلغاً لا يميل مع كل مائـــل، بل هو إنسان النفس يشعر بذاتية إسلامية ترفعه قدرا حتي مصاف الملائكـــة.

وإن هذه التربية في هذا المنهج الذي سبق كفيل به كما رأينا. وصلي الله علي سيدناً محمد وعلي آله وصحبـــه وسلم.

جامعة الأزهــر

كليــة اللغــة العربيــة / القاهــرة

قســم الآداب والنقـد

الرســـالة الثانيـــة

النثــر الصوفـي

عــنــد كتاب مصــر المحدثيــن

١٩٠٠- ١٩٤٠م

مختصر رسالة مقدمـــة لنيـل درجة العالمية (الدكتوراه)

إعــداد

الباحث / أحمــد يسري عبــد الونيس العزباوي

المدرس المساعــد بقسم الأدب والنقد بكلية اللغــة العربيـــة

جامعــة الأزهــر – الزقازيــق

إشـــراف

أ.د / صلاح الدين عبد التـــــواب

أستاذ ورئيس قسم الأدب والنقــد

بكلية اللغــة العربية – القاهــرة

١٤١١هـ - ١٩٩١م

التعريف بالرسـالـة ومحتواهـا

تقــع هذه الرســالة في (٥٢٥ صفحــة) وتتضمن ما يلــي:-

المقدمـــة: وتشمل الموضوعــات التالية: من ص ١ إلـــي ٥٥

(نشأة الصوفية – صفات الصوفية من القرآن والسنـــة – التصوف بين رجالـــه وأدعيائـــه – الصوفية علي ألسنـــه علمائها في القديم والحديث تجربة الإمام الغزالي والإمام المحاسبي في الطريق الصوفي – وأهمية موضوع البحث وأسباب اختياره – التعريف بخطـــة البحث – التعريف بأعلام النثر الصوفي الحديث.

الباب الأول: موضوعات النثر الصوف يمن ص ٥٦ حتي ص ٢٤٩

وتضمن أربعـــة فصول وهي

الفصـل الأول: الصوفي والوجـــود

الفصـل الثاني: القلب وأدابـــه عند الصوفية والذكـــر عند الصوفيـــة – والعلم عند الصوفية

الفصـل الثالث: الحب الإلهـــي.

الفصـل الرابع: الجوانب الاجتماعيـــة للنثر الصوفي.

الباب الثاني: البناء الفني للنثر الصوفي من ص ٢٥٠ حتي ص ٤٩٩.

وتتضمن خمسـة فصول وهـي:

الفصـل الأول: فنـــون النثـــر الصوفـــي

الفصل الثاني: التجربـــة الصوفيـــــة

الفصل الثالث: الفكرة وسماتها الفنيـــة

الفصـل الرابع التصويـــر الأدبـــي

الفصل الخامس: الموازنـــة بين النثر الصوفي القديم والحديث.

- الخاتمة

مقدمـــــــة [1]

دواعي التفكيـر في هذا البحث (النثر الصوفى عند كتاب مصر المحدثين)

لقـــد ذخر أدب الصوفية الحقة بالجوانب الفكرية النثريــــة التي تمثل معلماً هاماً من معالم حضارتنا الثقافية والفكرية، والتي تعـــد بدورها جزءاً كبيراً من حضارتنا الإسلامية العربية الشاملة الشامخـــة، التي نفاخـــر بها حضارات الأمم الأخرى في الشرق والغرب.. قديماً وحديثاً.

كما ذخر ذلك لأدب بأصول القضاياً الفنية التي امتلأت بها كتب النقد القديم والحديث علي السواء، ولكن السر في إغفال مؤرخي الأدب لهذه الفنون، أنهم لم يضعوا البلاغة الصوفية في الميزان، لأن الصوفية كانوا قد انحازوا جانبا عن صحبـــة الأدياء، ولأن الأدباء أنفسهم كانوا أقبلوا علي الصور الحسيـــة إقبالاً شغلهـــم عن الأدب الذي يصور أحوال الأرواح والقلوب، فظنوا أدب الصوفي بعيداً عن المجال الذي تسابقوا فيه، مجال التشبيب، والوصف، والحماســـة، والعتاب.

كذلك ذخـــر أدب الصوفية بالسيرة الحسنـــة، والقدوة الطيبة، والأخلاق الحميـــدة والصفات الكريمـــة، والمثل الرفيعـــة، والعلوم الوافرة، والفنون النبيلة، حتى أصبح أدبنا الصوفي بحق صورة مشرقة، ونافذة مضيئة، ووجها جميلاً، يطل به أدبنا العربي علي الأدب العالمية مؤثراً فيها، وهادياً ومؤشـــداً، ومعلماً لها، وأصبح هذا التيار في أدبنا الإسلامــــي الصوفي موضع إعجـــاب برأي حتى أخلص البعودة لذاتك بلا فرض.. واحفظني من الاعتراض، واهتمام الكثير من الباحثين والدراسيين والمهتمين بالدراسات الأدبية في مختلف الجامعات العربية والأجنبيـــــة.

وفي عصرناً الحديث حظي الأدباء والشعراء والنقاد المحدثون بأبحاث تتحدث عنهم، وتكشف عن شخصياتهـــم، وتحل نتاجهـــم، وتقومـــه.. ووجدنا جهور الباحثين المعاصرين في مختلف الجامعات يحرصون علي إخراج الكتب والأبحاث المتنوعـــة عن هؤلاء.

لهذا أردت إضافة لهذا الاتجاه المثمر، وحتى تزداد صورة عصرناً إشراقاً ووضوحاً في ثقافته وفكره ودراساتـــه وأبحاثـــه، فتزداد رقعـــة هذه الأبحاث العصرية، لتشم علماء التصوف وكتابـــه في هذا العصـــر.

وهذا أحـــد دواعـــي التفكير في هذا البحث (النثر الصوفي.. عند كتاب مصر المحدثين) ذلك لأن نشر فكر المحدثين الصوفيين، والبحث فيه يصل حاضرنا بماضينا، ويجعلنا أوفياء لهذا التراث الضخـــم الذي يعتبر علامـــة بارزة، ومصباحاً منيراً في حضارة أمتنا الإسلامية.

وأيضاً فقد قدمت أبحاث متعددة عن الشعر الصوفي مؤخراً – دون النثر – شملت بعض شعراء الصوفية، وعصورهـــم، وبقي أن تقدم الأبحاث وعن الشق الثاني من تراثنا الأدبي الصوفي، وهو النثر في عصوره المختلفة، ومنها العصر الحديث الذي نحن بصدد دراسته الآن والبحث فيـــه.

وأصبح من الجدير بنا، نحن أبناء الأزهـــر الشريف – أن ننشر هذا الأدب الرفيع وندرسه، ونحققه، ونكشف عن دوره في الحياة، ونبين الأصول التي قام عليها ونحيط للثام عن غوامضـــه، فنيسره بذلك لأنباء أمتنا المتعطشـــة إلي هذا النوع من المعرفة، ليزداودا به إيماناً، وتقي، وتهذيب نفس، وعلو همـــة، وتتعلق قلوبهـــم بالأخلاق الفاضلة والنماذج الإنسانية المؤمنـــة، فترق المشاعـــر، وترهف الأحاسيس، ويؤدي الفن الأدبي الراقي وظائفـــه في نفوسهـــم فتزكـــو، وفي سلوكهـــم فيرقـــي.

وهذه صحوة أدبية تساهـــم في بناء صرح نهضتنا الأدبية الحديثـــة التي لمسنا مظاهره في مختلف الدراسات الخاصة بالمسرحيـــة والقصة والشعر في مختلف عصوره، وجوانبه، واتجاهاته، وتياراتـــه.

ولعل هذا البحث المتواضع يضيف لبنـــة، فهذا ما أرجـــوه، وأسعـــي لـيـــه من ورائـــه، والله المستعان، وبه العون، وعليه التوكل، وإليه المبتغـــي.

البـــاب الأول

الباب الأول

موضوعـات النثـر الصوفـي [1]

تمهيــــــد:

موضوعــات النثر الصوفي:قديمــة وحديثــة،علي كثرتها وتنوعها تكاد تدور في فلك واحــد، وتحكمه دائرة واحــد. وهــي متعــددة تشمل حالات النفس الإنسانية المتغيرة، ونوازعها المختلفة، وقمامات القلوب وأحوالها.. كما أن الصوفية في جملتهم يتحدثون عن الموضوعات الإسلامية كلها، ولكن من منظورهــم، ووجهــة نظر الخاصة التي لا تعارض الإسلام كلهــا، وإنما تغوص في أعماق الموضوع للبحث فيه عن جوهره وأسراره، بما يعضــد فكرتــه ويوضحهــا ويجليها، ويجعلها أمام النفس أكثر قبولاً لهــا ،واقتناعاً بها، وإقبالاً عليها، واطمئنانا إليها، فتنأنس هذه النفس، وتسعــد وهي تعمــل بهــا.

يقول الإمام أبو العزائم في الموضوعات التي خاضها الصوفيــة: (واعلم أن الصوفية دخلوا مع الفقهاء والمفسرين والمحدثين والمتكلمين في علومهــم، فسمعوا الحديث ونظروا في الأحاديث، وقرأوا القرآن واستغلوا بتدبيره، ونظروا في أصول الدين وعلم الفقه.. فالبداية فقهيــة، والنهاية صوفيــة.. ثم إنهــم خصوا مع ذلك بعلوم عالية وأحوال شريفــة، ومقامات رفيعــة، فتكلموا في علــوم المعاملات، وعيوب النفس، وآفات القلب، وشريف المقامــات مثل اليقظــة والتوبـــة والزهــد والخشية والمراقبة واليقين والشرك الخفي والعوارض والإذكار وتجريــد التوحيــد، ومنازل التفريــد، وغير ذلك..).

محدثو الصوفية والتفسير.[1]

ولمحدثي الصوفي جهود علمية مجال التفسير.. فتفسيرهم جمع بين التفسير النظري المألوف وبين إشاراتهم وإلهاماتهم التي ترتبط بنظريتهم في الكشف والمعرفة، كما ترتبط بالذوق، وما يفضه الله علي القلوب والبصائر، كل حسب قربه، وروحه، وما يتحقق لها من العبودية الله سبحانة وتعالي، وهذا ما أتي مطبقا بصورة أوضح لدي الإمام أبي العزائم.

وللإمام أبي العزائم في تفسيره (أسرار القرآن) لمحات صوفية رائعة في رقتها، يحتاج حصرها إلي بحث مستقل، وقد عبر من خلالها عن المعاني والأفكار والاتجاهات الصوفية، وهي تتميز بالدقة العلمية، والصفاء الروحي، وقوة الإقناع والتأثير والوضوح

ونختار منها، علي سبيل المثال – بعض ما أورده عن قصه البشرية الأولي، وهو يفسر قوله تعالي:

(وقلنا يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقرباً هذه الشجرة فتكونا من الظالمين، فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلي حين).

(١) يعلمناً سبحانة وتعالي أنه أنعم علي أبينا آدم نعمة جسمانية بما حباه به من تمتع حسه بجمال الجنة، وبالتفضل علي جسمه بشهي طعام الجنة، وبالإحسان إلي عقله آيات الجنة وبالمنة علي روحي بتلقي الحكمة منه سبحانه وتعالي في الجنة وهذا والله أعلم – معني قوله تعالي (أسكن أنت وزوجك الجنة .

(٢) قوله تعالي: (أنت وزوجك) يعني أن حواء خلقت قبل إدخال آدم الجنة، خلقها سبحانه من ضلع من أضلاعه، فكانت فرعاً منه، وكان أصلا لها، ليحصل منه السكون إليها، ويحصل له الحب منها، فإن كل فرع يجب أصله، كما أن كل أصل يحب فرعه.

ومن هذا نعلم أن الذين صاغ الله نفوسهم من أصفي الجواهر يحبون الله حباً جماً، لأنه سبحانة هو الذي خلقهم وأوجدهم وأمدهم بكل ما لا بد لهم منه وأكمل.

(٣) أعلم ألله آدم أن نفســه الأمــارة بالسوء أعــدي عدو لـــه، وأنه خلقــه لحكمــه عليه كاشف بها الراسخيــن في العلم، ومن سر تلك الحكمــة أن فضله الله علي ملائكتــه – إذا هو فقه سر خلق تلك النفس – بعــد أن أسجــدهــم لـــه. وحكمــه خلق النفس الأمارة بالسوء أن يكون الإنسان في لهيب نار المجاهــدة لهذا العدو اللدود، ليفوز بمحاب الله ومراضيــه، وأن الله تعالي خلقها مفطورة علي خواطــر وهمم تضــاد كل ما فطــرت عليه النفس الملكية الفاضلــة

ولتلك النفس الأمارة بالسوء جنود وأعوان،ومن أعظم جنودها (الحس والجسم) وغيرهما ، وللنفس الفاضلة الملكية عناية بسابقة الحسني

٤) ما الحكمــة في إسكان آدم وحواء الجنــة، وفي معصيتهما وإهباطها إلـــي الأرض؟، ومــا السر في إزلال الشيطان إياهما عن الجنــة..؟

لقد أسكنهما الله الجنــة وهو يعلم أنها ليست دار بقاء لهما ليشهدهما – سبحانــه وتعــالي – ما فيها من النعيم والبهــجة والهناءة، ودوام العافية والصفاء فإذا أهبطها إلــي الأرض تذكراها، فحنا إليها وشوقاً ذريتهما إليها. وقدر سبحانـــه المعصية عليهما ليعلما أنهم أهبطا من دار النعيم والمسرة والبهجــة بمعصية واحــدة، فيخافون أن يحرموا من الرجوع إليها إذا هم وقعوا في معاصي أخري في الدنيا، وكيف يطمع رجل أن يدخل الجنة التي أخرج الله منها آدم بمعصية واحــدة بعد أن عصي الله تعالي في الأرض؟، وأيضاً لــيعلم الله تعــالي عباده أنه غفور رحيــم يقبل التوبة ممن خالف أمره ونهيـــه، وتاب إليه سبحانـــه.

وحكمة وسوســة إبليس لأدم.. إن أبليس لم يوســوس لآدم إلا بعــد أن تحركــت الــنفس الأمارة بالسوء في وقت كان يجب عليها أن تسكن، أمرها الله تعالي بالســكون إليــه عنــد إسباغــه النعم المتوالي في الجنة، فتحركت متمنية البقاء في الجنة، فاتصل بها مجانســها إبليس، وقوى عندها هذا الأمل، فاشتــد طلبها له، فأقسم لآدم وزوجته أنهما إن أكلا مــن هذه الشجرة نالا البقاء والخلود، فكانت الحكمة أن يظهر آدم وزوجتــه عداوة تلــك النــف التي يتصل بها إبليس، فيزلهما عما هما فيه، سواء أكاناً في الجنة أو في غيرها، والعصمة بالله والعناية منـــه، ونيــل الخير في الدنيا والآخرة به سبحانـــه.

(٥) أسنــد الله تعالي الفعل إلي الشيطان فقال سبحانـــه (فأزلهما الشيطان) مجاراة للعقــول التي تشهــد الأسباب قائمــة بقيوم ولكنها لا تشهــد الأسباب فاعلة مختـــارة – وألا كـــان

شركاً – وما خاطب الله العقول في آيات كثيرة يسند الفعل فيها إلي سببه إلا لحكمة غربيـــة علي أهل الحجـــاب.

منهـــا: أن الأدب مع الله تعالي يقتضي أن لا تنسب إليه مباشرة ما يراه الإنســـان قبيحـــاً فـــي نظره، كما قال الخليل – عليه السلام – (وإذا مرضت فهو يشفين) بعـــد قولـــــه: (يطعمنـــي ويسقين).وكما قال الخضر عليه السلام. (فــــأردت أن أعيبهـــا) مـــع قولـــــه بعـــد ذلـــك (فأراد ربك).. هذه الحكمـــة يراعيها أهل الأدب الكامل مع الله تعالي.

ومنهـــا: أن يجاهـــد المسلم نفسه الأمارة بالسوء من أن تتحرك في وقت أمـــره الله تعـــالي أن تسكن فيه، فيدخل عليها العدو في حركتها، كما دخل علي آدم – عندما تمني الخلود في الجنة – بحركة نفسه الأمارة بالسوء، فإسناد الإزلال إلي الشيطان باعث علي دوام يقظة المســـلم مـــن نوم الغفلـــة عن هذا العـــدو.

ومنهـــا: قهـــر أهل الأهواء الذين كثيراً ما يسيئون الأدب. فينسبـــون سيئ أعمـــالهم إلـــي الله تعالي، ويتركون التوبة والندم، وكثير منهم يحتج بالقدر ولا ينكر القدر إلا كافر، ولا يحتج بـــه بعد الأمر والنهي إلا ضال مضـــل.

الفصــل الأول

الصوفــي والوجـــود [1]

للوجـــود في نفس الصوفي منزلـــة خاصة، ومكانه متميزة، فهو نافذتــــه التي يطل منهـــا ليري مشاهـــدات روحـــه، وتنزلات قلبه، وسبحانـــه وجهـــة.. ولقد أســـتحق الوجـــود فـــي المكانة في نفيس الصوفي لأنه من خلق الله، ومذكر بالله، ومظهر تجلي الله بأسمائه وصفاتـــه وأفعالـــه. والصوفي في حياتـــه لا ينشـــد غير الله ولا يسعى إلا إليه سبحانـــه، ولا يقبـــل أن يحل في قلبـــه غيره تعالي.

ويري الإمام أبو العزائم في تفسيره (أسرار القرآن): (أن الله سبحانـــه تعالي يبرز لنـــا تلك الآثار لنشهـــد فيه تجليات أسمائه وصفاته ونستدل بها علي غيهب الغيب الذي يحجب عنا معرفـــة ذاتـــه سبحانـــه وتعالـــي.

وإذا كان وله الصوفية بالوجـــود يقض بهـــم إلي حب الله ومعرفتـــه، فينبغـــي أن نســـوق لهم وقف متأنية مع احدى تأملاتهـــم في قوله تعالي (وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون).. حيث يقول الإمام أبو العزائم: إن المريـــد الصادق يجب أن يشهـــد الآيـــات الظاهرة في نفسه الدالة علي حكمـــة الحكيم القادر، وتدبي الصانع المبدع، ليكون ذلك أدعـــي إلي كمال معرفـــته وإخلاصه في العبادة لربه سبحانـــه وصرف جميع أوقاتـــه فـــي الاشـــتغال بشكره سبحانـــه.

وهكذا كل ما في الوجـــود، ومن فيه من ظاهر وباطن.. للصوفي معـــه وقفه..

وقفـــه تأمل وتدبـــر.

يقو الإمام أبو العزائم عن ذلك نظماً (في مواجيـــده)

تلك المظاهـــر والشئـــون مرائـــــــــي ... فيهـــا تلـــوح لمن صفوا أسمائي

فالعارفـــون يرون ســـر تنزلـــــــــــي ... والجاهلـــون مرادهـــم الآتـــئي

ويقـــول نثـــراً

(ذكر القلب هو العلم بآيات الله تعالي المشرقـــة، أنوارها في الأنفس والآفاق، ثم بأســـرار القدرة والحكمـــة، ثم مشاهـــدة تلك الآيات عن قادر حكيم، ثم شروق أنـــوار معـــاني الصـــفات لبيان حقيقـــة النفس للمشاهـــد وأنكشاف مراتب الوجـــود، وتميز المكانتين، مكانـــــة واجـــب الوجـــود وممكن الوجـــود، وظهور النسب الحقيقي بين العبد وربـــه، ظهور يتحقق به العبـــــ

بكمالات منزلتــه من الفقر والاضطرار والعدم وغيرها، ويتيقن بكمــال ولايــــه الله ورأفتــــه ورحمتــه حتي يذوق لذة أنه سبحانه أولي به من نفسه، فتمزج الرهبة بالرغبــــة، والخشــية بالرجاء والخوف بالطمع، والعظمة بالمحبــة، عند ذلك يكون الحق اقرب إلي العبــد من حبــل الوريــد) فلا غرابة– إذن – أن يصير الوجــود شهــود الصوفي الوحيــد في حياتــه – يري فيــه لذتــه وأنسه، ونعيمــه، وسلواه.. يتلقى منـــه الحقــائق والأذواق والأســرار وتتجلــي لجوهــر معاني صفات الله تعالي.

يقول الإمام أبو العزائم في هذا المشهــد (يكشف الله تعالي- الحجاب عن القلوب التي جعل لها نوراً، فتشهــد جمال الله ظاهراً فيما أظهره، سبحانــــه – في هذا الكون من الحقائق التــي أبدعها لخير الأنواع الحيــة، وسخرها لبني الإنسان، فتتجلي لجــواهر نفوسهــــم بعــد رفــع الحجاب معاني صفات الله تعالي، فتتصور النفوس التي زكاها الله –تعالي – رسوم المعلوم بعــد العلم. فيكون هذا الجمال العلي معالم بين أعين قلوبهــم لا يغيببون عنه فلا يمضــي نفــس أو لمحة أو لحظة إلا وتنبلج لهم حقائق تلك الآيات فتجذبهــم بدافع المحبة إلي شهود الحق – جل جلاله – حتى تبلغ المحبة مبلغ الغرام والهيام الذي يستغرق كلية من تفضل الله عليهــم بهــذا المشهــد، فيفرون إلي الله بالفناء عنه وعما يحببهــم أو من يحببهــم.

وعلي قدر تعدد صور الموجود.. تتعــدد الرموز، ولكنها كلها ترمز لرموز واحــد هو الحق والخير والجمال المطلق، والمعبود الواحد الذي لا يعبــد غيره، والمحبوب الذي لا يستحق الحب غيره، ولا يكون ذلك إلا للذات الإلهيــة.

وللنظــر إلي ما استوحــاه الإمــام أبو العزائم من الزهرة حــين تأمــل فيهــا أفعــال الله وصفاتــه وأسماءه، ثم نوازن بين الصوفي وغيره من عامة الناس في نظرتهــم نحــو هــذه الزهرة.

يقول الإمام أبو العزائم في كتابة النور المبين: (لو كتبنا ما يفهمــه أنواع الناس في زهرة واحــد لما وسع ذلك مجلدات ضخــام، أورد لك نموذجاً من ذلك: لو أن عالماً كيماويــا أخــذ زهرة وحللها وكشف ما فيها من أنواع المعادن والغازان المختلفة والجــواهر ذات الرائحــــة الطيبــة، وعضو الذكورة والأنوثة فيها، ثم بين خواص كل نوع منفرداً وخواصها مجتمعــــه، وجاء الطبيب، فبين لنا تزيله من الأمراض، وما تفيده من تنبيه القوى، وما يحصل منهــا مــن الضرر إذا لم تستعمل بحكمــه، وتأثيرها علي الأجسام الحيوانية وعلي المعادن، وجاء الشــاعر العبقري والناثــر البليغ فوضها بالعبارة وصفاً يمثلها بالخيال بأكمل حقيقتها، وجــاء المصــور

فرسمها رسماً نظرياً، وجاء الفليسوف فشرح لنا قواها القابضة وما فيها من الرطوبات، وأبـان لنا عن توسط عناصرها وإمتزاجها، وعما فيها من قوة الإدراك التي تتحول بها إلـي الشـمس شروقاً وغروباً، والخواص التي بها هذا التجاذب الغريب. ثم جاء الحكيم العارف بـالله تعـالي، فأبان أسرار عجائب قدرة الله، وشرح لنا الآيات الظاهرة فيها بعباراته الروحانيـة، وإشـارات القدسية لما وسع ذلك مجلـدات، وهذا في زهـرة صغيـرة.

وربما دخل الإنسان روضـه فتحت أزهارها، وتناجت أطيارها وتمايلت أغصانها، وجـري الماء تحتها في أخاديـد كأنه سبائك الفضـة يجري في جداول من مسك فـلا يلتفـت لفتـة متدبر، ولا ينظر نظر مستبصر، ولا يصغي لتسبيح تلك الأزهار لمبدعها الحكيم القادر لغفلـة قلبه، وعمي بصيرتـه، فسبحان الظاهر الذي لا يحجب عن الأفكار لظهور آياتـه، الباطن الذي لا تدركـه الأبصار علواً وعظمـة وكبرياء وهو اللطيف الخبير).

الفصل الثاني

القلب وأدابه عند الصوفية [1]

مفهوم القلب عند الصوفية:

القلب من الموضوعات الهامة في نثر الصوفيين وشعرهم، وهو عندهم ذو شأن عظيم، وخطر بالغ، واهتمام خاص، وحوله يدور الكثير من علوم الصوفيين، ومعارفهم، وأقوالهم، وآدب سلوكهم.

ويري ألإمام أبو العزائم:(أن العلم الحقيقي هو علم القلب الذي تتحقق به الخشية من جلال الله: (إنما يخش الله من عباده العلماء) والعلم خزانته القلب، والذكر أرفع المقامات إذا كان بالقلب، وليس شئ أقرب للإنسان من حبل وريده إلا قلبه الذي هو منبع حياته، وقوام وحواسه، وخزانه ذخائره، وكنز تحفه، وهذا مقام يكون القلب فيه بيت الحق سبحانه متصف بكل صفات الكمال والوحدانية تحققاً علمياً يجعله يحب الله تعالي، ويخشاه فلا يغيب ولا يغفل).

كما يعبر الإمام أبو العزائم نظماً عن حقيقة القلب بمفهومه الصوفي فيقول:

أنا ظاهر لأول القلوب مشاهد ... لأولي الصفا من صفوة الأمناء
فهمو معي بقلوبهم ومرادهم ... نظر لوجهي بعد نيل رضائي
فرحو بفضلي فأنجلت لقلوبهم ... شمس التجلي في سما الأرجاء
عكفوا على ذاتي بنور قلوبهم ... فأبحتهم رؤيا جمال بهائي
فقلوبهم عمرت بنور مكانتي ... ونفوسهم ناقت إلى العلياء

المبحث الأول.. من الفصل الأول

جهاد النفس عند الصوفيــة [1]

تحت النفس الصوفية الصادقة بالصفات الإسلامية ألحقه فــي أرقــي درجاتهــا، وأعلــي مراتبها، وتميزت بأنها – علي امتداد العصور وتباين الأماكن – نفس خالصة صادقة صــافية، رائدها في سلوكها وأحوالها،وأفعالها وأقوالها الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح.. وقد تحقق لهــم ذلك بفضل جهــاد النفس.

فجهــاد النفس عندهم أساس لكل ما يتطلعون إليه من مقامات وأحوال، وقاعدة أولية في طريقهــم وسلوكهــم، وعندهم أن معرفة النفس تقود إلي معرفة الله تعالي.. فمن عرف نفســه فقد عرف بـــه.

يقول الإمام ابو العزائم عن النفوس في حكمــه

(النفوس ألواح آيات الأنوار إذا تزكت، وقرارات الإقذار،إذا صدأت.

ويقول رضي الله عنه: (حد الشرع حدوداً لتزكيــة النفوس، فلا تحــم حــول الحمــي، لتشرق في قلبك الشموس.. إذا تزكت نفسك بالسير علي الصراط المستقيم وصــلت بفضــل الله تعالي إلي النعيم المقيم.. تعرض إلي منازل نظراته حتى يراك حيث يحب، ولديها يمنحك بفضله فوق ما تحب).

ويقول رضي الله عنه (من لم يترك كثيرا مما يشتهي، وقع في كثير مما يكره)

وقد بحث محدثو الصوفية في حقيقــة النفس.. وأشار الإمام أبو العزائم في كتابة معارج المقربين إلي حقيقتها حيث قال: (لقد تثبت أن النفس جوهرة سماوية روحانية نورانية إذا لــم تتراكم عليها الجهالات، ولم تدنسها الأعمال السيئة، ولم تحجبها الأخلاق الفاسدة، ولم تتعــوج بالعقائــد الباطلة، ولذلك فهي مهيأة لأن تشاهــد الأنوار الملكوتيــة بلطافتهــا كمــا تشاهـــد المحسوســـات بحواسهــا.

كما يري الإمام أبو العزائم أن أنواع النفوس سبعــة وهي: النفس الجماديــة، والـــنفس النباتيـــة، والنفس الحيوانية، والنفس الإبليسيــة والنفس الملكوتيـــة، والــنفس القدسيـــة، والنفس الكليــة.

وبين الإمام أبو العزائــم في كتابة النور المبين أنواع النفوس الكاملة فقــال رضـــي الله عنـــه.

(إن أكمل النفوس نفس المصطفي صلي الله عليه وسلم، لأن الله سبحانـــة وتعالي خلقها نورا من نوره، منزهـــة مطهرة، وأمـــد نفوس الرسل عليه الصلاة والسلام مــن هــذا النـــور المحمـــدي، فهي أكمل النفوس بعـــد نفسه صلي الله عليـــه وسلم.

ومن النفوس الكاملة نفوس الأولياء الذين طهرهم وزكاهـــم، وجعلـــه ورثـــــة لرسـلـه، ونجوماً في أفق صراطـــه المستقيـــم.

وهناك نفوس أهل الفراسية يكشف أهلها بعض ما جرى به القدر تلويحاً لا تصريحاً، قال تعالي، إن في ذلك لآيات للمتوسمين) وقال صلي الله عليه وسلم (أتقو فراســـة المؤمن فإنـــه ينظر بنور الله) وهي نفوس فاضلة مؤهلة لمقامات الولايـــة، ومنازلـــه العنايـــة.

ومن جوانب بحوث الإمام في النفس.. حديثـــه عن أنواع النفوس المؤثرة فقال (‘ن من هذه النفوس ما يؤثر بالنظر والأنفعال الذي ينتيجـــه الحســـد، ومنهـــا مـــا يـــؤثر بالتمتمــــة والعزائم لدفع الضرر، أو جلبه لعدوهـــم، ولا يلزم أن تكون تلك النفوس مؤمنـــة، بل قد يقـــع ذلك من المؤمن والكافـــر، ومن الرجل والمرأة، والحر والعبـــد، ومنها نفوس العالمين بطبـــائع الحروف والإنسان والحيوان وبطوالع الأفلاك. ومنها نفوس الذي يبينون الصنائـــع ويكشـــفون خبايـــاً الأرض)

وهكذا كانت نظرة الإمام أبي العزائم إلي النفس نظرة متكاملة وكان منهجـــــه إســـلامي النزعـــة والفطرة والمسلك، مثالى الواقعيـــة، يستنـــد أصولـــه من الكتاب والسنـــة.

صوفيـــة الإمام أبي العزائم صوفيـــة معتدلـــة في جهـــاد النفس.[1]

قد تري من يرمي الصوفية بالرهبانية، والمبالغة في قهر النفس، وحرمانها من الـــذات، والإعراض بها عن النعم الدنيوية،وزخرفها، وزينتها، التي أحلهـــا الله لبنـــي الإنســـان، وجعلها لهم.. ولكن الحقيقة أن الصوفية ــ التي نحن بصدد الحديث عنها ــ معتدلة تعمل بالكتاب،والسنة

فهـــا هو الإمام أبو العزائم يعرف جهـــاد النفس قائلاً: (الماهدة بذل ما في الوسع في فعل مـــا يرضي الله تعالي، وترك ما يسخط، وبالمجاهـــدة تحصل رياضة الـــنفس، ومـــن زيـــن ظـــاهر بالماجهدة، زين الله باطنـــه بالمشاهـــدة، ومن لم يكن في بدايته صاحب مجاهـــدة لم من عرف الطريق شمـــــــة).

ويوضح الإمام أبو العزائـــم ذلك نظماً حيث قـــــــال:

---

(1) راجع ص ١٣٧ من الرسالة

روح النفس في رياض حلاهـــــــــــــا ... وتجـــرد عن ميلها وهواهـــــــــا

وأصرف الوقت في نـــوال نفـــــــيس ... ذاكـــراً فاكـــراً لنيـــل صفاهـــا

زكهـــا باليقيـــن تصفــــو وترقـــــــــي ... وتجمـــل بالفهـــم من معناهـــا

شاهــداً ما بداً من الحسن وأنهض ... بجهـــاد فحتفهـــا في رضاهـــا

واهدهـــا للصراط بالقهـــر عنهـــــا ... تتوسط في السيـــر عند وفاهـــا

ســـنة المصطفى صراط قويــــــــــم ... حصن أمـــن لم يروم حماهـــا

المبحث الثاني: من الفصل الأول

الذكـــــــــر

الذكـــر يثمر مراقبة الله تعالي عند الذاكر في كل أحواله وأسراره.. ثم يصل به الأمر إلـــي أنـــه لا يبعـــد عن الله طرفه عين، بل أنه يعتبر الغفلة ذنباً كبيراً يستغفر الله منــــــه، ويلغـــي إراداتـــه، ويستعيـــذ بالله من كلمـــة (أنـــا) ... لأن هذه الإنيـــة سبب في غفلته وبعـــده عن الله.

يقول الإمام أبو العزائم في أحدي حكمــــه (ما وحد من شهـــد عملاً لنفسه أو لغير ربـــه) ويقول: (إنما يخفي عند شهودك وإثبات وجودك، ويظهر عن فقدان آنيتك وأنعدام غيريتك

ويظل الذكر يتدرج بصاحبـــه إلي أن يصل به إلي مقام الفناء بالله، وهذا المقام عنـــده هـــو عين البقاء والخلود.. ويعبـــر عن الإمام أبو العزائم في أحدي مناجاتـــه بقولـــه:

(إلهي إلهي أذقنا حلاوة الإيمان بعين يقين.. ولذة التقوى بجمال تمكين، وأفنني يا إلهـــي عن مرادي بمرادك، وعن كل من سواك وما سواك بك سبحانـــــك حتـــى أفنـــي عـــن حظـــي وشهوتي، وآمالي ومرادي بما تحت وترضي من العقيـــدة والأعمال والأحوال والعلم، يا مجيب الدعـــاء، فناء يجعلني لا أغيب عنك سبحانك طرفه عين، ولا أقل، ولا أكثر ولا تغيب عني يـــا رب العالمين.

وفي مناجاة أخري يقول رضي الله عنه (رب وأجهني بوجهـــك الجميل مواجهة تخرجنـــي بها مخرج صدق من حيطة آدميتي إلي فسيح ملكوتك الأعلى، حتى أسيح في هذا الأفق المبـــين مشاهـــداً أسرار تجليك سبحانـــك، متجملاً بجمال تنزلاتك.. رب وأدخلني مـــدخل صـــدق فـــي حظائـــر مؤانس بجبروت قدسك الأعلى بك لك منك إليك يا ولي المؤمنيـــن).

بيـان مقامـات الذاكريـن عند الإمام أبي العزائـم.

وعنـــد الإمام أبي العزائم أن الذكر في قولـــه تعالي (فاذكروني أذكرهكم) لا يكون ذاكـــرا يترتب عليه ذكر الله لنا إلا إذا كان بالقلب أو المراقبة أو المحاسبة. أما ذكر اللسان المجرد عن العلم والقلب فلا ملأ الإنسان ما بين السماء والأرض ذكراً بلسانـــه رجع بالتعب والعناء، ولـــم ينبل خيراً عن الله تعالـــي.

وعنـــده أن الدجاجـــة التي تسجـــد في النهار ألف مرة خير منـــه لأنها كلما وضعت فمهـــا علي الأرض التقطت رزقها، والذاكـــر الجاهل يحرك لسانـــه من غير إدراك بقلبه، وقد يبلغ به الذكر بلسانـــه إلي الغرور لأنه لم يحصل علماً يخشي الله عنـــه.

وذكر القلب يستدعي استحضار عظمـــة الله تعالي، واليقين الحق بأنـــه هـــو الله المعبـــود الفاعل المختار لما يحب ويشاء ويختـــار.

أو يكون الذكـــر بسياحـــة الروح في ملكوت الله وملكـــه حتى تشهـــد ما أبدعته القـــدرة، وأحكمته الحكمـــة، فتزداد علماً ويقيناً، وهو خير الذكـــر للسالكين. وهناك ذكر الواصلين:وهو مراقبة الله في كل حركـــة وسكنـــة، وفي كل نومـــه ويقظـــه حتى كأنه يـــري الله أمـــــانه لا يغيب عنه إذا غاب الغافلون، ولا يحجب إذا حجب الجاهلون، ونهاية هذا الذكر الفنـــاء فـــي الله حتى يغيب بشهود وجهه العلي عن كل كائـــن، وذلك بداية ذكر المتمكنين.

والمتمكن: عبد عرف نفسه فعرب ربه، فقام لله تعالي بما يحب ويرضي، وهـــو عنـــد الله تعالي أفضل من الملائكـــة، وهذا العبد المسكين قد لا يملك قوت يومه، ولكن أنفاسه تستضـــيئ بها العوالم لأنها تصدر عن حضور مع الله، ووجود عبد الله، وأنس بالله جل جلالـــه.

ومن أدعية الإمام أبي العزائم الدالة علي حقيقـــة الذكر الذي يراقب فيه الـــذاكر المـــذكور سبحانـــه .. قولـــه:

(أسالك يا إلهي أن تعرفني نفسي معرفة تجعلني متحققاً بكمال الاضطرار لجنابك العلي إليك سبحانك، مشاهـــداً مننك سبحانك وتعاليك علي في كل لحظاتي وأنفاسي، وحركاتي وســـكناتي، وفضلك العظيم الذي تفضلت به علي في نفس، وأعنتني في آفاقي، حتـــى أكـــون دائـــم الـــذكر والشكر لحضرتك العلية بتوفيقك ومعونتك سبحانـــك.

إلهي إلهي لا تشغلني بهـــم الرزق، ولا بخوف الخلق، وأعذني يا ألهي مما يشـــغلني عنك، أو يوقعني في معصيتك، أو في مخالفة أمرك، ومن حاجـــة تذلني لغيرك، وفقر يحـــوجني إلي شرار خلقك، واصحبني يا إلهي في سفري وحضري وجلي وترحالي، وأشـــهدني فـــي كـــل أحوالي الجمال في أهلي وأولادي، ومن أحب، وأسمعني في كل أحوالي الجمال، وأجعل ذلك يا إلهي معيناً لي علي دوام ذكرك وشكرك،حتي يلين بدني، ويكون لساني رطباً بـــذكرك، ويكـــون قلبي حاضراً مشاهـــداً لجمالك العلي، مراقباً عظمتك العلية.

المبحث الثالث: من الفصل الأول [1]

الصوفيـة والعلـم

للصوفيـــة تراث ضخـــم في تمجيـــد العلم وأهله، ذلك لأنهم يدركـــون خطره، ويقفون علي عظيم شأنه في توجيــه الأمـــة،وحفظ كيانها، وتتميز شخصيتها، كمـــا أنهـــم إســـلاميون فـــي الدرجـــة الأولي، ملتزمـــون بالكتاب والسنة.. قولاً وعملاً وحالاً، ظاهراً وباطنـــاً.. وتشهـــد أقوالهـــم وأعمالهـــم وأحوالهـــم بأن العلم ركـــن أصيل في حياتهـــم.

وللإمام أبي العزائم بحث غريب دقيق ممتع يوازن فيه بين الإيمان والعلم، وينتهي إلـــي أن العلم أرفع درجة من الإيمان، وأن الإيمان طريق إلي العلم وسبيل إليه. والعلم عنده رضـــي الله عنه يغاير الإيمان علي عكس من يري أنهما سواء، ودليل المغايرة يكمن في قوله العالي: وقال الذين أوتوا العلم والإيمان) فعطف الإيمان علي العلم يقتضي المغايـــرة.

وعرف الإمام أبو العزائـــم الإيمان: بأنه تصديق المخبر في خبره حتى يبلغ تصديقه التسليم له، فإذا سلم أخذ يبين له العلم علي قدر عقله حتى يحصله.

أما العلم عنده رضي الله عنه: فهو تصور النفس رسوم العلوم في ذاتهـــا تصـــوراً يجعـــل المعلوم كأنه معالم بين عينيه، مع نزاهـــة المعلوم وقداستـــه عن أن تحـــوم الأرواح والعقـــول حول قدس ذاته، كما قال الإمام علي: (لو كشف الحجاب ما أزددت يقيناً) لأنه علماً علا تصور به رسوم المعلوم علي جوهـــر نفســـه.

ويترتب علي ذلك أن الذين يؤمنون بالغيب لهـــم الزلفي عبد الله تعالي سواء علموا الدلائل أو لم يعلموها، وقد يرفعهم الله مقاماً علياً، أما أهل العلم بالله الذين عقلـــوا عـــين الله أســـرار كلامـــه حتي منحهم اليقين، فلهم درجات عالية، كما قال تعالي: (يرفع الله الذين أمنـــوا مـــنكم والذين أوتوا العلم درجـــات) فالذين آمنوا بالغيب يرفعهـــم الله تعالي، والذين أوتوا العلم أعـــد لهـــم درجا عنـــده سبحانـــــه.

هذا وقد بشر الله المؤمنين بالغيب ثم حثهـــم علي طلب العلم، فقال تعالي (فـــاعتبروا يـــا أولي الأبصار) وقال سبحانـــه: (قل أنظروا ماذا في السموات والأرض) فأهل الهمم العاليـــة من المؤمنين لا تقف همتهم عند الإيمان، بل يهاجرون إلي الصين، وأبعـــد منها ليحصلوا علي العلم النافع شوقاً إلي الفوز بما عند الله تعالي من الدرجات العلا التي يمن بها علي أهل العلم – راجع أسرار القرآن جـــ لأبي العزائـــم.

الفصـل الثالـث

الحب الإلهـــي[1]

المحبـــة لله هي الغاية القصوى من المقامات، والذروة العليا من الدرجات، فما بعـــد إدراك المحبة مقام إلا وهو ثمر من ثمارها، وتابع من توابعها كالشوق والأنس والرضا وأخواتها، ولا قبل المحبة إلا وهو مقدمـــة من مقدماتها كالتوبـــة والصبر والزهـــد وغيرها.

ويثني الإمام أبو العزائم علي المحبة والمحبين بقولـــه " المحبة فوق أن تدرك حقيقتها العقول لأنها سر من أسرار الله، وغيب من غيوبـــه سبحانـــه، يتفضل بها علي من سبقت لهم الحسني، وما تقول في قوم قـــد أحبهم الله من الأزل لا لنعمل، ولا لقربة تقربواً بها إليه، ولكن بمحض الفضل أظهرهـــم في الكون أحباباً لـــه..).

وفي تفسير الإمام رضي الله عند لقولـــه تعالي (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهـــم ويحبونـــه) يقول الإمام في أسرار القرآن.

(لقد بينت لنا تلك الآية أن كل محب لله محبوب الله، لأنـــه أخبرنا أن محبته للعبيـــد سبقت

وفي قولـــه تعالي (فســـوف) دليل علي أن لله تعالي يتفضل علي الأمـــة فيوالي إظهار هؤلاء في كل زمان ومكان ليكونوا أنجـــم هـــدي للأمـــة.

كيف تحصل المحبـة بين الحق سبحانـه وبين العبـد ؟

يبين لنا الإمام أبو العزائم في لغـــة سهلة الإدراك، قريبـــة الفهـــم، بعيـــدة عما درج عليه الصوفيون عادة من الإلغاز والرمز والإشارة وهم يتناولون هذا الموضوع، كيف تحصل المحبة بين الله تعالي وبين العبـــد حتي يصل إلي درجة الكشف والمشاهـــدة فيقول في أسرار القرآن جـــ ٢: (إن الله سبحانـــه يتفضل علي عباده فيكشف لهم الحجاب عن القلوب التي جعل لها نوراً، فتشهـــد جمال الله ظاهراً فيما أظهره سبحانـــه في هذا الكون من الحقائق التي أبدعها لخير الأنواع الحيـــة، وسخرها لبني الإنسان، فتتجلي لجواهر نفوسهم رفع الحجاب معاني صفات الله تعالي، فتتصور النفوس التي زكاها الله تعالي رسوم المعلوم بعد العلم، فيكون هذا الجمال العلى معالم بين أعين قلوبهـــم لا يغيبون عنـــه، فلا يمضي نفس، أو لمحـــة، أو لحظة، إلا وتنبلج له حقائق تلك الآيات فتجذبهـــم بدافع المحبة إلي شهود الحق جل جلاله، حتى تبل المحبة مبلغ الغرام والهيام الذي يستغرق كليـــه من تفضل الله عليهـــم بهذا المشهـــد، فيفرون إلي الله بالفناء عنـــه، وعما يحجبهـــم أو من يحجبهـــم).

المحبـة والفنـاء الصوفـي:

ومع هذه المحبـــة الصوفية الطاغية.. تحدث حالة فناء المحب في جمال المحبوب.. فناء يصوره جلال الدين الرومي في إحدى حكاياتـــه الرمزية في كتابـــه (المثنوى): بأن أحد المحبين ذهب لزيارة حبيبـــه، ولما طرق الباب سأله الحبيب، ومن الطارق ؟

أجـــاب المحب: (أنـــا). قال الحبيب: عد من حيث أتيت فليس هناك مكان للفائك، ولا شئ لطعام غي ناضج علي المائدة، ولا شئ ينضج قلوب المحبين وأرواحهـــم سوي نار الوجـــد والهجـــر، فامض إلي أن تحترق إنيتك علي جمـــر الفراق.

وعاد العاشق من حيث أتي، وبعـــد مدة تقرب من السنة، عاد يريد لقاء حبيبـــه، وكان قد أكتو بنار الفراق، وذا لوعـــه البعـــد مما أفني إنيته، ولما طرق الباب سأله المحبوب من الداخل مرة أخري.. من الطارق ؟ فأجاب في أدب حجـــم: أنت الزائر والمزور. قال له: الآن عرفت معني العشق، فأدخل يا أنـــا.

قال لي المحبـــوب لما زرتـــــــــــه ... من ببابي ؟ قلت بالبـــاب أنـــــــــــا

قال لي أنكرت توحيـــد الهـــــــوى ... عندمـــا فرقت فيـــه بيننـــــــــــــا

ومضي عام فلما جئتـــــــــــــــه ... أطرق الباب عليـــه موهنـــــــــــــا

قال من أنت قلت أنتظـــــــــــــر ... فما ثم إلا أنت بالباب هنـــــــــــــا

قال لي أدركت توحيـــد الهـــــــوي ... وعرفت الحب، فأدخل يا أنــــــــــا

هذا هو الحب الصوفي الذي يفعل بالمحب الأفاعيـــل.. وهذه الحالة يصورها أيضاً الإمام أبو العزائم في إحدى حكمـــه التي تكشف عن الفناء في مفهومـــه الذي يتفق مع روح الإسلام، وهو حالة التسليم المطلق التي يحل فيها الصوفي نتيجـــة للحب حيث يقول في كتابه – شراب الأرواح من فضـــل الفتـــــاح:-

(طلبك له هو عين طلبـــه ذلك، ولولاً طلبـــه لك ما طلبتـــه، فأنت له مطلوب، وبـــه طالب، وإلا فمن الطالبين حتى يطلبوا ؟ وهل للطالب فعل أو اثر حتي ينسب الطلب لنفسه ؟ حاشا.. إنما ينسب الطلب لنفسه من لم يوجـــد مطلوبـــه. والواصل لا يشهـــد غيراً، ولا تميل نفســـه إلي سوي، فهو فان به فيه عن شهود الأعمال والعبادات. ومتى شهـــد لنفسه عملاً، وتيقن أنه طالب له بعبادتـــه، وبطاعتـــه فهو محجوب عن الحقائق الإلهيـــة، وإلا فمتي يوجـــد من شهـــد نفســـه، أو أثبت له عملاً، وليس في الكون أثر لغيره ؟

فالوصول لا يكون إلا بإضافة الأعمال والآثار والمظاهر كلها إلي الواحد المنزه عن الشريك والمعين، حتى يفني عن المشاهــدات).

الفصل الرابـــــع

الجوانب الاجتماعيـة للنثـر الصوفـي

لقــد عاش أئمــة الصوفية في مجتمعهم يعرفون دوره تجاهــه، ويؤثرون فيه، وكذلك تميزوا نحو بالاندماج فيــه، والاختلاط به، والإيجابية نحوه، والعطاء له سعياً إلي الإصلاح والتهذيب.. رسالة ومسئوليــة استشعروا أعباءها، وأحسوا بها، فقاموا، من أجل الله – بأدائها وسبيل علماء الصوفية في إصلاح مجتمعهم أتخذ أحياناً كشف سلبياتــه، وألا بأنه عن عيوبــه، حتي يبصروا الناس بهــا، فيتقوهــا، ويعملوا علي تلافيها، والخلاص منها.

أو أتخذ في أحيان أخري سبيل النصح والإرشاد نحو الطريق القويم الذي يجب انتهاجــه في مختلف المجالات.

وجاء دعوتهــم للإصلاح الاجتماعي صورة صادقة لما دعاً إليه الإسلام، وحث عليه، فلا نكاد نجــد خلقاً اجتماعيا أو قولا أو عملاً أو حالاً رغب فيه الإسلام وإلا والتزم هؤلاء الصوفية، وعملوا به وحثو عليه. وقد تميزت سبلهم الاجتماعية بالواقعية والصدق، والسمو الروحي والأدبي، حتي أصبحوا نماذج صالحة لما يجب أن يكون عليه الداعية الإسلامي الصحيح، والدارس لنثرهــم الاجتماعي يلاحظ أنه جاء صورة صادقة لما دعا إليه الإسلام، وحث عليه من سلوك وقيم وأخلاق ومبادئ وعادات وتقاليد وأحوال، بل إنه يعيــد إلينا نصاعــه الإسلام في وصورتــه.

ولقد حث الصوفية علي الأخوة في الله، وجعلوها مناط فلاح المجتمع، وفوزه ومعقــد رجائــه، وسبب سعادتــه، وأساس تقدمــه ورقيه في مختلف الجوانب، فتحدثوا فيها أحاديث مطولــة.. وإن د ذلك علي شئ فإنما يدل علي رغبتهــم الجامحة في إصلاح المجتمع، ورقيــه وسعادتــه.

وها هو الإمام أبو العزائم يقول في تمجيــد الأخوة والأخوان وبم تصح الأخوة: (أعلم أن الأخوة مشهــد من مشاهــد التوحيــد الكامل، التي بها تتجلي معاني الكمالات والنزاهــة لذات الأحــد سبحانــه، من حيث أنه تنزه غني عن الخلق، قائم بذاتــه، منزه عن المعين، والصاحب والوالد والولــد وعن التركيب والأعضاء والأجزاء، وأنت المفتقــر إلي الأعضاء والجوارح والولد والصاحــب والمعين والوكيــل والوزيــر.

فالأخـــوة أكمل جمالات رتبتـــك، بها تتميـــز الحضرتان، وتظهـــر المكانتـــان، حتي تتحقق عين يقين من أنت ومن ربـــك.

فالأخـــوة تشهـــدك في نفسك أنك عبد مضطـــر مفتقـــر ذليل، فتعلم بها معاني كمالات ربك تقديـــر، وتشهـــد معونـــة الله وإمداداتـــه وود الله لك وإحسانـــه بما يجريـــه علي يدهـــم لك من الخيـــر والمزيـــد والنصرة والقوة.

فالإخوان في الله – عـــز وجـــل – هم المعراج إلي حضرة الحق تعالي، بهـــم تتجدد معالم الحق وتعلو كلمتـــه، وتقام حدوده، وتحف مناسكـــه، وينتشر الأمن والعدل. قال الله تعالي (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) فالأخ في الحقيقـــة هو أنت.. وكلما أكثرت من الأخـــوان كلماً كنت كثيـــراً، ويقدرهـــم يكون لك ألســـن وأذان وأعين وأيـــد وأرجـــل وكنـــوز وخـــزن).

ويتحدث الإمـــام أبو العزائـــم عن الأسباب التي تصح بها المحبـــة فيقول:

(لا تصح الأخـــوة في الله – عـــز وجل – إلا بما شرط فيها من الرحمـــة في الاجتماع، والخلطة عند الافتراق بظهور النصيحـــة، واجتناب الغيبـــة، وتمام الوفاء، ووجود الأنس، وفقد الجفاء، وارتفاع الوحشـــة، ووجـــود الانبساط، وزوال الاحتشـــام) راجع أصول الوصول لمعيـــة الرســـول للإمام أبي العزائـــم.

ولقـــد ألف الإمام أبو العزائم سلسلة كتب تعكس مدي اهتمام الصوفية بالمجتمع في حلقاتـــه المختلفة: المحلية، والعربية، والإسلامية، والإنسانية، وهذه الكتب هي: الإسلام دين الله وفطرتـــه التي فطر الناس عليها، والإسلام وطن والمسلمون جميعاً أهلـــه، والإسلام نسب يوصل إلي رسول الله صلي الله عليه وسلـــم.

والصوفى الحق يري أن واجباته الاجتماعية متعـــددة، ومتنوعـــة، ويحاول أن يوزعها نحو نفســـه، ونحـــو ربـــه، وأولاده، وأخوانـــه، وأقاربـــه بدقـــة لا يهمل منه أداء واجب، لأن واجباً آخر شغلـــه عن سابقـــة.

يقول الإمام أبو العزائم في تنظيم الوقت، ومعرفة أوجـــه إنفاقـــه حسب أولويات الفروض والواجبـــات المطالب بهـــا المريـــد:

(لا يعـــد المريد سالكاً علي الطريق إلا إذا علم بواجب كل وقت، وعرف المبدأ والمرجع والمقدم والمؤخـــر، وتمكن من معرفة نفســـه، ونوع أمراضها، ودوائها، وكيفية تزكيتها وما هيه وسائل كمالها، حتى لا يقع في صغائـــر الأمور التي تشتبـــه عليه لشـــدة خفائها، كما

يحصل من بعض المريـــدين الذي يسارعــون إلي عمل النوافل ويتساهلون في عمل الواجبات: من بر الوالديــن، أو صلة رحـــم، أو نجـــدة ملهوف، أو عيادة مريض، أو جهات في سبيل الله أو اكتساب رزقـــه، ورزق من يعولهـــم، فقد يكون شئ من هذا واجباً يقتضيـــه الوقت فيتركـــه ويقبل علي الأوراد، ويكثر من الصيام، والقيام والتعبد في خلوة عن الناس، حتى يصبر وليس عنده وقت لعمل المطلوب منـــه الحياة فتتحول تلك النوافـــل إلي معاصـــي تدخل علي المريـــد من حيث لا يعلـــم.

لهذا يجب عل السالك صحبـــة المرشـــد الكامل، أو الأخ المذكر لكي يذكره بالحقوق الواجب عليه لنفسه، والمطلوب منـــه لربه سبحانـــه، وحقوق الناس عليه بحسب صلتهم به، ويعلمه مواقيت تلك الحقوق وشروطها،فقد يكون الةقت يفتضي الشكر فيصرفه المريد في الذكر، وقد يقتضي السعي علي معاشـــه فيصرفـــه في نوافل الصلوات) – راجـــع كتاب دستور السالكين طريق رب العالمين للإمـــام أبي العزائـــم.

البــاب الثانـــي

البنـاء الفنـــي للنثــر الصوفــي

الفصـل الثانـي

فنـون النثـر الصوفـي [1]

يتنوع الفن الأدبي إلي نثر، وشعــر، إلي أن النثر أساس الشعــر، وأكثر انقيادا، وأقرب مثالا، لأن الشعر يلتزم فيه الشاعر بنظام التفعيلة العروضية وقيود الوزن والقافية، بينما يمتاز النثر بالانطلاق والتحــرر.

وإلي جانب ذلك، فالنثر أسبق في الوجود من الشعر (أسبق ارتباطاً بالتراث الإنساني منه– علي الأرجح – والنثر ميزه الله تعالي، بأن اختاره وعاء لقرائــه الكريم الذي لم تعرف اللغة العربية نموذجاً قبله في روعــة التصوير، وقوة المعني، وشرف الغاية، وجمال الإيقاع، وأعجاز البيان ولو كان الشعر هو الأمثل والأفضل لحظي بإيثار الله له علي النثــر.

ومن الطبيعي – إذن – إن يأتي النثر الصوفي مجاريا النثر العربي فيما تقدمت الإشارة إليه، وأن يأتي أغزر في الإنتاج الأدبي الصوفي من الشعر، لأن الصوفية أهل وجدانات طاغية، وعواطف جياشــة، وأذواق خاصــة، وتجارب حيــة تفيض بمختلف الإلهامات الربانية، والفيوضات الروحانية، والنثر أسرع تناولاً من الشعر في هذا هذه الأحوال الصوفية المتغيرة، والشعر إن أنقاد للبعض منهــم، فإنه لن ينقاد للكل.

ومن الطبيعــي – أيضاً – أن يأتي النثر الصوفي متنوع الفنون، والأغراض فهو مثل حديقة غناء بديعــه التنسيق شاملة الأنواع، فيها ما تشتهيــه الأنفس وتلذ الأعين، من ثمار شهية، ومناظر بهية وأشجار مورقة، وورود بديعــة الأشكال والألوان.. لذلك تنوع النثر الصوفي إلي النثر الروائي والمقال، وأدب الدعاء والمناجاة، وأدب الوصايا والنصائح، والموعظ، والأحزان والأوراد، وأدب التسبيح والتحميــد والحكمــة، وأدب الحب الإلهي، والمدائــح النبوية، ومدائــح أهل البيت، وتعريف المصطلحــات الصوفية، والنثر التعليمي الذي شمل آداب السلوك، وأدأب القلوب، وعلو النفس، والرسائل الإخوانية، وأدب التحليل النفسي، إلي غير ذلك من الأغراض والفنون التي جمع فيها النثر ما ورث عن القدماء، وما استحدث في عصرنا الحديث.

أمثلـه مختصرة من النثـر الخطابـي الصوفـي:-

من هذه الأمثلة في فن الخطابـــة من قاله الإمام أبو العزائم في مناسبة اجتماع عام ضم ممثلين عن مختلف الشعوب الإسلامية، لبحث مسالة الخلافة الإسلامية بعد إلغائها علي يد كمال أتاتورك.

يقول الإمـــام رضي الله عنـــه.

(الحمد لله حمداً نستزيـــد به عنايـــة الله بنا، حتى نعيـــد مجـــد سلفنا، ونبقيـــه لأبنائنا ولأبنائهـــم. قال سبحانـــه وتعالي (وتعاونوا علي البر والتقوى ولا تعاونوا علي الإثم والعدوان) والصلاة والسلام علي من قام يدعـــو إلي الحق منفردا في ظلمات الجهالة أيده الله بنصره، وكذلك كل داع إلي الحق ينصره الله – أمـــا بعـــد.

فيها أيها الشباب الناهضون المتفوقون علي الشيوخ في اقتحام العظائـــم.. أخصك بالذكر لأنكم الأيدي العاملة وق الشدائـــد، أخصكـــم بالذكـــر لأننا جماعـــة الشيوخ مللنا الدهر، ومللناً، ولأننا نعمل لكم لا لنا.. إن كان لنا الآن.. فالمستقبل لك.. وأي عاق يرضي أن يهمل أمراً يصبح الأخ بإهمالـــه حرباً علي أخيـــه.

أيهـــا الشباب العامل، كنت كسلاناً فنشطني الله بكـــم، جباناً فشجعنـــي الله بإقدامكم.. كنت أخاف أن أقول كلمـــة، فأطلق سبحانـــة لساني بقوة إيمانكم.. ذكرتموني عهـــد سلفنا الصالح حتى كان المسلم لا يري فقه إلا ربـــه، ولا يخاف إلا ذنبـــه، كأني أعـــدت إلي أيام مجدنا حيث الحياة في ظلال الحريـــة، فأشكـــر الله علي ما تفضل به علينا من غيرة علي وطننا تغير كل شئ أتت عليـــه، وحميـــه لديننا تمحـــو البدع المضلـــة، والأهواء المذلـــة.

أنتم أيها النشئ أقمتـــم الحجـــة بما قمتـــم بـــه للأمـــة علي أنكم شيوخ في شبابكـــم، وأنكم ستجددون ما كان لسلفكـــم، فأديموا هذا الجهـــاد حتى نبلغ المراد.

أنتم الأنجـــم المضيئـــة للعمال والأئمـــة عند السعي لنيل الآمال، وقد أن لنا أن نتدارك الأمـــر في أولـــه، فقـــد كفاناً ما توالي علينا من البلايا التي مكنت الأعـــداء فينا، وجعلتنا مستعبديـــن لهـــم.

أيهـــا السادة: الوقت يوجب علينا النظر إلي أحداثه بعين البصيرة والمسارع إلي معالجـــة المرض منا بالحكمة لنكون جسداً واحداً قوياً ندفع بقوة الاتحاد شراً أوجدتـــه التفرقة، وسوء ظن بغضنا ببعض...)

والإمـــام أبو العزائـــم بذلك يدعـــو إلي توحيـــد القلوب قبل توحيـــد الصفوف، ويهي النفوس لتعبئة روحيـــة تكون أساساً للجهاد والعمل المنتظر، قبل الإعداد المادي الذي لن يجدي شيئاً بدون الإعـــداد الروحـــي .

وفي خطبة أخري للإمام أمي العزائم مختلفة عن سابقتها في مناسبتها، ودواعيها، ومستمعيها، حيث خطبها في صلاة الجمعة في مسجـــد (قاينباي) بالفيوم، نراه يربط المسلمين بدينهـــم عن طريق تحقيق ما يتمناه الإنسان في دنياه من فوائد مادية مثل اتساع الزرق، وطول العمر، وتحقيق السعادة بالأولاد والأهل وذلك ممكن من الوجهـــة الدينية بنص القرآن في قولـــه تعالي (فقلت استغفروا ربكـــم إنه كان غفـــاراً).

يقول الإمـــام أبو العزائـــم في تلك الخطبـــة:

(أقول لكم إخوتـــي: إن لله كريـــم لا يبخل، وعندناً سبحانه أننا إذا عملنا بحقائق دنيه يمنحنا الوسعـــة في أرزاقناً والنسيئة في أعمارنا والأنس بأولادنا وأهلنا، وأننا إذا خالفنا وصايا رسوله يحوجنـــا إلي أعدائـــه، ويمسك السماء أن تنزل البركات، والأرض أن تخرج الخيرات.. ويفرق بين القلوب.

أخوتـــي: إن الله وعدنا في القرآن أن يمنحنا الوسعـــة والخير والهداية والنور وأنه نصيرناً إذا نصرنا، ويمنحنا الملك والتأييد في الأرض بالحق إذا أتبعنا وصايا نبيـــه، صلي الله عليه وسل – فما بالنا نري أنفسنا احتجنا إلي من كانوا في حاجـــة لنا، نري أنفسنا حصل لنا الذل إلي من كانوا أذلاء لنا.. هل كفرناً به ؟ لا، ولكننا تركنا وصايا نبياً – صلي الله عليه وسلم – وخالفنا ديننـــا.

إخوتـــي: إن العمل بالكتاب والسنـــة نعمـــة من الله وفضل. ارجعوا إلي ربكـــم بقلوب منسكرة، توبوا إلي الله يفرح بكـــم، ويفرج كروبكـــم، استغفروا الله يمنحكم خيراً ونعمـــة وهـــدي).

ثم يحـــدد الإمـــام رضي الله عنه أهم الواجبات العامـــة علي أخطر طوائف المسلمين.. من التجار والعلماء والزراع والحكام، فيقول:

(أيها التجار: تعلمون أن التاجر الصدوق الأمين علي قلب نبي ما لم يخن، فإذا خان نزعت البركـــة، بين يديـــه.

أيها العلماء: أنتم أمنـــاء الله علي شريعته، فإذا حســـد العالم غيره، أو غل علي غيره نزعت بركـــة العلم من قلبه ولسانـــه.

أيهـــا الزراع: أنتم تضعون البذور في أرض سوداء، فأنتم تحرثون الأرض والزارع هو الله، فإذا غرستـــم الغراس فانظروا إليـــه بعيون الفكرة، وأعلموا أن الرازق هو الله، وأخرجوا زكاة أموالكـــم، وظهورهاً من الربا والغش والخيانـــة يبارك الله لك في زراعتكم.

أيها الحكام: أنتم قائمون مقام ربنا في نصرة المظلوم، ورد المظالم ودف الحقوق إلي أهلها فاذكروا أن الله يجب منكم العدل في أعمالكم، والنظر إلي الناس بعيون المساواة والرحمة،فإذا كان التاجر يخون والزارع يمنع حق الله، والحاكم يظلم، والعالم يغل، والنساء تكيـــد الرجـــال، فأيـــن المسلمون – إذن – ؟

وهكذا نري أن هذا النثر الخطابي الصوفي يعتمـــد علي الكتاب والسنـــة، ويستمـــد مقوماته من أحكام الشريعـــة وروح الإسلام وسيـــر رجالـــــه.

أولاً: القصة النثرية في الآداب الصوفي الحديث [١]

القصـــة ذات شأن عظيم، وتأثير بالغ في النفس الإنسانية التي تعشقها بطبعها، وتحبها، وتميل إليها، ويكفي القصة شرفاً، وعلو قدر، ورفعـــه شأن، أن أهتم بها القرآن الكريم، وأختارها طريقة جيـــدة وسبيلاً ميسراً إلي تهذيب الأخلاق، وإرشـــاد النفوس.

وفي عصوناً الحديث احتل النثر القصصي مكانه مرموقـــة، ومنزلة رفيعـــة الشأن بين فنون النثر الأخري، وكثر رواده، ومبدعوه، ونقاده، وساعـــد علي رواجـــه وإظهاره انتشار الصحافة، والطباعـــة.

والنثر الصوفي الحديث، باعتبار أنه أبن للنثر العربي العام، وفرع منـــه، وتيار من تياراتـــه – قد عبر عن معاني الصوفي، وأفكارهـــم عن طريق القصة والرواية والحوار، الدعوة إلي التجديد في هذا الفن.

من نماذج القصة في الأدب الصوفي الحديـث.

القصـد الروائيـة للإمـام أبي العزائـم

وضـــع الإمام أبو العزائم لقصته الروائية التي سنعرض فيما بعـــد فكرتها عنوان: (محكمة الصلح الكبرى. حوار روائي بين مطالب الروح، ورغائب الجسـد لتزكيـــه النفوس، وإصلاح المجتمع) ولقد حـــدد الإمام رضي الله عنه من خلال العنوان المصطلح الفني الذي يمكن إطلاقه علي هذا النمط من النثر، كما حدد الهدف الذي دفعـــه إلي الكتابة في هذا الموضوع بهذا الشكل الفنـــي.

---

(١) راجع ص ٣٦٣ من الرسالة.

وأنسب المصطلحات الفنية لهذا العمل القصصي أنه (قصـــة روائيـــة) كما قصد إلي ذل الإمام نفســـه، وكما أطلق عليها أيضاً أستاذي الدكتور حسن جـــاد في تقديمه لهذا العمل، وحوار هذه القصة الروائية طريف بارع شيق، من شأنها أن تشـــد الجمهور إليها لو أخرجت للتمثيل، ويتحقق ذلك من خلال الموضوع والأشخاص والحوار المدار، كما أنها خالية من الاستطراد، والتعليق علي الأشخاص، والأحداد فليس ذلك مجاله رواية تخرج للتمثيل، لأنها تحتاج إلي وقت محـــدد.

أمـــا عن المفاجآت والصراعات التي ينبغي أن تسود الحكايـــة التمثليـــة فإن أرها متمثلة في قصه الإمـــام أبي العزائم فيما سادها من الموضوع الجديد،والأفكار غير المطروقـــة، كما أنه جعل من المعنويـــات.

والمحوســـات أشخاصاً تعقل وتفكـــر، وتتكلم وتحاور، وتعي ما تسمع، وذلك مثل الوهم، والخيال، والفكـــر، والعقل، والتهور، وغير ذلك.

ثم صور الإمام في براعـــة الصراع بين العقل والنفس الشهوانية، وبين الفكر والتهور، وبين مثل الخير ومثل الشر، وما ساد حوارهم من أفكار وصلت في اختلافها حـــد التناقض، وتلك الأفكار كانت سببا في صراع الأشخاص، لتضارب، مصالحها، وأهوائها وشهواتها ورغباتها، وما يمثله ذلك من صراع بين الخيـــر والشـــر.

علي أن جودة العمل القصصي التمثيلي تأتي من قدرة الإمام رضي الله عنه علي الكشف عن النفس الإنسانية، ونوازعها وتصوير ما يدور فيها من صور الخير والشر وأسباب ذلك.. فهو يجعل من النفس الإنساني ذاتها موضوعا لعمله. يحللها ويتعرف علي قواها، ويقف علي طبيعـــة كل قوة، وما تؤديه لصاحبها من خير أو شر، وما يجب علي الإنسان الصوفي من معرفة هذه القوي، وخواصها حتى لا يجعل شيئاً يسيطر علي أحاسيسه، ومشاعره، وجوارحـــه، غير حبـــه لله سبحانـــه وتعال وإخلاصـــه له، والإقبال علي ما يقربه منـــه تعالي

الأشخاص في محكمـة الصلح الكبرى لأبي العزائـم.

١- الوهـــــم: مـــرآة المعنويـــــــات

٢- الخيـــال: مرآة المحسوســـــــــات

٣- المـــلك: هو النفس الناصية الملكية، ووكيلها العقل، وهو الوزير الأول في المملكة – والخصم النفس السبعيـــة

٤- الفكــر: هــو وزيــر داخليــة، إذا تعرض علي الشئون الداخلي للملك، فيميز بين نافعها، وضارها بالحجــة الجليــة ويعرضها علي مولاه وخصمه النفس الشهوانية.

٥- الرؤيـــــة: وخصمهــا التهـــور.

٦- الشجاعــة وخصمها الجبــن.

٧- العفـــــة وخصمها الشهــوة

٨- الكـــــرم: وخصمــه البخــل.

٩- العدالــة: وخصمها الغدر والضيم

١٠ النــور: وخصمـــه الحس.

١١- هيئــة المحكمـــة، ويمثلها.

(أ) العدل: رئيساً، وعن يمينـــه الهــدي والعلــم، وعن يساره التوفيق والرحمـــة.

(ب) كانــت الجلســة: (أميـــــن)

(جـ) رئيس الشرطــة، وجنــــده.

فكـــرة محكمـــة الصلـــح وتقويمهـــا.

يبـــدو الوهـــم – وهو مرآة المعنويات – وقد ظهر عليه الألم، حيث يدور حوار بينه وبين الخيال مرآة المحسوسات – عما يورده الإنسان علي كليهما من المفاســد، وألوان الضلال، والوساوس الشيطانية، وأشدها ما لا يليق بعظمـــه الله سبحانـــه، وتلك مهمة لم يخلقا من أجلها، ومن ثم تتفق وجهـــة نظرهما علي التوجـــه إلي العقل ليعرض عليه الحال باعتبار أنه ذو رويــه وفضل، وأنه البرزخ الحاكم بين ملكاتهما وبين النفس، وأنواعهـــا.

ولا يلبث العقل هو الآخر أن يشكو من أن الحس ودواعيه قد استعبـــد الناس إلا قليلاً ممن اجتباه الله بسابق حسناه، ولذل فقد فارقهـــم منذ خيرهـــم.

وهذا ما لا يستطيع الوهـــم والخيال اللجوء إليه تخلصاً من شرور الإنسان، وإساءته إليهما علي نحو ما ورد في شكايـــة كل من الوهـــم والخيـــال.

يرق العقل لحالهما، ويلطف، ويقول لهما، هلم بنا نرفع الأمر إلي الله تعالي، ثم إلي أولي الأمر في الإنسان، وهنا يبزز الإنسان المتجرد من بشريتـــه، المتخلي عن حيوانيت – بعد أن سمع نجواهـــم، وفهـــم، معناهـــم – ليعلن أمام الثلاثة – الوهـــم والخيال والعقل – أنه

محب لأن ينال أبناء جنســه الخير والفلاح،ويؤيــد رأي العقل برفع القضية إلي (العــدل)

ونص الدعـوة المرفوعـة هـي:

(بسم الله الرحمن الرحيــم، الحمـــد لله، والصلاة والسلام علي رسول الله أما بعــد: فمن الإنسان المتجرد عن بشريته، المتخلي عن حيوانيته، المستعيذ بالله من نار إبليسيته، ثم من العقــل والوهــم والخيال إلي (العدل) عم الله بـــه النفع، إن نتظلم إلي الله تعالي، ثم إليك مما نحن فيه من ظلم الظالمين وهم إبليس والحس، وجميع قوي النفس والسلام عليك وعلي من معك.

وفي هذا الموقف الدقي في عرض القضية، وأخذها مسار الطريق الجـــاد إلي التنفيذ، لا ينسي الإمام أبو العزائم أن يصور ما جبل عليه كل من الوهــم والخيال من تردد، ونفاق، وملق، حيث يرجـــوان العقل أن يستر الحال عن الخصوم لأنهما مقوران ويخشيان الوبال، فيأذن لهما العق بالانصراف عليهما من الإتلاف يتم يتطلف للإنسان المتجرد من بشريته – هو الآخــر – للانصراف.

تفتح الجلسة الأولي باسم الحكــم (العدل)، وكاتب الجلسة (أمين) الذي ينادي علي العقل (المدعي)، ويدور حوار بينه، وبين الرئيس، يعبــر في العقل عن أنه كان في مسرات حياتـــه الروحانيـــة، وملاذ أفراحـــه العقلية، يسبح في فسيح العــز والفخار حتى جذبته خصومتـــه بمقتضيات كثافتها، ودواع ميولها إلي سجن الشهوة الحيوانية، والخضوع لسلطان الحظوظ البهيميـــة، وهؤلاء الخصوم هم النفس السبعية، والنفس الشهوانية، وأنصارها، والجسم والحس، ولا يلبث القاضي أن يأمر بإحضار الخصـــوم..)

ويحــــدد الإمـــام أبو العزائم في محكمـــة الصلح الكبرى طرفي الخصومة في القضية فالطرف الأول: يمثله العقل، وتوابعـــه من الفكـــر والرويـــة .

والمنطق والعفـــة والشجاعــ والكرم والعدالة.. والطرف الثاني: تمثله النفس السبعية / والنفس الشهوانية، وتوابعها من التهور والجبن والافتخار والتيه والاستهزاز والغدر والضيم.

ومن خلال الحوار المضطرم بين مختلف القوى النفسية تظهر ذاتية الإمام أبي العزائم في تعبير ممتع عن رأية في بعض القضايا الفكرية، والاجتماعية ومن جهـــة النظر الصوفية، ولكنها ليست ذاتية خالصة تفرض ما تراه هي، وتتجاهل الرأي الآخر، ولكنه من خلال الحوار

يعرض كلا الرأيين ليحافظ علي سلاسـه الحوار، والحرص عليه أن يأتي مواتياً لطبيعة الموقف فلا نجس فيه تبوأ، أو محاولة تطويعه إلي غير أتجاهه.

ثم يحتدم الصراع بين قوى الخير والشر في النفس الإنسانية ويتعاظم الحوار، وتعلو الأصوا وتتقارع الحجج، وتتصاعد حده المواجهة إلي أن يصل الموقف إلي ما يشبه العقدة في العمل القصصي.. بعدما يأخذ شكل الانحدار الهادئ البطئ إلي ما يشبه الحلة، إلي أن ينتهي الأمر إلي اتحاد القوى المتصارعة، ويعقد مجلس الحكم الذي يتلو فيه الرئيس (العدل) حيثيات الحكم التي تتسم بالإقناع والوضوح، وقوة التأثير ثم يصدر الحكم الذي يقابل من كل النفوس والقوى بالاستحسان، والمصافحة، والعناق، والاتحاد، والائتلاف.

وقد نجح الإمام أبو العزائم في إدارة الحوار، وترتيبه، وفي تحديد الهدف، وكيفية الوصول إليه وأستطاع من خلال هذا العمل الروائي الجديد علي الأدب الصوف أن يشرحي الأفكار والمعاني الصوفية، التي تهدف إلي معرفة النفس وقد اختار هذا الفن الأدبي لأن النفس تميل إليه، وتحبه، وتتقبله، ومن ثم سيكون ذا أثراً حسن فيها، وقد حقق الإمام رضي الله عنه هدفه الصوفي والأدبي معاً، فمن يرد معارف صوفيه فعليه بمطالعتها، ومن يرد متعة أدبية فإنه واجد بغيته في مطالعتها أيضاً، ومن ير إسلاماً، أو أخلاقاً، وتهذيبا وحكمة، فعليه بها ففيها جماع الخير كله للإنسان ومجتمعه، وبني جنسه.

لماذا اتجه الإمام أبو العزائم إلي النثر القصصي ؟ وبم يقوم اتجاهه ؟

يهدف الإمام أبو العزائم من وراء كتابة هذه القصة الروائية إلي أن يتوجه بها إلي الإنسان المؤمن، لكي يتبين عن طريقها حقيقة نفسه ليصلحها، فمن المعلوم أن الإنسان مجمع العجائب والغرائب، والمتناقصات كلها، ففيه من ملكات الخير ما يستطيع بها – إذا أحسن استغلالها ـ أن يكون الإنسان الحق الذي كرمه الله تعالي، فخلق الكون وما فيه من أجله وسخره له، وجعله خليفه عنه – سبحانه في الأرض.. وعلي النقيض من ذلك جعل الله فيه من قوى الخبث، ونزعات الشر ما يمكن أن يكون بها – إذا لم يهذبها من أخبث المخلوقات.

ولهذا يريد الإمام أبو العزائـــم أن ينبــه الإنسان المؤمن إلي ما كمن فيه من هذه القوى، وتلك.. حتى يعرف حقيقة نفســـه، ومن عرف نفسه فقد عرف ربـــه.. وهنا مكمن سعادة الإنسان في دنياه وأخراه، وسعـــادة أسرتـــه ومجتمعـــه، بل سعادة الإنسانية كلها.

ولهذا يصرح الإمام أبو العزائم بأنه ألف كتبـــه المختلفة لتحقيق ذلك، ثم تراءي له أن يسلك في التعبير عن هذه المعاني والدعوة إليها أسلوباً جديداً، ونمطاً حديثاً، تتعلق به النفس، ويرهف إليه الحس، ويتأثر به الوجدان، فيقول في مقدمـــة عمله الروائي (محكمة الصلح الكبري) الذي أتناولة بالدارسة الآن: (... وبعـــد أن كتبت أكثر من أربعين كتاباً ورسالة في بيان سبل الخير، والحث علي السير عليها، تاقت نفسي أن أنوع الدواء، بما يناسب نيل الصفاء، وفي الإشارة ما يغني اللبيب، ويسر الحبيب).

ونستطيع القول بأن اتجاه الإمام أبي العزائم إلي أن يعبر عما يريده من فكر ومضمون في إطار شكل فني أدبي هو النثر القصصي الروائي الصوفي – كان اتجاها مقصوراً وهدفاً سامياً، سعي إليه لكي يحقق من يصبو إليه من إبراز مشاعره وأحساسيـــه نحو ما يعتمل في صدره من فكر صوفي، يؤدي به واجبـــه، ويرضي ضميره، أنه أختار الوعاء الغني القادر علي تحقيق ما يريـــد.

وفي ذلك تقدير منـــه للفن الأدبي عامة، والنثر القصص خاصة وكذلك نراه يمازج في روايته بين النثر والمواجيـــد أحياناً، فلعل النفس تتأثر بهذه المازجـــة أسرع وأعمق، فولاء الإمام أبي العزائم للتأثير النفسي والوصول إلي الإقناع وعمقـــه كان أسبق من غير عناية منـــه، ولذلك نلمح عناصر الجذب والتأثير والإقناع قد استوفت عناصرهـــا.

وفي ذلك يتحقق الهدف الأدبي النبيل الذي يستحق به هذا النتاج الأدبي أن يحلل، ويدرس علي انه عمل مشترك بين الصوفية والأدب،استحققت به الصوفية الحديثة أن تتيه به علي عصور الأدب الصوفي السابقـــة.

<u>**ويحق لى أن أقول – فى حدود علمى – إن الإمام أما العزائم بهذا العمل يعد أول من أدخل هذا الفن الأدبى فى عالم الأدب الصوفى من أول نشأته فى لغتنا العربية حتى اليوم.. وأن ذلك يعد مظهراً من مظاهر التجديد فى الأدبى الصوفى.**</u>

إن الإمام أبا العزائم بتأليف هذه القصة إنما كان مرآة صافية صادقة لمجتمعه عسكت قضاياه، ومشاكله وطموحاتـــه ولم يكن ذلك مقصورا علي مجتمع المحلي الذي يعيش فيه، وإنما تعداه إلي المجتمع العربي، والإسلامي، والإنساني قاطبـــة.

وهكذا اتصل الإمام أبو العزائم بأمتــه، ومجتمعــه، وهذا استمــد منها العون والقوة، وهكذا استلهما أمالها، وآلامها، وأسباب سعادتها، وشقائها، وأن أي إصلاح سياسي، أو اجتماعي، أو اقتصادي،أو فكرى: فردي أو قومـــي، أو سلامي، أو إنسان لا يمك أن يبدأ بداية صحيحة، ويتجــه اتجاه سليما، مثمراً نعيــد ما بدأ به الإمام أبو العزائم، ولا يمكن أن يتم أو ينتهي نهاية ناجحــة إلا إذا بدأ هذه البدايــة العزائميــة.

البدايــة بالنفس الإنسانية أولاً، والتعرف عليها، وعلي قواه ونوازعها، ثم العمل والجهاد علي تصفيتها، وكل دعوة للإصلاح وكل عمل من أجلــه محكوم عليه بالفشل المسبق إذا تخطي ما رسمـــه الإمام أبو العزائم من الاتجاه إلي النفس لتحقيق تصفيتها وصدقها، وإخلاصها أولا.

ثانياً: المقال في الأدب الصوفي [1]

المقال فن نثري حديث واكب ظهور، وانتشارها وتنوعها إلي صحافة يومية ومجلات أسبوعية، وشهرية، سياسية، وأدبية، ودينية وإجتماعية، ونفسيه ومع هذا الانتشار السريع والتطور الهائل في الصحاف، واتساع نطاقها، تطور المقال، وعظم شأن الأهتمام به وأجتذبت الصحافة الكتاب، وأصبحت المنبر المعبر عن أفكارهم ومشاعرهم.

وكتاب الصوفية كانوا من ضمن من شدتهم الصحافة، واسهوتهم الكتابة فيها، فغمروه بسيل من المقالات يعبرون فيه عن أفكارهم ومعانيهم الصوفية، ويتناولون القضايا المختلفة المثارة ليعالجوها من وجهة نظرهم الإسلامية الصوفية.

والدليل علي ذلك ما قام به الإمام ابو العزائم من إنشاء مطبعة المدنية المنورة التي ما زالت موجودة حتى الآن، وتملكها مشيخة الطريقة العزمية، ومن إصدار مجلات أسبوعية، منذ مطلع هذا القرن وهي مجلا (السعادة الأبدية و (الفاتح و (المدينة المنورة علي التوالي.. إلي جان ما قد به الإمام من الكتابة في صحف (المؤيد الأخبار – السياسة – النظام – الأفكار – الجمهور.. وغيرها) ومما قال الإمام رضي الله عنه في جريدة (الجمهور) بتاريخ ١٧ نوفمبر ١٩٢٣م تحت عنوان: (حصنوا أنفسكم بالأخلاق الإسلامية).

(أيليق بالمسلم أن يري بيوت العهارة علناً، وبها المسلمات يدخل عليهن الساقطون في حضيض البهيمية، وقد عينت لهم الحكومة حرسا ورخصت لهن؟، فهل الحكومة بهذا أوجبت علي الرجل أن يدرس دينه، وعرضه، وشرفه رغم أنفه ؟ الحكومة رخصت للباغية، والقرآن حرم الزنا، ورخص لأصح الحانات، والشريعة حرمت الخمر، وعينت حرساً علي بيوت الزنا،والحانات، فهل تطيع الحكومة وتخالف دينك ؟؟)...

وينشر الإمام رضي الله عنه مقال افتتاحيا بتاريخ ٢٣ نوفمبر ١٩٢٥م تحت عنوان (حول الحالة الحاضرة – الدين النصيحة) يقول فيه: (الأحزاب أحزان في أمه تجاهد لدفع العدو الغاصب، والتفرقة في أمه لا قوة لها علي دفع عدوها الرابض في عقر دارها هي موت أبدي، فليضح كل فرد من الأمة بكل رخيص، وغال لنيل الخير العام، وليحقر كل رجل ما يناله من الجاه، والسلطان الذي يكون في ذله، وذل أمته).

---

(1) راجع ص ٣٨٣ من الرسالة.

وفي مقال آخر نُشر له رضي الله عنه في جريــدة السياســة بتاريخ ١٩٢٨/٨/٦ م تحــت عنوان: (إلي الأمــة المصرية) يقول فيــه عن الزعمــاء:

(... البلاء كل البلاء من خصال ثلاث:

أولها: شر الزعيم بما نال من المجــد أن يضيع منه، فيعــادي مــن واجهــة بالنصــيحة، ويحارب من طالب بالقيام بما عاهــــد الأمــة عليــه.

والخصلة الثانية: إعجاب كل زعيــم برأيــه، فيخاصم الأراء المخالفة له، ولو كانوا علــي الحق، ويهرع معه أنصاره، فيصيحو ويصخبون من غير بصيرة في الأمر، ولا عبرة بالأحداث.

والثالثة: اتباع الهوى، والهوى أخو العمي، ومن أتبع هواه.. في هوة الخزى أراه، ومن لم يضح بالمال، والجاه ليدفع عن الأم شر تميكن الأعداء، كان ماله أو جاهه عليه وبالاً).

وبذلك جاء المقال الصوفي فرصة لتداول الأفكار الصوفية، وتغيرت الفكرة العامة المأخوذة عنهم، وظهر أنهم قوم متقيدون بالكتاب والســة، سائرون علي منهج الإسلام الصحيح.

ثالثاً: الحكمة عند الصوفية المحدثين[1]

جاءت الحكمة في النثر الصوفي امتداداً لما هو مأثور منها في التراث الأدبي الصوفي مع ما دعاً إليه العصر الحديث وروحه من وضوح الفكرة إلي حد ما، وسهولة الألفاظ ومألوف التراكيب والصياغة، ولكن يجمعها كلها التعبير عن المعاني، والأفكار، والقضايا الصوفي، واتفاقها ايضا في البناء من حيث انتقاء الألفاظ وجمال التعبير، وتأثيرها البالغ في النفس، وتقبل القارئ لها، واقتناعه بها إذا كان صوفيا، أو ممن يسلمون للقوم أفكارهم،وطرقهم، وسلوكهم.

ولا ننس أن فن الحكمة الصوفية قديماً وحديثا كان يهدف إلي بيان قواعد السلوك الصوفي، وتوجيه النصح والإرشاد نحو تقويم الأخلاق.

رأي الإمام أبي العزائم في الحكمة:

يقول رضي الله عنه في كتابه (شراب الأرواح من فضل الفتاح) (ليس المراد من الحكمة عبارات متسع المباني، بالغ حدها في سمو اللفظ، وانتظام التركيب، ومراعاة مقتضي الحال المكتسب من مزاولة علوم الفلسف والمنطق، والرياضيات واستعمال النظائر، والقضايا والأقيسة، والأشكال والنكات البلاغية، فإن هذا بعيد عن الحكمة بمراحل، لأنا نرى كثيراً من الكفار وأهل المعاصي لهم اللسان المعبر، والقلم المبين بحالة تحير العقول، وقد جعل الله حظهم منه لسانهم، وحرمهم من نور الحضور معه، ولذة الاستمداد منه).

---

[1] راجع ص ٣١٣ من الرسالة.

نماذج من حكم الإمام أبي العزائم التي تثر القومية. والسلوك الصحيح [1]

(١) (من عصي الله فيك، فاجتهـد أن تطيع الله فيـه).

(٢) (لحظة فكر بيقين خير من عبادة سنين.. ونظر بفكر واعتبار خير من البكاء سنة من خوف النـار).

(٣) (كن عبـدا لله تكن ملكاً علي من سواه).

(٤) (من كان قربة بالأذن كان بعـده بالأذن، ومن كان قريباً بالقلب لم يبعـد).

(٥) (أنت عدم إذا عاملك بعد لـه، وملك إذا لاحظك بفضلـه).

(٦) إذا جملك بالوجد إليه، وحلاك بالتوكل عليه فقد وافتك هدايته، وطلبتك عنايته)

(٧) (أجعل حظك الرضا بما اقامك فيه يدخل يدخلك بفضله حضره تجليـه.. حـافظ علـي الأدب، ولو رفعت لأعلي الرتب، وأخضع للسنة، ولو بشرت بالجنة، إذا أردت أن تـراه فأزهـد من سواه)..

(٨)(القلوب أوعيـة الحق، وخزائن الغيب، وعرش رحمـات الـرب) أجلهـا: أجلاهـا، واقربها: أصفاهـا).

(٩) (طلب ما لابد منـه عبادة، والاشتغال بما خلقت له، سعادة، إن كـان فـراغ قلبـك بادخار ما يكفيك في غدك، فالهـم بـه لا يقدح في زهدك).

(١٠) (تحذرك باليقظـة من الوقوع في فتن الخلق، لا ينافي تحققك بالصدق).

رابعاً: آداب الدعاء والمناجاة [1]

الصوفي لاجئ إلي الله دائما، شاعر بالأضرار إليه سبحانه في كل أحواله وأوقاته، وأموره: صغيره وكبيرها، حقيرها وعظيمها فالله سبحانة وتعالي وحده هو غايته وشغله، وهدفه الذي يسعى إليه وفي كل يقول أبو سعيد الخزاز (كل ما فاتك من الله سوي الله يسير، وكل حظ لك سوى الله قليل).

والصوفي بهذه الروح الصافية، والهمة الوثابة، وهذا الفكر الشفاف،وعندما يلجأ إلي حبيبه ومأموله، ومبتغاه، يدعوه، ويناجيه، ويضرع إليه: خاشعاً، متذللا، إنما تفيض بالمعاني الرائعة الجميلة العذبة، والعواطف الجياشة الصادقة، والتجربة الحية العميقة.

وقد سار محدثو الصوفية في أدب الدعاء، والمناجاة علي نهج القرآن والسنة، وسلف الأمة الصالح، ولهم فيه تراث ضخم يحمل الأفكار والمعاني والموضوعات الصوفية: ففيه يبدو التسليم المطلق لله، وتفويض الأمر إليه سبحانه.

وفيه التعبير عن المقامات والأحوال الصوفية، وفيه تبدو الروح الاجتماعية، والإنسانية الخالصة، وفي آدب الدعاء عندهم نلمح العاطفة الجياشة، والإحساس المرهف، والشعور المتقد، والتجربة الحية من خلال الألفاظ، والأساليب، والمضمون، وتلك من دعائم الأدب الصادق في التعبير عما يدور في النفس من حاجات، وأفكار ولواعج وأشواق.

والنصوص التي أقدم شيئاً منها فيما يأتي تعبر عن كل ما سبقت الإشارة إليه، ويستبان من أثرها العميق في النفس بكل ملكاتها الوجدانية، والنفسية، والعقلية يقول الإمام أبو العزائم في إحدى توجهاته إلي الله بالدعاء والمناجأة.

(رب هب من جميل هباتك، وواسع بركاتك، ولطف تعطفاتك، وسريع إغاثاتك ما به أكون شاكراً ذاكراً، حاضراً، فاكراً، أنساً بجمالك، مسروراً فرحاً، بفضلك مغموراً، رب نعم بمشاهدة جمالاتك لطائف قلبي، ومكن لعلي ذاتك حبي، وطيب بمؤانستك شربي، حتى يحلو ل من جنابك قربي، ويصح لي طربي، رب أشرح بمناجاتك صدري، ويسر بمعونتك أمري، وارفع بمودتك قدري، ونور بحق اليقين سري، واجعل علي صراطك المستقيم سيري إليك.

رب أقبل بكليتي عليك، وأوصلني بك إليك، رب جملني بحلل قبولك وشرفني بنعـم إقبالـك، وأجعلني من أهل وصالك، وعاملني بجمالك واحفظني من جلالك، وحققتنـى بحقيقـه العبـد المخلص لكمالك).

ويواصل الإمام أبو العزائـم مناجاتـه قائلاً :

٠ رب خلقني بأخلاقك العليـة، وكاشفني بأسرار الربانية، وأدبنـي بـالآداب المرضـية، وأدخلن في رياض المعية، وشرفني بمقعـد العندية، وأسعدني بسابقة الحسني الأولية. رب بذل هو كمالي، وبفقر هو جمالي، وباضطرار هو إقبـالي، أعزنـي بوصـالي، وأعننـي بـالنوال، واستجيب يا رب سؤالـي.

رب بعدم وجودي، وباحتياج هو سعودي، وبيقين هو شهودي، أوجدني بك لك، وأغنني بك عن شرا خلقك، وأمنح التمكين بالروح الأميـن.

رب أشرق نور اليقين بفؤادي، واجعل مرادك مرادي،ووضح لي سبيل رشادي، وأجعل علي حق اليقين اعتقادي.

رب أجعل أمري مفوضا إليك وأجعلني في كل أموري متوكلاً عليك، إذا الأمر منك وإليك)

وقد لأحظ عند الإمام أبي العزائم لوناً من الدعاء والمناجاة يبدأه بأية قرآنية تكون بمثـاب العنوان لما يأتي بعدها من معاني الأدعية، حيث أنها تشتمل علي ما جاء في الآية الكريمة مـن هذه المعاني إما بالنص الصريح، أو بالإيحاء.

ومثال ذلك ما بدأ به أحـد أدعيته بقوله تعالي (قل أدعوا الله أو ادعوا الرحمن أيما تدعوا فلـه الأسماء الحسني).

حيث أورد رضي الله عنه كثيرا من المعاني التي تدعو إليها هذه الآية الكريمـة في دعائه قائلاً (أسالك يا الله، يا رحمن، يا من لك الأسماء الحسني، والصفات المنزهة العليـا أن تمـن علي يا إلهي بنور يقين حق في قلبي، أكون به شاهـدا لأسرار عظمتك وجلالك وجمال شهوداً يحققني بالخشوع والرهبة، من حضرتك حتى أكون وسطا في صلاتي، ومناجاتي، وتوجهـاتي، فلا أجهر بصلاتي، ولا أخافت به مبتغياً بين ذلك سبيلاً، أقتداء بحبيب المصطفي صلي الله عليه وسلم، حتى أشهـد مشاهـد التوحيـد بالتوحيـد، ومن معاني كمالا التنزيـه والتفريـد، ما به أكو علي اليقين الحق، بأنك تنزهت عن الولد، وتقدست عن الشريـك، ويكون مشهدي هذا أكمل نعمة أنعمت بها علي وأعني يا إلهي بمعونة منك علي أن أحمـدك.

لك الحمـد سبحانك ولك الشكر، ولك المنـة، لا شريك لك ولا ولـد، تعاليت علـوا كبيـراً عما يقول المبلطون.

وأسأل يا إلهي أن تمنحني وأهلي، وأولادي، وأصحابي، وأحبابي بهجة بالمعرفة، وفرحـا بالفضل، والرحمة، وإكراماً يا إلهي لي ولهـم بإسباغ واسع النعم والمغفرة والفضل، وإعطـاء المزيـد من الإحسان والهداية والعلم،والتوفيق، والعناية، والعفـو، والعافية مـن كـل البلايـا والشروط والأمراض.

ويدخل في أدب الدعاء والمناجاة أدب التسبيح والتحميد، وهو اتجاه بـرز عنـد الصـوفية يتوجهون إلي الله فيه بالحمـد والشكر والثناء والتنزيـه، لأنـه سبحانـه صـاحب الـنعم، والمتفضل علي الخلق بنعمـة الخلق، والإيجاد والإمـداد).

ويمثل هذه الاتجاه قول الإمام أبي العزائم في أحدي مناجاتـه.

(رب إنك خلقتني مضطراً، محتاجا وجعلتني في كل نفس مفتقراً إلي إمداداتك، وعنايتـك ومعونتك وكيف لا، وأنا في كل طرفه عين وحركة، ونفس إن لم تمدني يا إلهي بالعناية منـك، والمعونـة منك هلكت.

أن يا إلهي صرفت الرياح التي أتنفس منها، وبسطت الأرض التي أمشي عليها، وأجريـت الأنهار التي أنتقع بها، وخلقت الشمس والقمر والنجوم التي أستضـئ بهـا، وأنبـت النبـات، وأوجـدت الحيوانات التي أتمنع بخيراتها ومنافعها فأنا الفقير إليك، المضطر إلي جنابك، العلي، المحتاج لأحسانك، وأنت الغني عن: استغنيت بذاتك عن المكان والزمـان، والولـد، والنـد، والنظير، وأنت القاهـر للكل.

ويلحق بأدب الدعاء والمناجاة أدب الابتهال، وذلك لما بينها من تشابه وصلة قريبة تتجلـي في الروح الواحِـدة السائدة هنا وهناك، وفي العاطفة المشتركة وهي عاطف الحب لله والالتجاء إليـه.

ويمثل أدب الابتهال قول الإمام أبي العزائم :(إلهي لمن يبتهل المحتاج،ولمن يلجأ المضطر إذا ألم به ملم، أو نزلت به نازلـه " أمن يجيب المضطر إذا دعا ويكشف السوء " لـك يـا الله تبسط الأكف، وتبتهل القلوب، وتستجير الجبابرة، وتتراكم الأطواد، وتتزلزل الوهـاد والجبـال بكبريائك يا متكبر، وتخضع شم الأنوف لعزتك الجبروتيـة .

أنت الذي ظهر بجلالك، فانمحى عند ظهورك كل جبروت، واندثر عند شــهود عزتــك كــل عزيز، وبك يا الله ارتفع شأن من أنخفض لعزتك وعلا مقام من تواضع لعظمتك، وسما قدر من خضع لكبريائــك.

إلهــي: من عشقك عرفــك، ولم لم يعرفك ضلت به الأهواء، إلهــي: تجـل علــي قلوبنــا بالجمال، ومظاهر الكمال، وعلي حواسنا باللذة الجمالية الإلهية حتى يكون السمع والبصر " كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر بــه، وقدمــه التي يمشي عليها)

خامساً: الرسائل الصوفية الحديثـة [١]

الرسائل الإخوانية قديمــة.وجديد في النثر الصوفي، أما إنها قديمــة فلأنهــا وجــد فــي الأدب الصوفي القديم مجار منــه للنثر العربي العام، وإن كانت تفترق عن مثيلاتها فيه.. مــا يفترق فيه الأدب الصوفي عن الأدب العرب العام فــي الموضــوع، والغــرض، والمضــمون، والشكــل.

وأما إنها جديدة، فلأنني عثرت علي كمم هائل منها في نثرنا الصوفي الحديث للإمام الســيد محمد ماضي أبي العزائم وهي ذا مضمون صوفي لا يقل نصاعــة، وصــفاء، وقيمــة فكريــة، وفنية عن المأثور منــه في تراثنا القديــم.

وهذه النصوص الجديدة لم يكشف النقاب عنها، ولم تتناولهــا دراســـة ســابقة بالبحــث والدرس، وربما تكون هذه أول إشارة إليها – وذلك في حدود علمي – شأنها في ذلك شأن فنون النثر الصوف كلــه – في مجملــه.

الرسائـل الإخوانية عند الإمام أبـي العزائـم

نسوق علي سبيل المثال جملة من رسائله ذات لأغراض والاتجاهــات المختلفــة، فمــن ذلــك رسالــة أرسلها الإمام أبو العزائم إلي أحــد أبنائه في الطريق الصوفي، ويبين له فيها طريــق السلوك، وأدابــه فيقول فيها.

(.. والطريق الموصل إلى الله تعالي هو ما كان عليه رسول الله صلي الله عليه وسلم وأصحابه الأخيار. وطريقنا يا بني هو العمل بسنة رسول الله والحرص علي نشرها بين المسلمين. هــو قراءة جز من القرآن في كل يو من أوله إلي أن تتمه قراء متدبر في أسرره وروحــه، متمــثلاً أنك تسمعه ممن تحب، فإن سراج طريقنا، ،آن تقرأ سيرة رسول الله صلي الله عليــه وســلم، فتجاه نفسك أن تتخلق بأخلاقــه، وتتشبه بأحوال بقدر طاقتك، وقد كتبت اسمك في سجل طالبي

العلم بالله، وبأيام الله، وبأحكام الله وبحكمة أحكامـــه سبحانـــه. أسال الله أن يجعلك هدي تضيئ في هذا الطريق.

ويفتتح الإمام رضي الله عنه رسالة أخرى لأخ ل في الطريق بهــذه الافتتاحيــة المعبــرة عــن المعاني الصوفية والأذواق التي يشعرون بها، وتدل علي قرب بالله سبحانـــه وتعالي فيقــول (الحمــد للذي الذي جذب أهل المحبة إليه بعوامل إحسانـــه، وأشهدهم في أنفسهم وفي الآفـــاق آياتـــه وفي الآيات تجلياته، وفي التجليات أنوار مجل ذاتـــه وأقام أهل المحبة مقـــام أبـــدال الأفراد، فجعلهم بالخلق والحال، وأطلق ألسنتم بالحكمة، فهم الأنجم المشـــرق لبيـــان الســـبيل، سقاهـــم ربه شرابا طهوراً فغابوا عن كل حظ وهوى، وطابوا بشهود الوجـــه الجميل، فهم مع الله تعالي، والله تعالي معهـــم، وجمعهم علي حبـــه، وجمع به عليهم أحبابـــه، فأقبلوا بكليتهم علي قدس العزة والجبروت، فهم مع الناس بأبدانهم، وقلوبهم مشرفة علي حظائـــر العزة، لـــم يشغلهم ما شغل غيرهم، والصلاة والسلام علي شمس الهدى، ونور قلوب أهل الاصطفا، وآلــــه وورثتـــه).

ويكتب الإمام رض الله عنه رسالة إلي أخوانـــه في الطريق بالسودان، وقد نما إلي علمـــه أن خلافاً دب بينهم كما يفهم من سياق الرسالة فيقول لهم بعد مقدمة الحمد والثنـــاء والصـــلاة المعهودة (وبعــد فمن العبـــد المنكسر القلب اليائس من نفسه ومن الخلق المعترف أن نفســـه أعتدي عدوه محمد ماضي ابي العزائم لمن أنعم الله عليهم بالمحبة فيه والصحبة فيه " فـــلان، فلان... ألـــخ " حفظهم الله تعالي من نسيان حقوق الصحبـــة، وأداب الأخوة، وأدام لي ولهـــم الصحـــة الروحانيـــة.

تعلمون أننا لنا قصد واحـــد هو رسول الله صلي الله عليه وسلم، ولن معبود واحد وهو الله تعالي، وأن كل شئ سواهما وسيلة لنيل القرب من رسول الله صلي الله عليه وسلم، لنكون أشبه لناس بـــه، ولنيل رضوان الله الأكبر في جوار الأطهار من عباده.

ومن نسي مقصوده نسي معبوده، ومن نسي الحكمـــة في الوسيلة حرم المقصد وإني يا أولادي – كما تعلمون – كبرت سني – وضعفت قوتي، وصرت في انتظاري للحوق بالأحبـــة محمد صلي الله عليه وسلم وآلـــه وحزبـــه، مع شـــدة الشوق والحنين، إلي نيل هذا المقصد الأعظم، ولي حسن ظن في الله تعالي أن يجعل من أبنائي وأحبائي ورثـــة لأحوالي، ونواباً يقومون مقامـــي، وأفراداً يتجملون بحلل أبدال رسل الله صلوات الله علي نبيناً وعليهـــم.

وتلك المقامات العلية لا ينالها من أثبت لنفسه وجوداً، أو أثبت لها شهوداً، أو عادي أخاً لشهوة وحظ، أو أحب محبوباً في غير الله تعالـــي، أو نسي بدايته، أو جهل مكانته ــ أعاذبي الله، وإياكم – يا أبنائي – من السلب بعد العطاء، ومن الطمع في غير مطمع – ومن بيع الآخرة بالدنيا. وقد سمعت عنكم ما سمعت مما جعلني لأ أخلي واحداً منكم من المسئولية فيما حصل – حتى كدت أظن أني الذي أخطأت حكماً، ونظراً.. في إدخالكم قلبي، لولا حسن ظني في الله تعالي الذي عودني حفظ قلبي من أن يلجـــه إلا من أحببته فيه وله، فتداركوا الأمر يا أولادي بأن تتوبوا إلي الله جميعاً توبـــة نصوصاً ترضيـــه، وليلزم كل رجل منكم أدب الصحبة والحبة في الله تعالي، قياماً بحقوقها حتى يجملنا الله تعالي بأخلاقـــه، وبمعاني صفات حبيبـــه، ومصطفاه صلي الله عليـــه وسلم حفظني الله وإياكم، ومنحنا الإقبال والقبول، وسأكتب لكم رسالة بعـــد ورودي ما يرضى قلي من الصفاء الروحاني، والوفاء الإحساني، أبين فيما من أحبـــه من كل رجل منكـــم.

ورسائله رضي الله عنه إلي أخوانة في الطريق الكثيرة، يضيق المجال لحصرها، وهي تفيض كلها بالمعاني الصوفية، وأسس تربيتها.

وهذه رسالة أخري يوصي فيها أحـــد مريديه بالمحافظة علي آداب الطريق، فيقول فيها (ولدي: لست أولي بنفسك مني بها، وإن توهمت ذلك فاستغفر الله، فإنك تحب لها ما يضرك، وأنا أحب لها ما ينفعك الله بـــه، وشتان بين ما أحبـــه لك، وما تحبه لنفسك، وأن كان ما أحبه لك تحسن بألمـــه، فالواجب عليك أن تحفظ قلبك من الاعتراض علي الله فيما أظهر، ومن المعارضـــة له فيما قدر. وتحفظه كذلك – في جانب رسول الله صلي الله وسلم، ولا يكون هذه التسليم إلا بحفظ قلبك من الانتقاد علي المرشـــد، حتى تري عنايته بك ظاهراً، نقصاً في عنايته بك باطناً، وتري أن معاملته لك مهما المتك هي عين الخير لك، فترجع إلي نفسك كل شأن باللوم، وتجاهـــدها أكبر المجاهـــدة اعتقادا أن ذلك النقص هو من نفسك لا من المرشـــد.

وأعلم يا بني الانتقاء علي المرشد دليل علي التفات الله عن العبـد، فإن السالكين المخلصين أنزلوا المرشد من الإجلال والإعظام، وحفظ جانبه من نظر النقص فيه منزلة رسول الله لأنه وسيلة للمقصد الأعظم، والمطلب الأكمل، وانما تعظم الوسيلة لعظم المقصد).

وفي مجال الدعوة إلي الله، يبعث الإمام رضي الله عنه برسالة إلي شيخ الجامع الدسوقي يستعطفــه فيها بأن يمـد أحـد أولاد الإمام في الطريق بما يحتاج إليه من العلم والحكمة التي لا بد أن يتحصن بها الصوفي.. فيقول بعد الحمـد والثناء علي الله سبحانـــه وتعالي والصلاة علي رسولـــه صلي الله عليـــه وسلم.

(فمن خديــم فقراء آل العزائم محمد ماضي أبي العزائم لصاحب الفضيلة شيخ الجامع الدسوقي.

جـــدد الله به مناهـــج السنـــة، وبين به غوامض الحكمة، وفصل به مجمل العلوم، وبين به مبهماً.. أميـــن.

السلام عليكم ورحمـــة الله وبركاتـــه، كتابي، وأنا أحمـــد الله تعالي إليك علي سوابغ نعماه، وعميم جدواه، وأعلم ما للأستاذ – بلغه الله آماله من الهمة في خدمة العلم وأهله، وكان يسرني أن أفوز بزيارتكم عند تشريفكم لمصر. منحكم الله جواذب المحبة، والقبول من الله تعالي.

هذا، ورافعـــة ولدنا المحبوب (فلان) الذي منحه الله ميلا إلي كشف الآيات، وبحثاً في بدائع قدره الله تعالي، الأمر الذي إذا قوى ولا مرشـــد، ربما ذهب العقل، وتلك النفس التواقة إلي تلك الحقائق من النفوس التي يهبها الله تعالي لمن سبقت لهم الحسني، وقد حضر لي بمصر يحمل شبهاًلا يفكر فيها إلا أهل النفوس التواقـــة فضمتـــه إلي، وأنزلته مني منزلـــة الوالد للوالـــد، وصافيته بأني سمحت له بسماع دوس الحكمة في الخلوة حتى انبلج بالطمأنينة قلبه، وانشرح باليقين صدره، وآنست منه المسارعة إلي الخبر، وتبين لي أن تلك النفس نفس صيغت من أصفي الجواهر، قامرته بالتوجـــه إلي دسوقي، ليقوم بأعماله من السعي علي المعاش، ولينوب عني في خدمـــة طريقـــي.

ولما كان الاستاذ محل ثقتي لما جمله الله تعالي به من العلم والتقوى، أحببت أن يكون محل عنايتكم ليحصل ما لابد من العلم والحكمة، والله تعالي أسال أن يديم له التوفيق، وأن يمده من مشكاه النبوة، وأن يمنحكم يا فضيلة الأستاذ استمداداً من روحانية رسول الله صلي الله عليه وسلم).

وهذه رسالة أخري إلي شيخ الجامع الأزهـــر، يطلب منه مساعدة أحد طلاب العلم نصها (الحمـــد لله الذي لم يخل الأرض من قائم لحضرته العلية بالحجة إما ظاهراً مشهوراً، أو باطناً مستوراً، والصلاة والسلام علي من بعثـــة الله بالحق بشيراً ونذيراً، في جاهلية عمياء، صماء، ففتح به أقفال قلوب غلف، وأعينا عمياً، وآذاناً صماء، وآله وورثتـــه. وبعـــد.

فمن محمد ماضي أبي العزائم إلي حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ الأحمدي الظواهري أيدني الله، وأياه بروح منــــه.

تعلم أن الرحمة هي جمال الله الذي يجمل به أحبابـــه، والله غني عن أن يرحمه خلق، ولكنه يحب الراحمين، لأن الرحمـــة خلق من أخلاقـــه وهي التي يحب من خلقه أن يتجملوا بها.

وقد كتب رسالة أرجوكم فيها مساعـــدة (فلان) في جبر الثلاث نمر في علم الحديث في امتحان الشهادة العالمية في هذا العام، وقد رأيت في أهرام أمس أن المشيخـــة لآ تحبذ أعادة امتحان طلبه العالمية بملحق، وذلك مما يؤلم قلب الطالب الذي أمضي ردحاً من عمره في طلب العلم لينتفع بالعمل بعـــد فوزه بشهادة الشيوخ له، ومنزله الأزهر في قلوب المسلمين جميعاً فوق أن يعامل طلبته معاملة تلاميذ مدارس الحكومة الذين يحصلون العلم للدنياً.

ويسرني أن ترحموا هذا الطالب، وأمثاله، لتشجعوا الطلبة علي تحصيل العلم النافع، فإن الأزهـــر هو الينبوع الصافي الذي يرده المتمسكون بالديـــن.

وللعلوم الدنيويـــة، والصناعية، وغيرها موارد أخري سهل الورود عليها، والله في عون العبـــد ما دام العبد في عون أخيـــه، واقبلوا صالح دعائـــي).

ويرسل الإمام رضي الله عنه إلي أحـــد إخوانـــه في الطريق يعزيـــه في وفاة زوجتـــه فيقول (الحمد لله المعطي في منعـــه، الجميل في جلالـــه، الظاهر في بطونـــه، القريب من القريب، المجيب لمجيب، والصلاة والسلام علي نور القلوب المشرقة باليقين، وعلي الورثة الذين يستحيون من الله أن يصبروا ورضاهم عن الله رغبـــة الرضا من الله وبعـــد.

فمن الخديم المسكين محمـــد ماضي أبي العزائم لأخي وولدي الواجـــد، الصادق ذي الأحوال العلية، والمشاهدات اليقينية (فلان) منحـــه الله دوام الإقبال، نور القبول، وجـــدد له فراشة بما تقربه عينه آمين. السلام علي ولدي، ومن معه من أهل الوجـــد والصدق.

ولـــدي: أحسن الرضـــا عن الله ليحسن الله إليك بالرضا منـــه سبحانـــه، وكن مسروراً بالله ولا تسخط منحك الله مشاهـــدة التوحيـــد، وحلاوة اليقين، أميـــن).

نماذج لرسائـل أخري للإمام في أغراض ومناسبات مختلفـة.

كان الإمام رضي الله عنه يراسل علماء العالم الإسلامي، للتشاور معهم في شأن حادث الخلافة الإسلامية، جمعاً للكلمة، واتخاذ موقف موحـــد، فيرسل إلي علماء الهند: الأمير شوكت علي، والشيخ كفاية الله، يطلب تأييد فكرته الداعية إلي تشكيل مؤتمر إسلامي عام ليحصل به التعاون والتألف وينظر في شئون الأمـــة الإسلامية المترديـــة ــ وفي مقدمتها ما حدث للخلافـــة الإسلامية.

يقول رضي الله عنه في رسالة للأميـــر الهندي شوكت علي:

(تعلمون – أيديكم الله وإخواننا معكم – أن حادث إلغاء الخلافة، وخلع الخليفة يوجب علي المسلمين الآن اليقظة في تدارك الخطر المحدق المجتمع الإسلامي بسبب أطماع الدول الظالمة التي لا تخاف الله، ولا ترحم خلقـــه، فإن تلك الدول طمعاً في استعباد الشرق بالقوة القاهرة فرقت بين المجتمعات الإسلامية حتي أختلف المسلمون علي بعضهـــم وسل سيف المسلم علي المسلم بكيـــد دول أوربا، وها هي ظلمات الفتن تتكاثف علي المسلمين، وأمواج الحروب بينهم تتلاطم، وكيف لا وكل دولة تعين فريقاً من المسلمين بالسلاح والأموال علي فريق آخر منهم ولا عجب فإن الحجاز، والعراق، والشام، ومصر، والمغرب الأقصي،والهند، كانت جيوشهـــم تحت رايـــة الصليب تطعن الخلافة في صميم قلبها بالأمس.. علي أني أرجو أن نسرع بتشكيل المؤتمر الإسلامي العام، ليحصل التعاون المؤدي إلي التالف الذي به ينظر المسلمون في شئونهم الهامـــة التي من أهمها النظـــر في مسأله الخلافـــة.

فأرجوكـــم يا أخي أن تخابرونا بما يطمئن قلوبنا علي المجتمع الإسلامي، وأن تبينوا لنا أراءكم ووجهـــة نظركم في هذا الحادث الجلل، لنتعاون علي البر والتقوى، وقد شكلنا لجاناً كثيرة في بلاد مصر، وإن خالفنا بعض علماء الأزهـــر الموظفون في الحكومة، وقد اتحد معنا المخلصون من علماء تونس، وغيرهم من المجتمعات الإسلامية والله تعالي أسال أن يؤيدنا بروحانية رسول الله صلي الله عليه وسلم، وأن يدفع عنا شر أعدائنا، وأعدائه وأن يمكن لنا في الأرض بالحق كما مكن لسلفنا إنـــه مجيب الدعـــاء).

كما يرسل رضي الله عنه في الغرض نفسه إلي عالم آخر من علماء الهنـــد هو الشيخ كفاية الله يقول له فيها:

(.. وقد تلاطمت يا أخي أمواج الفتن المظلمـــة، وأصبح الإسلام غريباً بين أهله وهم نيام، والعماء هم الذين يوقظون الأمـــة... وقد كتبت لحبيبي الأمير شوكت علي اليوم، أطلب منـــه

مخابرتي عن المقاصـــد التي تقررت لديكـــم في حادث الخلافة تداركاً للأمر قبل فوات الفرصة، علي أني أستحسن تشكيل المؤتمـــر بسرعـــة، لتكون له الكلمة العليا، وليجدد للمسلمين تعارفاً وتألفاً.

تعلم يا أخي أننا في حاجة إلي حسن التفاهـــم، وإلي النظر إلي الأمـــة التركية بعين العطف استبقاء لها، لتكون لنا، والمسارعة إلي معاونـــة الأمراء الذين استبعدوا من بلادهـــم، بل والمتعين شرعاً في هذا الحكم وجوب المسارعـــة إلي إصلاح ذات بين المسلمين من غير أحداث ما يفرق المجتمع وأنت تعلم يا أخي أن سيدناً هارون ترك طائفـــة من القوم يعبدون العجل خوفاً من التفرقـــة، حتى رجع سيدناً موسي عليه السلام، ونحن يجب علينا الآن أن نسرع في تكوين المؤتمـــر، ونبقي تركيا لنا اتحاداً للكلمة، وجمعاً للأمـــة، والله يدفع عنا كيـــد الأعداء، ويعيدهـــم كما كانوا أذلاء، ويعيـــد لنا مجـــد سلفنا الصالح إنه مجيب الدعاء)

ويصل إلي علم الإمام رضي الله عنه أن جماعة من المبشرين يقومون بأعمال ضد الدين الإسلام من شأنها أن تثير المسلمين، وأن تحدث فتنه تمس الوحـــدة الوطنية، وتهدد أمن الوطن والمواطن وبعـــد أن يتأكـــد من ذلك يرسل رسالة إلي رئيس مجلس الوزراء (عبد الخالق باشا ثروت) وإلي وزير الداخلية، وهذا نص الرسالة).

(حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء وزير الداخلية تعلم دولتكـــم أن الأمـــة المصريـــة الآن في احتياج شديـــد إلي الاتحاد والسلام، وأن أول ما يوجب التفرقـــة ويخل بالأمن العام ويسبب هياج النفوس، ووجود البغضاء في قلوب بني الأمـــة الواحـــدة،وجود قوم يريدون التفريق بين أفراد الأمـــة بالطعن في الدين الإسلامي، الذي هو دين الحكومة الرسمي، ودين عامـــة الشعب المصري رغم ما في قلوب المسلمين من المودة لباقي بني وطنهم.

وقـــد وصلني اليوم خطاب من بلدة (البلينا) يفيد وجـــود مبشرين هناك يسبون النبي صلي الله عليه وسلم والدين الإسلامي والقرآن، وهذا ما لا يرضاه دولتكـــم بأي حال من الأحوال، خصوصا في مثل هذا الظرف العصيب.

وقـــد كنت أود ألا أعير هذا الخطاب التفاتاً، لولاً ما قرأته في السياســـة اليوم وأمس عن تلك الحركـــة اللعينـــة التي تقوم بها جمعية تدعي... ليس لها غرض إلا اللعب بالنار، وإيقاع البغضاء، والشقاق بين الجنس الواحـــد والوطن الواحـــد، لهذا أسرعت في مخاطبـــة دولتكـــم بهذا الأمـــر، وإني لعلي يقين من أن رد خطابي سيكون صدوراً لأوامـــر من دولتكـــم بالتحقيق

في هذا الموضوع وقتل هذه الروح الخبيثـــة قبل استفحال الأمر، أسال الله أن يعينك علي خدمـــة أمتك ووطنك ودينك والسلام).

وهذه الرسائـــل في أدبي توفـــر في النثر الصوفي عند الإمام أبي العزائم، ولقد اطلعت منه علي كم هائل، ينهض لأن يمثل فناً من فنون النثر الصوفي، ولقد تعددت أغراضـــه، وتنوعـــت أهدافـــه، ورقت معانيـــه، وعذبت روحـــة الصوفيـــة، التي جاءت بينـــة ظاهرة في بعض الرسائـــل خفيـــة صامتـــه في الأخـــــرى.

أما الأولي فغالباً ما كانت تميز رسائل الإمام إلي إخوانه في الطريق الصوفي، ومن يعلم تمكنهم فيه، واستعدادهـــم لفهـــم وإدراك ما يرمي إليه من وراء التعبير، وأما الثانية فكانت تميز رسائلـــه إلي إخواتـــه من الشخصيات العامـــة في المجتمع أو رجال الحكومة ممن يرتبط بهم بعلاقات، أو من يشاركهـــم الجهاد ضد الاستعمار، والعمل علي توحيـــد الأمـــة الإسلامية من زعماء الإصلاح والدعـــوة الإسلامية في العالم الإسلامـــي.

الفصـل الثانـي

التجربـة الصوفيـة [1]

الحديث عن التجربة الصوفية يقتضي بالضرورة الموازنـــة بين طبيعـــة التصوف والفن، فالفنان الأديب إنسان ملهم، والصوفي – أيضاً – إنسان ملهـــم – ولكن شتان بين الإلهام هنا، وهناك.

فالإلهام عند الأديب الفنان يعني: أنه يعبر عن فكره بطريقة طبيعيـــة سهلة، سلسة، ليس فيها تصنع، أو تكلف، ولكن الإلهام عند الصوفي أعمق من هذا، إنه يعني أن الصوفي يخضع تماما لما يجريه الحق علي لسانـــه من كشف، ذلك لأن القلب متي استنار ورد عليه من العلو والمعارف في اللحظـــة الواحـــدة، ما يكل عنه القلم، كما أن التجربة الصوفية تنظر إلي الكون نظرة أعمق وأشمل.. حيث تتخذ الكون مطيـــة للوصول تنظر إلي المكون. وفي ذلك يقول ابن عطاء الله، أنت مع الأكوان ما لم تشهـــد المكون، فإذا شهدتـــه كانت الأكوان معـــك.

كما أن التجربة الصوفية يميزها عن غيرها من التجارب في الأدب العام أنها تجربة يستولي الوجدان والعاطفة فيها علي النصيب الأكبر في تكوينها، ويقل فيها دور العق، بل قد ينعدم تماماً في حالة الفناء، عندماً يشعر الصوفي أنه فني عن نفسه، وعن بشريته، وتلاشي كيانـــه، فأصبح لا يحس، ولا يريد ولا يسكن، ولا يريد، ولا يعقل إلأ علي حسب ما يجريه الله عليه حسب مشيئتـــه وإرادتـــه فيـــه.

والصوفي في حالة الفناء هذه يفقد الوعي عن كل ما سوى الله، ويشعر بمذاقات خاصة، ويشاهـــد أسرار لا يستطيع التعبير عنها، إما لايثارة الكتمان علي من ليس من أهلها حفاظاً عليها – من ناحية وحرصاً عليه لعدم إدراكـــه إياها، وخوفـــا عليه من إنكارها – من ناحية ثانية – وإما لأنـــه يجـــد اللغة قاصرة عن الدلالـــة علي هذه المشاهـــدات دلالـــة عميقـــة.

ومن هنا يظهر جانب أخر للتجربة الصوفية، وهو جانب الشطح والرمز حيث يختلط الأمر علي من لم يحسن تشخصيص هذه التجربـــة.

الفصـل الثالث

الفكـرة وسماتهـا الفنيــة[1]

دارت أبحاث مطولـــة في الدارسات الأدبية، والنقدية – قديماً وحديثاً – حول قضية (اللفظ والمعني) أو (الصورة والمضمون) أو (الشكل والمحتوي): أيهما أولي باهتمام الأديب ؟ وأيهما أدل علي صدقـــه، ومقدرتـــه الفنيــــة ؟.

فمن النقاد من ينتصر للفظ، ويعلي من شأنه، ويرفع من قيمته في العمل الأدبي، ومنهم من لم يهمل شأن المعني، وأنما أحله المنزلة المناسبة له في العمل الأدبي، علي أساس أن اللفظ ليس هو وحـــدة الذي يعطي الرونق والفن والجمال للعمل الأدبي، وإنما لا بد له من معني شريف جيـــد، يقع موقع القبول الحسن من النفس. والحقيقة التي استخلصتها الدراسات الأدبية المضوعية هي أن كلا من (اللفظ) و(المعني) له دوره، ومهمتـــه في جمال النص الأدبي وخلـــوده.

وكل ما ينبغي الالتفات إليه هو ما حذرت منه هذه الدراسات من طغيان الاهتمام بالألفاظ علي حساب المعانـــي.

موقف نثرناً الصوفي الحديث منها:

لوحظ أنه من بين الصوفية المحدثين من أثر اللفظ علي المعني، ولكن الإمام أبا العزائم نزع منزعاً مغايراً حيث أثر المعني علي اللفظ .. ويحسن أن نضرب مثالاً من نثره، يعبر فيه عن النباتات، وأثر التأمل فيها في النفس.

يقول الإمـام أبو العزائـم في كتابـه (النــور المبيـن)

{ أنظر – يا أخي – إلي أنواع النباتات المختلفة الألوان والأشكال،وإلي أنواع فواكهها المختلفة الطعون والروائح والألوان والأزهار، وتأمل في أنها غرست في أرض واحـــدة، وسقيت بماء واحـــد، وفكر في قدرة القادر الحكيم، وعجيب صنعـــة الصانع البديع، وتدبر قوله تعالي (وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقي بماء واحـــد ونفضل بعضها علي بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون.

فسبحان من أنبت من أرض واحـــدة نباتاً يسقي بماء واحـــد، ويمر به هواء واحـــد مختلف اختلافا بينا، كالاختلاف بين العسل والخل والملح والصبر، وغير ذلك من التفاوت، ويخرج

---

(1) راجع ص ٣٨٣ من الرسالة.

سبحانـــة من نواه نخله مطوقـــة بعناقيـــد الرطب، ومن حبة بر واحـــدة سبع سنابل في كل سنبلـــة مائـــة حبـــة.

هذا ولو تأملت إلي أرض البوادي، وتشابـــه أجزائها، وفكرت في حالتها إذا أنزل الله عليها الأمطار، فإنك تراها قد أهترت، وربت، وأنبتت من كل زوج بهيج، تنبت أنواعاً متشابهـــة، وغير متشابهـــة أختلفت طبائعها، وكثبت منافعها، فما من ورقـــة تنبت من الأرض إلا وفيها منفعـــة أو منافع لا تحصي، يقف فهـــم البشر دون إدراكهـــا.

خلق الله النباتات وسطاً بين أنواع المعادن، وأنواع الحيوان، فجعلها – سبحانـــة – أكمل من المعادن، ودون الحيوان، فهي تزيـــد عن المعادن بالغداء، والنمو وتنقص عن الحيوان بالجســد والحركة واللطيف الخبير لم يهب لها موهبة الحس رحمـــة بها، ورأفـــة عليها، لأن الله رءوف لطيف رحيـــم، وذلك لأن النباتات تصادمها الأجسام الصلبة، ويقطع منها الإنسان الفروع، والأغصان في كل حين، وقد يقطع الشجرة قطعاً قطعاً، فلو وهب الله لها الحس لكان ذلك تعذيباً لها فسبحان اللطيف الرءوف بخلقه.. غمر كل نوع من مخلوقاتـــه برحمتـــه، فكما وسع الملائكـــة والأنس والجن برحمته، وسع الحيوان، والنباتات والمعادن بها، قالي تعالي (ورحمتي ووسعت كل شئ).

أنظر إلي الإمام أبي العزائم في هذا النص وهو يتحدث عن النباتات وأثرها في نفسه، وما اختصها الله به من حكمته، ورحمتـــه، تجـد أن الإمام أبا العزائم اثر المعني، وأحاطـــة بأهتمامـــه.. إضافة إلي عمق الفكرة الصوفية، ودقتها، وغرابتها.. ومن هنا كانت الفكرة فيه فكرة إسلامية قائمة علي الكتاب والسنـــة، متأثرة بهما، مقتبســـة منهما.

ولذلك فإننا إذا اردنا أن ننشء أدباً إسلامياً جديداً، فإنـــه يتعين علينا أن نبدأ من حيث بدأ الصوفيون أدبهـــم.

فإذا ما عدناً اليوم بباعث من شخصيتنا، ومقوماتنا إلي دراسة الأدب الصوفي، فإننا نعود لنفهم الشخصية الإسلامية تفهما كاملاً، ولوضع نماذج جديدة الفكر الإسلامي يمثلها أدب الصوفيين: شعره ونثره.

الفصل الرابع

التصوير الأدبي[1]

١ - الألفاظ عند الصوفية:

لقد أدخل الصوفية علي اللغة استعملات جديدة للألفاظ، وأصبح لهم معجمهم اللغوي الخاص بهم الذي يعبر عن المعاني الجديدة التي حملوها للألفاظ التي لم توضع لها في الأصل، إلي جانب خصائص أخري في التعبير قصدوا من ورائها إيجاد وسائل معينة للفظ لكي يؤدي دوره في التعبير عما يريدونه له، وذلك مثل الإيحاء، والإيقاع الموسيقي، والخيال بمستوياته وطرقه المتعددة، للتعبير عما في النفس بصورة دقيقة.

وتكمن مشكلة التعبير الصوفي في أن صاحب التجربة يعيش فيها وهو يتذوق مشاهدات خاصة به ويحس بأسرار لا يمكنه التعبير عنها بظاهر اللفظ، فماذا يفعل؟.

أنه قد يؤثر الصمت والكتمان أحياناً، وقد يضطر إلي التعبير، والبوح، وفي هذه الحالة لا تسعفه اللغة بألفاظها لكي يعبر عن رقائق مشاعره – ودقائق مكنونات نفسه، وخفي أذواقه.. فكيف السبيل – إذن – إلي التعبير ؟

ليس أمام الصوفي إلا أن ينشيء لغة جديدة تعبر عن تجربته الذوقية، فكان للصوفية ألفاظهم الخاصة المعبرة عن معانيهم.

أمثله من الألفاظ الصوفية

الشراب – الشرب – الكأس – السكر – الصحو – المحبة – الجلال – الظاهر – الباطن – القطب – الشيخ – المريد – الشوق – العشق – الولة – روح القدس – المربي – العارف – الذكر – الشكر – الرضا – سلطان الذاكرين – سلطان العاشقين – سلطان العارفين – الوصل – القرب – البعد –الحجاب – الشهود – الكشف – الطريق – السلوك – السالك – الذوق – العارف – علم اليقين – عين اليقين – حق اليقين – الري – الأسرار – القلوب – الحقيقة – الشريعة – الطريقة – الورد – الحضرة – الكرامات – المنن – أسم الله الأعظم – العلم الكسبي – العلم اللدني – الأوتاد – الأبدال – الجمع – الفرق – الفناء – البقاء – التواجد – الوجد – الوجود – السحق – المحو.. الخ.

---

(١) راجع ص ٣٩٩ من الرسالة.

المستنطبات والسماع وتأثيره علي الألفاظ عندهم:-

لقد خرج الصوفية بألفاظ القران والحديث الشريف، وألفاظ التراث الإسلام إلي عالم مترامي الأطراف، فسيح الجوانب، وأصب لهم فهم خاص فيها وإدراكات لا يقف العق وراءها، وإنما يقف الذوق والروح وراء هذا الفهم الخاص للصوفية في ألفاظ اللغة، حتى أصبح (الذوق) عندهم في تناول الألفاظ العربية، واستعمالاتها مرادفاً (للعقل) عند علماء اللغة.

ولهم في ذلك مستنبطات بما يتفق مع الكتاب والسنة، ظاهراً وباطناً، والعمل بها بظواهرهم وبواطنهم، وهذه المستبطات قد يكون أخوذة من صريح الفظ ذاته، أو مما يوحي به، وذلك مثل ما يقوله الإمام أبو العزائم في قوله تعالي (وأقاموا الصلاة) حيث يقول رضي الله عنه في أسرار القرآن.

(لفظة الإقامة مأخوذة من أقام، وقام بمعني كمل وراج، يقال: السوق قائمة أي رائجة كثيرة النفع، وكذلك إقامة الصلاة وهي أن تصلي بكل قوة فيك، فعليك صلاة العقل، وصلاة النفس، وصلاة الروح وصلاة الحس والجسم.

(٢) الرمز الصوفي

أسباب اللجوء إلي الرمز عند الصوفية:

يبين القشيري في رسالته تلك الأسباب فيقول: (وهذه الطائفة – الصوفية – يستعلمون ألفاظا فيما بينهم قصدوا بها الكشف عن معانيهم لأنقسم، والإجماع، والسير علي من باينهم في طريقتهم، لتكون معاني ألفاظهم مستبهمة علي الأجانب، غيره منهم علي أسرارهم أن شيع في غير أهلها، إذا ليست حقائهم مجموعة بنوع تكلف، أو مجلوبة بضرب تصرف، بل هي معان أودعها الله تعالي قلوب قوم، واستخلص لحقائقها أسرار قوم).

كذلك يبين الإمام أبو العزائم ذلك ايضا فيقول في كتابه (أصول الوصول لمعية الرسول): (لما كانت مقامات اليقين عن مشاهدات وعلومها عن مواجيد حقه، كانت أحكامها، ومسائلها تحتاج إلي تسليم كامل، لأن أحكام العقل المكتسب، وعلوم أهل النظر التي اكتسبت من المقدمات اليقيينة، أو الظنية، أو الحدسية قاصرة علي كشف خواص الكونيات، وليس للعقل، ولا لقوة النظر أن تدرك المشاهد القدسية، أو تسلم بتلك المقامات العلية)

ويقول – أيضاً في كتابه (شراب الأرواح من فضل الفتاح)

(الأكمل أن يخفى أهل الأحوال والمواجيد أسرارهم ومشاهدتهم العلية، عن المبعدين عن الله، الجاهلين بقدرته، ومشيئته الذين لم يكاشفوا بغريب تصريف أسرار المحبة، خشية علي

المبعدين من الجحود بقدرة الله فيقعون في الكفر، وغيره علي أسرار الله وأسرار رسله، وأوليائــه، فكانت المداراة من أجمل من يتجمل به السالك، والواصل، والمرشد الكامل، ولو غلبــة وجــده، وحالة، وقهر مشهــده ووقته، فإن الصبر في تلك المواطن من الجهاد الأكبر

ويقول الإمام أبو العزائم أيضاً: (إن العبارة لا تفي ببيان المضنون من كلام العارفين. إنما هو أنوار وإشارات، والنفس تذوق من المعان بقدر ما وهبها الله).

ويقول رضي الله عنه (العبارة لا تكشف الحقيقة، ولو أنها تكشفها ما بقي علي وجه الأرض كافر).

نص من النثر الصوفي الرمزي للإمام أبي العزائم

يعبر الإمام أبو العزائم بأسلوب الإشارات والرموز عن بعض المعاني الصوفية، يطلق عليها " رشفــه من غيب المضنون، ومسحــه من خفى المضنون) أرسلها إلي بعض أولاده، وأخوانــه في الطريق الصوفي يقول فيها:

(الحمــد لله الذي أشهــد أهل الشوق إليه أنوار جماله العلي، وجذبهم إليه بما تجلي لهم من بهائــه الجلي، ستر عنهم الآثار بالآيات، والآيات بالتجليات، والتجليات بمجلي كمال نزاهــة الذات، فاقبلوا عليه وأنابوا به إليه، حتي غابت معالمهم بمعاني صفات غيبه، جعلتهم كلهم أعيناً مشاهــدة سر أسم الظاهر، وآذانا منه صياغية إلي قوله تعالي (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنــون).

ثم واجههم بشوقــه إليهم، فظهر لهم سر الشوق منه إليه أنه به، وحقيقة الشوق منه لهم أنه به – سبحانــه – ففروا متبرئين من هذا الشهود في أفق الوجود إلي ترك الشوق منهم بالشوق بــه، فتعينت حقيقتهم وتثبت محجتهم، وانفصلوا بالاتصال بعد الوصال بسر تجلي اسم الباطن، انفصالاً وصلوا به، وفصلاً اتصلوا به، فكان جمعهم في الوصال لمحو الوجود المشهود، والشهود الموجود في نزل تجلي أنوار الظاهر، وكان انفصالهم في حيطة الفرق بإشراق أنوار الاسم الباطــن.

تناولوا طهور الحيرة مع التمكين في الجلوة حتي صاروا هم الشراب ولا حجاب، والعيان ولا بيان، والطهور ولا مزاح، أنفاسهــم قدسية تقرب البعيــد إلي المشاهــد الملكوتية، وأحوالهم عليه.. تزج بالسالك إلي حظائــر المعيــة، وإشاراتهــم روحانيــه، تسلب النهي، وتشهد البها، وتدفع الهمم إلي الوفا، وتجذب الواصل إلي مقامات الصفا).

نص نثري حديث للإمام أبي العزائـم

للتحليل والدراســة

في كتابــة: (دستور السالكين طريق رب العالمين) يقول الإمام أبو العزائــم:

(علم الحقيقة أن تري الله هو المتصرف في خلقه، يهدي، ويضل، ويعز، ويذل، ويوف، ويخذل، ويولي، ويعز كما أن الخبر، والشر، والنفع، والضر، والإيمان، والكفر، والتصدي، والنكر، والفوز، والخسران،، والزيادة، والنقصان، والطاعة والعصيان، والجهل والعرفان، كله بقضاء الله، وقدره، وحكمة، ومشيئته، لفظه لسان، ولا خطرة وجدان، ولا ذرة في عالم الأكوان، فلا راد لحكمــه، ولا معقب لقضائــه وقدره، ولا مهرب من معصيته إلا بتوفيقه ورحمتــه، ولا قدرة علي طاعتــه إلا بإرادتــه ومعونتــه، ولا شغل لعبــد بجنابــه العلي إلا بسابق محبتــه.

فإذا عرفنا أن هذه الأحوال كلها، بل وكان أحوال غيرها، إنما صدرت بقضاء وقدر، نكون قد علمناً الحقيقة علم يقين....)

والإمام أبو العزائم يبين في هذه النص مقصــد الصوفية من الحقيقة ليعملها المريدون والسالكون للطريق الصوفي، وعلي ذلك، فأسلوبــه هنا من النثر التعليمي، لأنه يقصد أن يعلمهم مفهــوم (الحقيقــة).

والحقيقــة – كما شرحها رضي الله عنــه – تعني التسليم المطلق لله تعالي، في كل شئ، والثقة فيه في كل الأحوال والأمور، والتفويض الكامل له في كل الأمور، فهو القاضي فيها، والمصرف لها، والمقدر لكل حركات الكون وسكناتــه.

والصوف بهذا يعتبر وجوده عدماً أمام وجود الله سبحانــه، فلا إرادة له مع إرادة الله، ولا موجود في الحقيقة إلا بالله.

والصوفي يصل في تسليم أموره بالله إلي حــد أنه يستعبذ الله من كلمة (أنا)، لو صدرت عنه عفواً دون قصد منــه، لأن الأنيــه الحقة لا تكون إلا لله وحــده، يقول الإمام أبو العزائــم:

(الوصول لا يكون إلا بإضاف الأعمال، والآثار والمظاهر كلها إلي الواحــد المنزه عن الشريك، والمعين، حتي يفني عن المشاهدات والمشهودات، ويبتعــد عن إضافة الأعمال، والتوفيقات إلي نفسه أو إلي غير الواحــد الأحــد.

والإمام أبو العزائم هنا متأثر في روحــه وفكرته العاملة بقولــه تعالي:

(قل اللهــم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك علي كل شي قديــر).

وعلي الرغــم من أن النص تعليمي، إلا أنه يتميز عن نظيره الذي يعبر فيه عن افكار علمية، ويرجع ذلك إلي طبيعــة الموضوع ذاتــه.. ومن ثم فإننا نلمس في هذا الموضوع عن الحقيقية لمســه من الفن والجمال والتعبيــر.

وموضوع الإمام ابي العزائم هنا يختلف عن الموضوع العلمي البحث، إذا يصعب في الموضوع العلمي أن يأتي الكاتب فيه بأطراف من البلاغ وبراعــة التصويــر، وأوجــه الجمال، ولكن الموضوع الصوفي هنا أتــاح لكاتبــه أن يور بعض من ألوان البلاغة المقبولة الحسنــة مثل الطباق الذي زاد الكلام جمالا، والمعني إيضاحا وعمقا في (يهــدي ويضل) (يعز ويذل) (يوفق ويخذل)، الخير والشر) والطباق هنا كثير حتى صار ركناً أصيلاً في صياغــة الأسلوب وتنسيقــه.

ومثل الإيقــاع الموسيقي الذي تمثل في الجمل في القصير ذات المقاطع المتحــدة، وخاصة السجع الذي زاد الأسلوب رونقاً وبهاء، وإيقاعاً مطرباً تقبله الأذن، وتستريح إليه، وتتجاوب معه، لأنه جاء عفو الخاطر، غير متكلف في (لا يخرج عن مشيئــه لفظــه بيان، ولا خطرة وجدان، ولا ذرة في عالم الأكوان).

هذا إلي جانب اختيار الكلمات أختيار الكلمات الموحيــة في مكانها من الصياغــة اللفظي مثل كلمــة (يري) التي توحــي في مكانها بتمكن العلم برؤيــة الآثــار في النفس كأنه محدد بحدود ورسوم عينية، لأنــه نتج عن رؤيــة بصريــة لا تلبث أن تتحول عند الصوفي إلي رؤيــة بالبصيرة، حيث تتماذج الحواس في تعاون وثيق لإدراك الحقيقة الجميلة الجليلة الكبري

وفرق بين أن يعلم الإنسان هذه الأفعال الإلهية، وآثارها عن طريق عقيدتــه وإيمان وبين أن يعملها بين اليقيــن.

بين أن يعلم ظاهــر الأثر، وصورتــ وشكلــه.. وبين أن يعلم حقيقتــه وجوهــره، ومن أوجــده، ولماذا أوجــده ؟ وحينئذ يخامــر المعلوم العقــل، ويلامس اللب والوجــدان.

يتحول الأثر المدرك بالبصر والبصيرة إلي أثر معين بالرسوم والحدود، تشاهــد العين، وتصفــو له النفس، وتعشقــه الروح، فتتحقق درجــة أرقي وأصدق في يقيــن العبــد.

الفصـل الخامـس

الموازنـة بين النثـر

الصوفـي القديـم والحديـث

دواعـي الموازنـــة

لم يكن فكر قدماء الصوفية، ومعانيهـم، كما لم تك روحهـم بعيـدة عنا، وانما كانت تطل علينا من واسع الأبواب، وأقرب النوافـذ.

لذلك كان من باب التأصل لنثرنا الصوفي الحدي أن نتجـة إلي عقد هذه الموازنــة بينــه، وبين النثر الصوفي القديـم، فضلا عما يتيحــه فن الموازنة من تحقيق المزيد مــن الدارســة، وتعميق الفهـم، وجلاء الجوانب.

ولقد أخترت لهذه الموازنـــة موضوع وصف الدنيا في النثريــن، وأقمنتهــا بــين الإمــام الغزالي ممثلا للنثر القديـم، وبين أعلام هذه الدارسة ممثلين للنثر الصوفي الحديث.

نص الإمـام الغزالي في وصف الدنيا

(الحمد لله الذي عرف أولياءه غوائل الدنيا، وكشف لهم عن عيوب وعوراتها حتى نظــرو في شواهداها وآيات، ووزنو بحسناتها سيئاتها فعلموا أنه يزيــد منكرها علــى معروفهــا، ولا يفي مرجوها بمخوفها، ولا يسم طلوعها من كسوفها.

ولكنها في صورة مليحــة تستميل الناس بجمالها، ولها أسرار سوء قبائــح تهلك الراغبين في وصلهــا.

ثم هي فرارة عن طلابها، شحيحــة بإقبالها، إذا أقبلت لم يوء مــن شــرها وربالهــا، وإن أحسنت ساعة أساءت سنــة، وإن إساءت مرة جعلتها سنـــة، فدوائــر إقبالها علــي التقــارب دائرة، وتجارة بنيها خاسرة بائرة، وآفاتها علي التوالي لصدور طلابهــا راشقـــة، ومجــاري أحوالها بذل طالبيها ناطقة فكل مقرور بها إلي الذل مصيره، وكل متكبر بهــا إلــي التحســـر مسيرة.

شأنه اله من طالبها، والطلب لها ربها ومن خدمها فاتتــه، ومن أعرض عنها واتتتــه، لا يخلو صفوها عن شوائب الكورات، ولا ينفك سرورها عن المنغصات، وسلامتها تعطب السـم، وشبابها يسوق إلي الهرم، ونعيمها لا يثمر إلا الحسرة والندم.

وهي خداعــة مكارة، طيارة فرارة، لا تزال تنزين لطلابها حتى إذا صاروا مــن أحبائهـــا، كشرت له عن أنيابها، وكشفت لهم عن مكنون عجائبها، وإذاقتهم قواتل ســمامها، ورشــقتهم بصوائب سهامهـــا.

بينما أصحابها منها في سرور وإنعام، إذ ولت عنهم كأنها أضغاث أحلام.

ثم عكرت عليه بدواهيها، فطحنتهم طحن الحصيــد، ووراتهــم في أكفانهم تحت الصعيــد، وإن ملكت منهم جميع ما طلع عليه الشمس، جعلته حصيداً كأن لــم يغــن بـــالأمس، تمنـــي أصحابها سروراً، وتعدهم غروراً، حتى يأملون كثيراً، ويبنون قصوراً، فتصح قصورهم قبـــوراً، وجمعهم بوراً، وسعيهم هباء منثوراً، ودعاؤهــم ثبوراً، هذه صـــفتها، وكـــان أمـــر الله قـــدراً مقدوراً.

الدنيا عدوة الله، وعدو لأولياء الله، وعدوة لأعداد الله أما عــدواتها لله فإنهـــا، قطعــت الطريق علي عباد الله، ولذلك لم ينظر الله إليها منذ خلقها.

وأما عدواتها لأولياء الله عز وجل فإنها تزينت لم بزينتها، وعمتهم بزهوتها ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها، وأما عــداوتها لأعــداد الله فإنهـــا اســـتدرجتهم بمكرهـــا وكيـــدها، فاقتتصتهم بشبكتها حتى وثقوا بها. وعولوا عليها فخذلته أحو مـــا كـــانوا ليهـــا ن فاجتبوا منها حسرة تتقطع دونها الأكباد ثم حرمتهم السعادة أبـــد الآباد، فهــــم علـــي فراقهـــا يتحسرون، ومن مكايـــدها يستغيثون، ولا يغاثون، بل يقال لهــم (أخسئوا فيها ولا تكلمـــون، أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون)

أعلم أن الدنيا مزينة الظواهـــر، قبيحـــة السرائر، وهي شبه عجوز متزينـــة تخدع النـــاس بظاهرها، فإذا وقفوا علي باطنها، وكشفوا القناع عن وجهها تمثل لهم قبائحها فنـــدموا علـــي اتباعها من ضعف عقولهم في الاغترار بظاهـــرها.

أعلم أن شهوات الدنيا في القلب لذيذة كشهوات الأطعمة في المعدة، وســـيجد العبـــد عنـــد الموت لشهوات الدنيا في قلبه من الكراهية والنتن والقبح ما يجده للأطعمـــة اللذيذة إذا بلغـــت في المعـــدة غايتها، وكما أن الطعام كلما كان ألذ طعماً، وأكثر دسما، واظهر حلاوة، كان رجعه أقذر، وأش نتنا، فكذلك كل شهوة في القلب هي أشهي وألذ وأقوى، فنتنها وكراهيتها والتـــأذي بها عد الموت أشـــد. بل هي في الدنيـــا مشاهـــدة، فإن من نهبت داره، وأخذ مالـــه وولـــــده فتكون مصيبته وألمـــه وتفجعـــه في كل ما فقد بقدر لذته بـــه، وحبـــه له، وحرصــــه عليـــه فكل ما كان عند الوجود أشهي عنده عند الفقد أدهي وأمـــر.

وأعلم أن أهل الدنيا مثلهم في غفلتهم مثل قوم ركبوا سفينة فانتهـت بهـم إلـي جزيـرة، فأمرهم الملاح بالخروج إلي قضاء الحاجـة، وحـذره المقـام، وخـوفهم مـرور السـفينة واستعجالها، فتفرقوا في نواحي الجزيرة فقضي بعضهم حاجة وبادر إلـي السـفينة، فصـادف المكان خالياً، فأخذ أوسع الأمكان، وألينها، وأوفقها لمراده.

وبعضهم توقف في الجزيرة ينظر إلي أنوارها، وأزهارها العجيبة وغياضها المتلفة، ونفحات طيورها الطيبـة، وألحانها الموزونـة القريبة، وصار يلحظ من بريتها أحجارها، وجواهرهـا، ومعادنها المختلفة الألوان، والأشكال الحسنة المنظر، العجيبة النقوش، السالبة، أعين النظيـري بحسن زبرجدها، وعجائب صورها، ثم تبنه لخطر فوات السفية فرجع إليها، فلـم يصـادف إلا مكاناً ضيف حرجـا فاسقـر فيـه.

وبعضهـم علي تلك الأصداف والأحجار، وأعجبـه حسنها، ولم تسـمح نفسـه بإهمالهـا فاستصحب منها جملة، فلم يجـد فيهاالأماكن في السفينة إلا مكاناً ضيقاً، وزاده ما حملة مـن الحجارة ضيقاً، وصار ثقيلاً عليه ووبالاً، فندم علي أخذه ولم يقد علي رميـه ولم يجـد مكانـاً لوضعه، فحملـه في السفينـة علي عنقـ وهو متأسف علي أخذه، وليس ينفعه الأسف.

وبعضهـم تولـج الغياض، ونسى المركب، وبعـد في متفرجـة، ومتنزهـه منـه حتى لم يبلغـه ندا الملاح لاشتغالـه بأكل تلك الثمار، واستشمارم تلك الأنـوار، والتفـرج بـين تـل الأشجار، وهو مع ذلك خائف علي نفسه من السباع، وغير خال من السقطات والنكبـات، ولا منفك عن شوك ينشب بثيابـه، وغصن يجر بدنـه، وشوكـه تدخل في رجلـه، وصوت هائـل يفر منـه، وعوس يخرق ثيابِـه ويهتك عورتـه، ويمنعه عن الأنصراف أو أراده، فلما بلغـه نداء أهل السفينـة أنصرف مثقلا بما معه، ولم يجـد في المركب موضعاً، فبقى في الشط حتى مات جوعـاً.

وبعضهـم لم يبلغـه النداء، وسارت السفينـة، فمنهم من افترستـه السباع ومـنهم مـن تاه، فهـام علي وجهـة حتي هلك، ومنهم من مات في الأوحال، ومنه من نـهشتـه الحيـات فتقرقوا كالجيف المنتنـة.

وأما من وصل إلي المركب بثقل ما أخذخ من الأزهار والأحجار، فقد استرقتـ وشغله الحز بحفظها، والخوف من فوته وقد ضيق عليه مكانه، فلم يلب أن ذبلت تلك الأزهار وكمـدت تلـك الألوان والأحجار، فظهر نتن رائحتها فصار مع كونها مضيقة عليه مؤذي له بنت ووحشتها.

فلم يجد يلة إلا أن ألقاها في البحر هربا منها، وقد أثر فيه ما أكل منها

فلم ينتـــه إلي الوطن إلا بعـــد أن ظهرت عليه الأسقام بتلك الروائح، فبلغ ســـقيماً مـــدبراً، ومن رجع قريباً ما فات إلا سع المحل فتأذي بضيق المكان مدة، ولكن لما وصل إلـــي الـــوطن استراح، ومن رجع أولاً وجـــد المكان الأوسع ووصل إلي الوطن سالماً.

فهذا مثال أهل الدنيا في اشتغالهـــم بحظوظه العاجلة، ونســـيانهم موردهـــم، ومصـــدره، وغفلته عن عاقبة أمورهـــم، وما اقبح من يزعـــم أنه بصير عاقل أن تعزه أحجاز الأرض وهي الذهب والفضـــة وهشيـــم النبت.

وهي زينـــة الدنيا، وشئ نم ذلك لا يصحبه عند الموت، بل يصير كل وبالا عليه، وهو فـــي الحال شاغل له بالخزن والخوف عليه، وهذه حال الخل كلهـــم إلا مـــن عصمـــــة الله عـــــز وجـــل.

نص الإمام أبو العزائـم في وصف الدنيـا.

(جهل الناس الدنيا، فمنهم من ذمها من حي تمدح، ومنهم من مدحها من حيث تذم، فتري أهل الغواية يمدحونها، ويرغب فيها، ويتنافس فيه منازعـــ علي البقاء ولا بقاء فيها فتـــراهم يقول: فلا يملك كذا من الأطيان وكذا من الأموال والخيل والعقـــار.

وقد حقر الله الدنيا المذمومة بقصـــد الشهوات من النساء، والبنين والقناطر المقنطرة مـــن الذهب والفضة، والخيل المسومـــة، والأنعام والحرث، ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حســـن المآب، ثم شنع سبحانه و تعالي علي من افردها بالقصـــد: فقال: (ذلك متاع الحياة الدنيـــا)

فمن مدحها من حيث التكاثـــر، والتفاخـــر بالجاه والمنصف والأموال، فهو غو أو ضـــال، وهو بين بلايا تتجاذبـــه، أو مرض يؤلـــه أو كارثـــة تحتاج مالـــه، أو عداوة من لا قدرة لـــه عليه، وكل ذلك يؤذن بمفارقة الدنيـــا، أو بزوالها، فأمثال هؤلاء يمدحونه من حي تذم.

أمـــا من يذمها من حيث تمـــدح..فهـــم الجاهلون بحكمـــه إيجادهـــم وإمدادهـــم فيها من أهل البطالة، والكسل الذين يكرهون العمل، فيتركونـــه في الدنيا، وفي الدين، فلاهم يشـــتغلون بتحصيل العلم، ولا بتحصيل المال، فإذا احتاجوا إلي المال بذلوا ماء وجوهـــم، أو دينهـــم، ثـــم جلسوا يذمون العمال من الصناع، والتجار، والزراع، والعاكفين علي طلب العلم، وهذا لجهلهـــم بحقيقة الدنيا وهي من وجهـــة العلم للنفع العمل من البر والصدقـــة، والإحسان علي الفقـــراء، والمعوذين، والحج، وإكرام الضيف، ومساعـــد الغريب وممدوحـــة

وهناك مشهـد أعل من هذا رسمي، وهو أن يشهـد الإنسان بعملـه فـي الـدنيا آي الله المجلوه، فإذا كان مزراعاً يشهـد آيات الله تعـالي بإحيـاء الأرض بالنباتـات، وسـر أنـزال الأمطار، وجري الأنهار، وتصريف الرياح، وتسخير السحاب، وتأثير الشمس علي النباتـات

وإن كان صانعاً يلحظ قدرة الله، وما أبدعـ في العقل من الاقتـدار علـي تنـوي المـادة، وتحويلها إلي آلات نافعـة، وأدوات معينـه بمعونتـه سبحانـه وتعالي. وينظر إلي جوارحـه المجترحـة كيف خلقها الله صالحة لكل الأعمال، ثم ينتظر إلي المادة وأنواعها من معدن كثيـر الأنواع صالح للصناعات، ومن غابات تكثر فيها أنواع الأخشاب، ومن مناجـم خزن لنـا فيهـا الزيوت النافعـة والفحـوم المعينـة علي الصناعـات.

وأن كان تاجرا لحظ بقلبه حكمـة التبادل، وسر المعالة، وقدرة الله في تسيير المواصـلات، فخشعت القلوب لعلام الغيوب، وحضر العبـد ربـه مع ربـه.

وإن كان عالما ساحت نفسـه الظاهر في ملكوت السموات والأرض، ورجع للعـالم أجمـع بقوت القلوب، وغذاء الأرواح، وبيان آيـات الله وعظمتـه.

كل فضل في الدنيا ورحمـة لا بد وأن يكونا مشوب بعناء، وبلاء، وشـدة، ومجاهـدة للنفس، أما النعيـم والبهجـة اللذة في الدار الأخـرة.بمعناها الحقيقي لا يمكـن أن يتصـوره العقل، ولا أن يتخيل الخيال بنسبة نعيم الدنياً وبهجتها العقليـن، ولذتها وسعادتها الحسـتين، وبين تلك المعاني بون شاسع، وبعـد عظـيم لا يمكـن أن يـدرك حقيقيـة ألا بالمشاهـدة والحسـن.

ومن أين للعقل أن يتعقل الغيب عنه إلا بنسب ما، أو للحس أن يدر حقيقته إلا بقدر ما فالدار الآخرة ملاذها العقلية فوق كل ما يدركـه العقل من الملاذ في تلك الدار الـدنيا، ملاذهـا الحسيـة فوق ما يدرك الحس من ملاذ الدنيا، وقد تنكشف الحقيقة بوجـه ما لأهـل الصـدق، فتلو لهم ملا الدنيا بالنسب لملاذ الآخـرة، كمثال رجل شرب الخمر حتى فقد شعوره، ثم دعـاه داعي الشهوة، فخرج يطلب شهوة النكاح فوقع به السكر علي مقبرة مشيدة بها قبر كالحجرة به نساء دفن من أيام عليه الحل والزينـة، وبجوارهن نور قبر كالحجرة به نساء دفن من أيـام عليهـم الحل والزينـة، وبجواره نور كعادة أهل زمنـه، فتخيل له من السكر أن أجمل نسـاء العالم، وأنهن من بنات الملوك خرجن لتغبي الهواء في تلك الغيضـة، فأجملهن لباساً، وكان في أكمل لذة وأعظم بهجـة، يشكر حظـه، ويثني علي بختـم، وتناول خمر بجوار الموتي، فـزاد سكره حتي قهره النوم فالتق بجوارهن، حتى أصبح فوجـد ثيابـه ملطخـه بالقيح والصـديد،

وتحقق من سوء عمله فاستقذر العمل وكراهــه شديدة لما يسمع عليه من بهجـــــة النســـاء وزينتهـــن.

فكذلك حال لذة الدنيا بالنسبة للآخرة لمن انكشفت له. ولو أنكشف له، ولو بتصديق الخبر عنها تصديقاً متناسبا بالنسب للذة الدنيـــا.

هي كجيفـــة تلذذ بها الإنسان مسرورا بلذتـــه، فرحا بحظوتـــه، فإن تنبه من غفلته نفر منهـــا الحلي من الحماقـــة والشجاع من الجبن والتقي من الكبائر، وزهدها زهدا حقيقياً، وجعل ميله إليها للضرورة التي لا بد منها، كما يستريح المسافر علي قلل الجبال، وفي غابات السباع، لغلب نومـــه، وشـــد ة تعبـــه، ليقوي علي السفر حتـــي إذ وصـــل مـــوطن الإقامـــــة، ومنزلـــــة الكرامـــة زال عناؤه، وكأنه لم ينصب) – راجـــع كتاب النو المبين للإمـــام أبي العزائـــم.

الموازنـــة التحليليـــة

تنبغي الإشارة إلي أن الغزالي تدرج شيئاً فشيئاً في عرض صوره الأربع التي يصف بهـــا الدنيا من حيث الواقع الملموس إلي الأقل واقعية حتى يصل في صورته الأخيرة إلي انتزاعهـــا من الخيال الممكن الوقوع القريب من الحس والمشاهـــدة، ولا يحس هذا التدرج إلا من يطالع النص كلـــه، ويمعن النظر في الصور مجتمعه في شئ من الموازنـــة بينها، ولا ريب أن ذلـــك مسلك نفس من شأنه أن يحدث أثره – إلي جانب الجوانب الأخرى في التصوير – فـــي نفـــس القاريء والسامع، وبخاصة إذا كان في موضوع معنوي مجرد، فيـــه – علي الأقل – لمحـــــة من أذواق الصوفية ومشاهداتهـــم.

أمـا صورة الإمـام ابي العزائـم

فتأتي كدليل وبرهان علي ملاذ الحياة الآخرة العقلية فوق كل ما يدركـــه العقل من المـــلاذ في تلك الدار الدنيا، وملاذه الحسية فوق ما يدركـــه الحس من ملاذ الدنيا، ونلاحظ أن كلمتي (العقل) و (الحس) في الصورة جاءت للدلالة علي الفرد الكامل في جنس العقول والأحاسيس.

وهذه الحقيقة التي يسوقها الإمام مقدمـــة لصورته قد تنكشف لأهل الصـــدق بوجـــــه مـــا فتظهر بجلاء بين لا يخفي منها مثقال ذرة. والصورة عبارة عن صورة رجال أسرف في شرب الخمر حتى فقد أحساســـه ووعيه، ثم دعاه داعي الشهوة، فخرج يطلب شهوة النكاح فوقع بـــه السكر علي مقبرة مشيدة بها قبر كالحجرة به نساء دفن من أيام علـــيهن الحلـــي والزينـــــة، وبجوارهن نور كعادة أهل زمنـــه، فخيل له من السكر أنه أجمل نساء العالم، وأنهن من بنـــات الملوك خرجن لتغيير الهواء في تلك الغيضة، فأتي أجملهن لباسا وكان في أكمل لـــذة وأعظـــم

بهجـــة، يشكر حظه، ويثني علي بختـــه، وتناول من خمر بجوار المواتي، فزاد ســكره حتـــى قهره النوم فالتقي بجوارهن، وذهب سكره فوج ثياب ملطخـــة بالقيح والصديد، وتحقـــق مـــن سوء عمله فاستقذره وكرهـــه شديدة.

فلذة الدنيا مثل لها الإمـــام أبو العزائم بهذه الصورة البالغـــة الحقارة.. صورة جيفـــة تلذذ بها الإنسان المسلوب الإرادة مسروراً بلذته فرحاً بحظوتـــه، ولكن عندما تنبـــه مـــن غلفتـــه، وعادت إليـــه إرادتـــه المسلوبـــة نقـــر منهـــا، واستقبح فعله واستهجن ما قام به ولكن بعد فوات الأوان.

والصورة درس محبب للنفس العاملة الحريصة في الحقيقـــــة والواقـــع لا فـــي الصـــورة والخيال، علي أن نأخذ من الدنيا علي قدر الضرورة فقط كما يستريح المســـافر علـــي قلـــل الجبال، وفي غابات السباع لغلبـــة نومـــه، وشـــدة تعبـــه، ليقوى علي السفر، حتى إذا وصـــل إلي موطن الإقامـــة زال عناؤه، وكأنه لم ينصب.

كذلك انفرد الإمام ابو العزائم في نص بأن جعل للدنيا مشهداً تعلوا به وتسمو فـــي الـــنفس المؤمنـــة عن كل ما يعرفه الناس عنها من مأخذ وعيوب، وصفات مذمومة، وحقق لها متعـــة حسيـــة، وصفة محمودة، ووجهاً جميلاً، ينظر إليه علي أنها أهل للحمـــد والحب، الدنيا التـــي غلب الذم عليها من أغلب الصوفيين ينظـــر إليها الإمام أبو العزائم علـــي أنهـــا قطعـــــة مـــن الآخرة، لأنها سبب إليها، وطريق يوصل إليها، وفيها من النعيم والملذات ما يصل هذه بتلك.

وكما أن الدنيا داء ينبغي التنبيه إليه والحذر منـــه والوقاية من الإصابة به، ففيها الـــدواء الشافي والعلاج الناجـــح.

الدنيا يمكن أن تكون مصدر إلهام ووحي يضئ جنبات الـــنفس المؤمنـــة بالحـــب والخيـــر والجمال والرضا والسعادة، ويرشـــد العقل التأئـــه، ويطمئـــن النفس الحائرة ويهـــدي القلـــب الضال حيث يتصل الإنسان بربـــه وخالقـــه اتصال قرب وشهود وحب، وبهذا يحقق الإمام ابو العزائم اتصال الدنيا بالآخرة اتصال لذة ونعيـــم ومصيـــر خالـــد.. وذلك يقتضي من الصـــوفي موازنـــة دقيقة في المعادلة الصعبة التي توصل الدنيا بالآخـــرة. وتحقق السعادتين في الدارين، وتنأي بصاحبها عن الزلل ومواطـــن الفتـــن.

والكون هو هذا الرباط المتين الذي عن طريقة وبسببه يتحقق اتصال الدنيا بالآخرة، ونظـــر إليه في نصه، وقد بين وجـــه الدنيا الذي يمدحها به البعض من حيث تـــذم، ووجههـــا الـــذين

يذمونها به من حيث تمـدح، فأنــه يجعل لها مشهـداً أعلي وأسمي مــن هــذين الوجهيــن وهــو: -

أن يشهــد الإنسان بعملــه في الدنيا آيات الله المجلوة، فإن كان مزارعا يشهــد آيــات الله تعالي بإحياء الأرض بالنباتات، وسر إنزال الأمطار، وجرى الأنهار، وتصريف الرياح، وتسخير السحاب، وتأثير الشمس علي النبــات.

وأن كان صانعاً يلحظ قدرة الله، وما أبدعــه في العقل من الاقتــدار علــي تنويــع المــادة وتحويلها إلي آلات نافعــة، وأدوات معينــة بمعونتــه سبحانــة وتعالي، وينظر إلي جوارحــه المجترحــة كيف خلقها الله صالحــة لكل الأعمال، ثم ينظر إلي المادة وأنواعها من معدن كثير الأنواع صالح للصناعات، ومن غابات تكثر فيها أنواع الأخشاب ومن مناجم خــزن لنــا فيهــا الزيــوت النافعــة، والفحــوم المعينــة لنا علي الصناعات.

وإن كان تاجراً لحظ بقلبه حكمة التبادل، وسر المعاملة، وقدرة الله في تسيير المواصــلات، فخشعت القلوب لعلام الغيوب، وحضر العبــد مع ربــه، وإن كان عالماً ساحت نفســه الطاهرة في ملكوت السموات والأرض، ورجع للعالم أجمع بقوت القلوب، وغذاء الأرواح، وبيان آيــات الله وعظمتــه.

الرسالــة الثالثـــة

آثار الإمام أبو العزائم الشعرية
دارسة فنية
(مختصر رسالة ماجستير)

إعدا الباحث: سري محمد حسن هاشم الشريف

إشـــــراف

الأستاذ الدكتور / محمد علي رزق الخفاجي

أستاذ البلاغة والنقد ورئيس قسم اللغة العربية

بكليـــة الأداب بسوهـــاج

الأستاذ/ السيد علي حسن

أستاذ الأدب المساعد

بكلية الأدب بسوهاج

١٤١٢ هـ - ١٩٩٢

التعريـف بالرسـالة ومحتواهـا

تقع هذه الرسالة في (٥٠٠) صفحـة وتتضمن ما يلـي:-

١- **تمهيـد**

٢- **مقدمـة عن الشعر الصوفي عامـة**: ومن المواجيـد في تراث الإمـام المجـــدد أبـــي العزائـــم.

٣- **الفصـل الأول**: عن عصــر الإمــام المجـد أبي العزائــم وعلاقتــه بالحياة السياسيــة والاجتماعيــة والعقليــة.

٤- **الفصل الثانـي**: من ملامح شخصيــة الإمــام المجــدد أبي العزائــم وثقافتــه.

٥- **الفصل الثالـث**: عن مصادر وحجم مواجيـــد الإمــام المجــدد.

٦- **الفصل الربـع**: عن أغراض المواجيـد. التي تضمنت كل أغراض الشعر العربي

٧- **الفصل الخامس**: الخصائص الفنيـة في مواجيـد الإمــام المجـدد أبي العزائم

٨- **الفصل الخامس**: الخصائص الفنية في مواجيـد الإمــام المجــدد أني العزائــم.

٩- **خاتمـــة**: عن نتائـــج البحث وضروريـــة استمراريـــة البحث في تراث الإمــام المجدد

تمهيـــــــــــــد

المواجيـد في أدأب الإمـام المجـدد أبـا العزائـم رضي اللّه عنـــه

أشارت الرسالة ص ١٤ إلي (أن الإمام أبا العزائم أنتج لنا كثيراً من الأدب الصوفي الرفيع الذي يستحق الدراسة في نثره وشعره، فخلف لنا كثيراً من النثر الصوفي الذي يتمثل فـــي حكمـــه وأوراده وأدعيته ومقالاتـــه ومسرحياتـــه الإسلامية ورسائله وقصصه وخطبـــة الدينية، كما خلف لنا كثيراً من الشعر الصوفي (المواجيـــد) الذي يـــدور حـــول الزهـــد والمدح النبوي والتوسلات والاستغاثات ومقام الذكر وتطهيـــر الـــنفس والقلـــب والنصـــح والإرشـــاد الدينـــي، وإحيـــاء جميع المناسبات الدينية والإســـلامية هـــذا بالإضـــافة إلـــي مواجيـــده وقصائـــده في الأغراض الأخرى كالمد – الفخـــر – الرثاء – العتاب – الطبيعـــة – الشعـــر الوطنـــي).

ثم قال الباحث ص ١٥: (إنني وجـــدت في مواجيـــد الإمـــام المجـــدد الـــورع والتقـــوى والإيمان والصلاح والأدب والصدق في القول كما وجدتـــه مشاركاً بمواجيـــده فـــي أحيـــاء المناسبات الدينيـــة، وفي أحداث عصره وقضاياً مجتمعـــه وأصـــبحت قصائـــده جـــديرة بالدارســـة والبحث .

الفصــل الأول

عصر الإمــام المجــدد

علي الحياة السياســية في عصــره

أثــر الإمــام المجــدد علي الحيــاة السياســيــة في عصره:

قالت الرسالة ص ٢٩ : (لقد كان الإمام أبو العزائم عل علم تام بمجريــات الأمــور فــي الوطن الإسلامي من أقاصي الصين إلي أسبانيا لاهتمامــه بأمر المسلمين صغيراً كان أو كبيراً.

وفي صفحــة (٣٣) قالت الرسالة (لم يكن الإمام أبو العزائم بعيدا عــن معتــرك الحيــاة السياسية وما جري فيها بل شارك في جميع الثورات التي قام في الأقطار الإســلامية مثــل ثورة الأمير عبد الكريم الخطاب بمراكش، فكان يزود الثوار بنشراتــه ومقالاتــه في مجلته المدينــة المنورة.

ويضيق لنا المقام عن إيراد الكثير من رسائل الإمام أبي العزائم الوطنية والحماســية التــي بعث بها إلي الملوك والرؤساء والزعماء الوطنيين والعلماء وأصحاب الصحف وقادة الفكــر في العالم الإسلامي فهي تعبر كثيراً عن دور الإمام أبي العــزائم فــي الأحــداث السياســية والوطنيــة.

أثر الإمــام المجــدد علي الحياة الاجتماعيــة في عصره.

كما ذكرت الرسالة ص ٤٠ (أن الإمــام أبا العزائم في مجال المال والاستثمار كان يــدعو المصريين في عصره إلي العمل الجــاد المثمر. فكان يدعوهــم إلي تكوين الشركات الزراعيــة والتجاريــة والصناعيــة قائلاً يجب أن يكون المسلمون أغنياء لا يتركون غيرهــم يستثمرون أموالهم، ويثري علي حسابهــم، ويستخدمهم كطاقــة بشرية وأقتصادية، فتستغني شعوبهـــم بقدر ما تفتقر شعوبنـــا)

كما ذكرت الرسالة أيضا ص ٤١ : (إن الإمام ابا العزائم فقد تفاعل مع أحــداث عصــره الاجتماعية ولم ينعــزل عن الناس ولم يبعــد عن المجتمع بيــد أنه حث المسلمين علي العمل والاستثمار متأثراً بقولــه تعالي: (وقل أعملوا فسيري الله عملكم ورسولــه والمؤمنون)

كما ذكرت الرسالة أيضاً (أن طلعت حرب مؤسس بنك مصر كان في كل خطواته قبل وبعــد إنشاء البنك يتوجــه إلي الإمــام أبي العزائم في ذهبيتــه بالعجوزة يطلــب منــه الــدعاء الخالص والتأييد الروحي من قلبه الكبير وكان أبو العزائم يطمئنــه في ذلك ويشرح صــدر بالدعوات الصالحات، فانتشرت شركات بنك مصر وأزدهرت مصــانع النســيج والملاحـــة

وغيرها وكان سرور الإمام أبي العزائم عظيماً عندماً ارتدي الملابس التي صنعت في مصر لأول مرة وأقتدي به عــدد كبير من اتباعــه ومريديــه في طول البلاد وعرضهــا).

موقف المجــدد من الفنــون والأدب:

أشارت الرسالة إلي أن أجراً ما في حياة الإمام المجـــدد أبي العزائم هو اعترافــه بـــالفنون والأداب كالمسرح والتمثيل والغناء، مع أن الفن في زمنته لم يكن إلا ترفيهــا منكــراً مــن علماء الدين وبعض أدباء عصره ومفكريــه !!

وقالت الرسالة ص ٤٢: (إن الإمام المجـــدد كان يري في نهضـــــة المســـرح والتمثيـــل وسيلة عصرية ملائمـــة لرقي الأمم ونهضــــة الشعوب متى أحسن توجيهها، فعــن طريـــق التمثيل والمسرح يمكن توجيـــه الشعب نحو المثل الإنسانية العاليـــة والحيـــاة الإســـلامية الفاضلة

وذكرت الرسالة ص ٤٣: (إن الإمام المجـــدد قد جدد في هــذا المضــمار بــأن وضــع الأساس والنموذج والمنهج الذي يجب أن ننهج عليه في التمثيل والمسرح فجـــاءت مســـرحيته (محكمة الصلح الكبري) نموذجا لما يجب أن يحتذبه الأديب الرفيع ليصنع المسرحية الصادقة)

كما ذكرت الرسالة أيضاً في نفس الموضع: (إن الإمام المجـــدد قد أقر كل ما يتصل بالأدب من شعر وغناء وموسيقي وألحان: فكان يعترف بالغناء ويقول (دعوني أغني) وأملـــي الآلاف من القصائـــد التي كان أتباعـــه يحلنونه ويتغنون بهـــا، وحين سمع أحـــداً يضرب العـــــود.. في رجب ١٣٥٤ هـــ أنشـــد قصيدة قال في بايتها:

عنــــوا فتلك الأغانـــــــــي   تدعــو لخلع الغــذار

وذكرت الرسالة ايضاً ص ٤٤ : (إن الإمـــام المجـــدد أيـــد تطور الحياة الاجتماعية في عصره فهـــم ذات مرة بركـــوب المصعـــد الكهربائي فقال:

(ومعارج عليها يظهرون) ثم حمـــد الله وأثني عليـــه)

ثـــم إضافت الرسالة أيضاً ص ٤٥ : (أن الإمام المجدد كان متكيفاً مـــع حـــالات عصـــره الاجتماعية، فكان يأكل من الطعام أطيبه وأشهاه ويلبس من الملابس أجملها وأذوقها وأحسنها هنداماً وأقتني عربة ركوب وسيارة خاصة وذهبية علي النيل يصطاف فيهـــا).

اثـــر الإمـــام المجـــدد علي الحياة العقليـــة في عصـــره:-

ذكـــر الرسالـــة ص ٥١: (أن الإمام المجـــدد كان رائـــداً من رواد النهضـــة الفكريـــة فـــي عصره وأنه استطاع رضي الله عنه أن يشارك في تقدم النهضة الفكرية فـــي عصـــره حيـــث أسهـــم بقالاتـــه وخطبة وقصائـــده ورسائله وأدعيته في تلك النهضـــة).

(كما استطاع أن يصدر بمجهوداتـــه عدة مجالات كالسعادة الأبديـــة والفـــاتح والمدينـــــة المنورة. وكانت كتابات الإمام المجـــدد تحتل أعمـــدة كثيرة من الصفحات الأولي فـــي كافـــــة الصحف اليومية المعاصرة له، ومنها جريـــدة النظام، واللواء، والجمهور والأهـــرام.

وذكرت الرسالة أن الإمام المجـــدد كان له مفهوم خاص في الأدب فيقول: ليس من الممكن أن أدعي أنني صرت أديبا لمجرد أنني حفظت شعر العرب ونثر كلامهـــم، وإنما أكون أديباً حقا إذا تأدبت بالآداب الإسلامية وتحليت بالفضائل المحمديـــة مـــن الشجاعـــــة والعفـــة والكـــرم والسخاء والعـــدل) .

الفصـل الثانــي

ملامــح شخصيــه الإمـام المجـدد... وثقافتـه

أسمـه ونسبـــه

أسمـــه: محمد رضي، وشهرتـــه الإمـــام المجــدد، وكنيتـــه: أبو العزائـــم

وهو حسني من جهـــة والدتـــه.. حسينى من جهـــة والـــده.

فأبوه: وهو سيدنا عبد الله المحجوب الحسيني الذي ولـــد عام ١٢٤٨هـــ وتنتهي سلسلة نسبـــه إلي عيـــن ماضي في المغرب الأقصـــي.

وأمـــه: السيد أمنـــة وهي من ذريـــة سيـــدي عبد القادر الجيلاني وهي حسينــه.

كتيتـــه: أبو العزائـــم أشتهر وعرف بها، وأطلقت عليه عن طريق شيوخـــه وأصدقائـــه

مولـــده: صبيحـــة يوم الأثني ٢٧ من شهر رجب ١٢٨٦هـــ الموافق ١٨٦٩/١١/٢٤م بضريـــح سيدي زغلول بمدينة رشيـــد: حيث ولدتـــه أمـــه السيدة آمنه المهدية أثناء زياتها لضريح سيـــدي زغلـــول.

يقول الأمام المجدد

حضرت رشيـــد مسقط رأسي أستجـــدي
رضا الله والإحسان في المطلع الحـــد

تذكـــرت بدئـــي في رشيـــد لأننـــــي
ولدت بها طفلاً وفيه بدا رشـــــــــدي

حياتـه ونشأتــــــــه:-

١- مرحل الطفولة: كان الإمام المجـــدد ثلاثة أخوة من الذكور هم أحمـــد - محمود أبـــو الحمايـــة - وأربعـــة من الإناث: هانم - زينب - شفيقـــة - السيـــدة .

وكانت نشأتـــه في بلدة محله أبو علي - مركز دسوق حالياً وكانت طفولتـــه فـــي بيئـــة عظيمة لها الفضل الكبير والأثر القوي في شخصيتـــه فلقد كان والد السيد عبدالله المحجوب عالماً من علماء الدين والشريعـــة وشيخاً من شيوخ التصوف وأديبا ومؤرخاً.

وقد حفظ الإمام المجـــد القرآن الكريم في سن مبكره، ثم أحضر له والده عالماً من الأزهـــر هو الشيخ عبد الرحمن عبد الغفار ليعلمـــه متن الوطأ من كتاب أقرب المسالك لمذه مالـــك. ومتن السنوسية في التوحيـــد والأجروميـــة والألفية في النحو، وكان والده يعلمـــه إحيـــاء

علوم الدين للعزالي وهناك عالم أخر هو الشيخ محمد القفاص كان يعلمه التوحيـد وكـذلك الشيخ محمـد الخطيب كان يعمل الفقه حتى سن الرابعة عشرة من عمر الإمام المجـدد.

وقالت الرسالة ص ٦٦: (نستطيع أن نميز نشأة الإمام المجـد الأولي في حياتـه بعاملين.

أحدهما: حبـة الشديد للعلم، والعامل الآخر: حبـة لشيوخـه، وحب شيوخـه لـه).

٢- مرحلـة تبدأ العلم والعمل في الوظائف الحكوميـة:

تبدأ هذه المرحلة في سن السادسـة عشرة من عمر الإمـام المجـدد حيث التحق بالأزهـر الشريف وتلقي كثير من العلوم علي يد شيوخـه.. حيث حضر علي الشيخ حسن الطويل علـوم التوحيـد، وكان يصحب أيضاً الشيخ حسنين الحصافـي.. وتعرف الإمام المجـدد أيضاً علـي الشيخ محمـد عبده وعبد العزيز جاويش ومصطفي كامل وغيهـم من القادة. ثم لما أنشأ علي باشا مبارك وزير العارف في ذلك الوقت مدرسة دار العلوم التحق بها الإمـام المجـدد. ثـم تخرج منها وعين مدرساً بالمنيا في أوائـل عام ١٣١١هـ -١٨٩٤م فكان يـؤدي الواجـب عليه نهاراً ثم يصرف أكثر أوقاتـه بين العامـة وأهل العلم فيها لقراءة دروس مذهب مالك أو التكلم في الأخلاق والتوحيـد حتي أنس بإخوان له في المنيـا).

وكانت أخـر وظائف الإمام المجـدد عمله كأستاذ للشريعـة الإسـلامية بكليـة غـوردون (الخرطوم) في الفترة من ١٩٠٠- ١٩١٥ م، ثم أقصاه الحاكـم الإنجليـزي مـن عملـه بالسودان عام ١٣٣٣هـ - ١٩١٥هـ لجهـاده الإسلامي هناك ثم عاد إلي مصر.. ليبدأ مرحلة جديدة في العمل من أجل هذا الديـن.

٣- **مرحلة التفرغ الكامل لنشر العلم والدين**.

بدأت تلك المرحلة من عام ١٣٣٣هـ - ١٩١٥م وحتى انتقاله إلـي الرفيـق الأعلـى عـام ١٣٥٦هـ -١٩٣٧م وهي تقد باثنين وعشرين سنـة بذل فيهـا الإمـام المجـدد أقصـي الجهـد في الدعـوة الإسلامية سياسياً وتربويا واتسمت هذه المرحلة من حياته رضي الله عنه بالجهاد والسفر والدروس اليومية والإملاءات والمواجيـد والكتـب والمجـلات وردوده علـي الاسئلة والاستفسارات والخطابات التي ترد إليه من كافة أنحـاء العـالم ومقابلاتـه للوفـود السياسية ورجال الفكـر وسفراء الدولي الإسلامية وقيامـه بتربية جيل كامـل مـن العلمـاء والحكماء.. بالإضافة التي تراث علمي خالـد وضخـم يعتبر ذخراً للمكتبة الإسلامية. [1]

وصف العلماء المحدثين للإمـــام المجـــدد ورأيهـــم فيـــه: [2]

١- يقول الدكتـــور محمـــد الفحـــام شيخ الأزهـــر (لقد عاصرت في شـــبابي فتـــرة مـــن فترات حياة الإمام المجـــدد فلمست عن قرب جهاده في إعلاء كلمة الـــدين وأســـلوبه الحكيم في معالجـــه الأمور بما يجب أن يكون عليه العلمـــاء المرشديـــــن والأئمـــــة لصالحون.

ثم قال أيضاُ: (وسيرة الإمام المجـــدد السيد محمـــد ماضي أبو العزائم تعتبـــر نبراســـاً للشباب ومناراً للجيل يسير علي هديها فيعبـــر الطريق إلي الحق).

٢- حين طلب من الدكتور عبد الحليم محمـــود شيخ الأزهـــــر أن يقـــوم بتقـــديم كتـــاب (أسرار القرآن) للإمـــام المجـــدد أبي العزائـــم قال: أنا لا أستطيع أن أقـــدم لكتـــاب تفسير أسرار القرآن للإمام المجـــدد محمد ماضي أبي العزائم وأتحدث عن علمه فـــي تفسير القرآن، لأنه تفسير جامع وشامل ولا يستطيع أن يقدم لهذا العمل سوي الإمـــام أبي العزائم نفسه. فقد كتب رضي الله عنـــه مقدمـــة للتفسير ولا يصلح أن يقدمـــــه بعد ذلك أحـــد وأرجـــو ألا تطلبوا مني ولامن غيري أن يقدم الإمام أبا العزائـــم)

٣- رأي الدكتور مصطفي محمود في كتابـــة السر الأعظـــم.

(الإمـــا أبو العزائـــم في نظري كنز لم يكتشف بعد وقطب ينافس الفحـــول فكـــراً وعلمـــاً وسلوكاً وشعره رموز عرفانية عالية يفهـــم كل واحـــد منها علي قدر حظـــه، وما قـــدمناه من علم الرجل ما هو إلا نقطـــة في بحـــر).

وصف الإمام المجدد أبي العزائـم لنفسـه [1]

كان وصف الإمام المجـــدد أبي الغزائـــم لنفسه يتسم بالتواضع و لخشـــوع لله، فنـــراه حينما أراد أن يعرف نفسه يقول (أنا العبد الخويدم المسكين المنكسر القلـــب المضـــطر إلي فضل الله تعالي ورحمتـــة عائـــذ بوجهـــة العظيم مـــن مخـــالف سنـــــه نبيـــــه الكريـــم، محمد ماضي أبو العزائـــم.

وحينما أراد الإمام المجـــدد أن يصف نفسه أيضاً قال (محمد ماضـــي أبـــو العـــزائم، الخوف قوامـــه، والذل حليت، والرهبـــة باطنـــه، والرغبـــة ظاهرة، والحيـــرة رداؤه، والصبر أنيسه، والرضـــا رفيقـــه، والشكر زاده والثقـــة كنزه، والفكر طريقة، والتسليم

مذهبـــه، والتواضع رفعته، والفقه منهجـــه، والصدق ضـــالته، والأخـــلاص مـــراده والسيد صلي الله عليه وسلم مقصوده، وما يقرب إلي النار عدوه، ومـــا يقـــرب إلـــي الجنـــة أليفـــه، وبر الوالديـــن سروره، وصلة الرحم حبوره،وإدخال الســـرور علـــي عباد الله وصولـــه، والرحمـــة بخلق الله خطوتـــــه، والقـــرآن الكريـــــم خلوتـــــه، والحضور بقلبه مع الحق سبحانـــة جلوتـــه، يا مقلب القلوب والأبصـــار ثبـــت قلبـــه، وبلغـــة مراده، وهكذا فليكن كل ماض أو من يحب ماضياً).

رحلاتـــه وتنقلاتـــــه [1]

١- كان المولـــد بمدينـــة رشيـــد بمسجـــد سيدي زغلـــول، ثم الانتقال مع والده إلـــي محلـــه أبوعلي مركـــز دسوق (حاليـــا).

٢- صحب الإمام المجـــدد والده في الثانية عشرة من عمره إلي بي الله الحرام، ثم في سياحـــة في البلاد برفقه والـــده ليتعرف فيها بكبار المشايـــخ من علماء التصوف.

٣- في س السادســـة عشرة من عمره رحل الإمـــام المجـــدد من بيت أبيه وقريته إلي القاهرة ليلتحق بالأزهـــر ثم مدرســـة دار العلـــوم.

٤- عين الإمـــام بعـــد تخريجـــه مدرسا بالمنيا في أوائل ١٣١١هـــ وقضي بالمنيـــا عامين.

٥- انتقل الإمـــام المجدد بعـــد ذلك إلي الإبراهيمية شرقيـــة ثم إلي سواكن ثم أســـوان ثم حلفا ومنها إلي أم درمان بالسودان ثم الخرطوم حيث عمل أســـتاذاً للشريعـــــة الإسلاميـــــة.

٦- بعـــد إقصائـــه عن وظيفتـــه بقرار الحاكم الإنجليزي بالسودان في أول أغســـطس ١٩١٥م من السودان إلي المنيا لمدة تزيـــد عن العام ثم انتقل إلي القاهرة بســـر آي آل العزائـــم بالسيدة زينب إلي انتقاله رضي الله عنـــه.

أساتذته وتلاميذ

١- تلقي الإمام المجــدد في طفولته الفقه والعبادات والنحــو علي يــد الشــيخ عبــد الرحمن عبد الغفــار.

٢- تلقي الإمــام المجــدد علوم التصوف وإحياء علوم الدين علي يــد والــده الســيد عبدالله المحجــوب.

٣- تلقي رضي الله عنه علوم اللسان والتوحيــد علي يــد الشيخ محمــد القفاص.

٤- تلقي رضي الله عنه علوم الفقه علي يــد الشيخ محمد الخطيب في الرابعــة عشرة من عمــره.

٥- في السادســة عشرة تتلمذ علي يد الشيخ حسن الطويل.. حيث تلقي منــه علوم التوحيــد وكذلك علوم الحكمــة علي يــد الشيخ حسنين الحصافي.

أما تلاميذ الإمــام المجــدد الذين تلقوا عنه فكثيرون.. وأشهــرهــم:

ابنــه الأكبــر وخليفتــه الأول السيــد أحمــد ماضي ابو العزائـــم والشــي محمــد الصبيحي من علماء ههيا – شرقيــة، والشيخ ابو الليل علـــي مهـــدي مـــن علمـــاء المنيـــا، والشيخ أحمــد السبكــي، ومحمــد محمــود باشا سليمان وعبد الخلق ثروت.

مذهب ومدرستــه الفكريــة: [1]

لقــد كان مذهب أبي العزائـــم مذهباً صوفياً عاملاً يحث علي العمل والجهــاد ونشر العلــم والدين وحب العلم والعلماء وحب أهل التقوى والصلاح والأولياء وسيرهــم وأخبارهــم.

أما في مدرسة الإمام المجــدد الفكرية فهي مدرسة تتسم بالشمول والتنـــوع فـــي مختلـــف ميادين العلوم ففيها التصوف – الفقــه – التفسيــر – التربية – الاجتمــاع – الأدب – النحــو وغير ذلك من مختلف العلــوم.

وقــد عبر الإمام عن ذلك قولــه: (إن طريقنا يستغرق المذاهب والعلو جميعهــاً، وينبغــي لإخواننا أيدهــم الله تعالي ألا يعادوا علماً من العلوم أو يهجروا كتاباً من الكتــب ولا يتعصـــبوا علي مذهب من المذاهب لأن طريقنا يستغرق المذاهب السليمة كلها ويجمع العلوم جميعها.

والخلاصة كما ذكرت الرسالة ص ٩٠: (أن مدرسة الإمام المجــدد أبي العـــزائم الفكريـــة تسمي بالمدرسة العزميــة، وهي تجمع بين مختلف العلوم، كما أنها تجمع بين جميـــع الطـــرق الصوفية التي سبقتها، ومن ثم أصبحت مدرستــه الفكريــة مدرسة شاملة جامعـــة لمعظـــم العلوم).

جهـاده في عصـره:

أوجزت الرسالة صـور الجهـاد عند الإمـام المجـدد أبي العزائـم فـي أربعـة أمـور هامـة وهـي:

١ – جهاد بمؤلفاتـه العلمية والأدبية كمؤلفاتـه التي تحث علي تضامـن المسلمين ومقاومة الاستعمار، وكخطبة وحكمـه ورسائلـه ومقالاته وأدعيته التي كانت جميعها تحث علـي الجهـاد من أجـل الديـن .

٢ – جهـاده برحلاته وتنقلاتـه من أجل تحقيق المجـد الإسلامي وجمـع كلمـة الأمـة الإسلامية ونشر العلـوم.

٣ – جهـاده بماله ووقته وعملـه في الوقوف بجانب الفقراء وفي كـل مـا يخـدم الـدين والوطن

٤–جهاده ضـد فساد الحكـم والاحتلال بالعمل المتواصل والاشتراك فـي ثـورات عصـره وأحداث عصره وخاصة دوره في مسالة الخلافـة الإسلامي وقد أدي ذلك الجهـاد إلـي اعتقاله والقبض عليه مرتين في عام واحـد الأولي فـي ١١ ربيـع الأول ١٣٣٨هـ والثانية ١٧ رمضان في نفس العام الهجري الذي يوافق ١٩١٩ م

شهادة الشيخ الفحام شيخ الأزهر الأسبق بالدور الجهـاد للإمـام المجـدد:

قال الشيخ محمد الفحـام: (إن جهـود الإمام المجـدد أبي العزائم فـي إرسـاء قواعـد التصوف علي أساس سليم منزه مما علق به من شوائب، وجهوده في لـم شـعث الأمـة، والتنبيه إلي مخاطر الحزبيـة البغيضـة، وتوجيـه نصائحـه إلي الزعماء ودوره في ثـورة ١٩١٩م وفي أعقابها ثم دوره الفعال في مسألـة الخلافة الإسلامية ما يشهـد لهذا الرجـل بأن يكون في طليعـة المجاهدين الذين لا يسألون عن جهادهـم أجـراً، ولا عـن عملهـم شكراً.

مؤلفاتـه رضي الله عنـه:

ذكرت الرسالـة ص ١١١ أهم السمات التي تتسم بها مؤلفا الإمام المجـدد أبـي العـزائم وتراثـه العلمي وهـي:-

١ – التنوع والشمول: فقد كانت مؤلفاتـه متنوعـة وشاملة لشتي الجوانب، فمـن خلالهـا عالج الكثير من القضايا الاجتماعية والفقهية والعلمية وغيرهـا.

٢ – الكثـرة: فتتسم مؤلفاتـه بالكم الكثيـر فمنها المطبوع ومنه المخطوط.

٣- النزعــة الدينية الصوفية: فقد سيطر علي معظم مؤلفاتــه الاتجاه الصوفي الديني.

٤- براعة الأسلوب: فمن يطلق علي مؤلفاتــه يلاحظ فخامــه في الأسلوب وبراعــــة فــي التركيب.

٥- السجع في المسميات: حيث يلاحظ أن معظم مؤلفاتــه تميــل إلــي الســجع الموســيقي في مسمياتها مثل: (أصول الوصول لمعيــة الرسول) (شراب الأرواح من فضل الفتاح) (والطهور المدار علي قلوب الأبرار)... الخ.

٦- اختلا أحجامها: فثمــة مؤلفات بمثابة مجلــدات ضخمــة.. وثمــة مؤلفات بمثابة كتــب متوســطــة الحجم، وثمــة مؤلفات بمثابــة كتيبات ضغيره الحجــم.

انتقاله رضي اللّه عنـه:

انتقل رضي الله عنه إلي الرفيق الأعلى في ٢٧ رجب ١٣٥٦ هــــ الموافــق ١٩٣٧/١٠/٣ وكان أخر قصائــده قبل انتقالــه مطلعها:

مولاي أسرع بي إلي الوجـــــــــــــه ... إني فنيت عن الأولاد والأهــــــــــــل

وزج بي في رياض القدس مشرقـــــــة ... أنــوار وجهــك بالغفران والوصــــل

إني فنيت عن الدنيــا ولازمهـــــــا ... وعن بنيها عن الأولاد والأهــــــــل

الفصـل الثالث

مصـادر القصائـد وحجمهـا

أولاً: مصادر مواجيـــده: خمســـة مصـــادر هـــي:

١- القرآن الكريـــــم
٢- السنـــة الشريفـــــة
٣- المصدر الإلهامي والوجدانـــــي
٤- أحداث العصر وقضايا المجتمع
٥- تجـــاربه الصوفيـــة.

١ - القرآن الكريـــم:

ذكرت الرسالة ص ١١٨ (أن من يطلع علي قصائـــد الإمام المجـــدد أبي العزائم يجـــد معظمها مقتبســـة من القرآن الكريم، ومن يمعن النظر في قصائـــده يجـــد أيضاً الكثير منها اعتمادا كلياً علي كتاب الله تعالي سواء باقتباس بعض ألفاظـــه أو بالإشارة إلي معني من المعاني الكريمـــة، ومضمون ما تحتويـــه من أفكار، أو بالاستشهاد به في قصائـــده، أو بالتوقف علي قضية ما ذكرت في كتاب الله تعال فتأثر بها في قصائـــده) كما جاء في الرسالة أيضاً إن القران الكريـــم المصدر الأول لقصائـــد أبي العزائم وأن السبب في ذلك ما يلي:

- التقديـــس والتعظيم لكتاب الله تعالي.
- حرصاً الإمام علي التمسك بكتاب الله وسنـــة رسول الله عليه وسلم في أقواله وأعماله نزعتـــه ونشأته الدينيـــة وصوفيته الخالصة لوجـــه الله تعالي:
- حفظـــه للقرآن الكريـــم منذ طفولتـــه.
- دراسته في المعاهـــد الدينيـــة وعمله في المجال الدينـــي، حيث أنها لا تخرج عن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ولا سيما تفسيره (أسرار القرآن).

ونظراً لكل تلك الأساليب، فقد تأثر الإمـــام المجـــدد بالقرآن تأثرا كبير في قصائـــدة، فتراه دائمـــاً يتغني بالقرآن الكريـــم في قصائـــده فيقول:

إذا قرئ القرآن أشهـــد نوره   يلين قلبي وجلـــدي بخشيـــة

أمثلة من القصائد العزمية التي اقتبسها الإمـام المجـدد من الألفاظ القرآنيـة.

قـول الإمـام المجـدد:

بين نفس وبين نفس شئـــون   تتجلي حتى تراهـــا العيـــون
ومع العسر إن تدبرت يسرا   ولدي الصبر كل كرب يهـــون

فهو يشير إلي قوله تعالي (فإن مع العسر يسراً، إن مع العسر يسرا)

قول الأمام المجدد:

ألا بعتموا لله مالاً وأنفســا بمدلول إن الله والذكــر ينطق

مشيراً إلي قوله تعالي (إن الله اشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنــة)

قول الإمام المجدد

إن كان ذنب عظيما فعفوا ربي أعظــم

مشيراً إلي قوله تعالي (قل يا عبادي الذي أسرفوا علي أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله)

قول الأما المجدد :

لم يلههم عن ربهم فقر ولا يشغلهم عنه غني ورضاء

سشيرا الي قوله تعالي(رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله)

قول الإمام المجدد:

من الطيــن قد صاغ المهين هليكي وصير كنزاً لتفصل مجملــي

مشيراً إلي قولــه تعالي: (ولقد خلقنا الإنسان من سلالــة من طيــن)

قول الإمام المجدد:

لكل مضطر وأنت مجيب سر أضطرار المصطفيين عجيب

مشيراً إلي قول الله تعالي (أمن يجيب المضطر إذا دعاه)

قول الأمام المجدد:

علي قدري أصوغ لك المديحا ومدحك صاغه ربي صريحا

مشيرا غلي قوله تعالي(وإنك لعلي خلق عظيم)

قول الإمام المجدد:

الحب معراج قرب للوصول إلي مقــام قدس وإكرام وإيصــــال

وقولــه أيضـــاً

أهل المحبــة قد قامت قيامتهــم فروا إلي الله من جنــات فردوس

مشيرا إلي منزلة الحب الإلهي، وفضل من سعدوا به في قوله تعالــي:

(قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفــر لكــم ذنوبكــم)

وقو ل الإمام الجــدد

رفعت مولاي أهل الكهف بالحسني حتى لقد شهدوا الأسرار والمعني.

مشيراً إلي قولــه تعالي: (إذ أوي الفتيــة إلي الكهف فقاموا ربنا آتتنا من لدنك رحمــة وهي لنا من أمرنا رشــداً)

ومن ثم نجــد أن كتاب الله تعالي كان مصدراً هاماً وملهماً للإمـــام المجـــدد في مواجيــد وقصائـــده

٢-الأحاديث النبويـة الشريفة:

ذكرت الرسالـــة ١٣٥ أن الإمـــام المجـــدد أبا العزائـــم قد أعتمـــد في قصائـــده علي الأحاديث النبويـــة الشريفـــة اعتماداً كلياً، فاعترف بفضله عليه حيث قال رض الله عنـــه.

كل الذي أنـــا فيه فضل محمـــــــد　　　منـــه بدأ وإلي كان وصوليـــه

وقال في نصحـــة لأخوانـــه وهو يحثهم علي التمسك بالسنـــة المحمـــدية:

ألا سارعوا أحيوا لسنـــــة أحمـــد　　　فقتنـــه هذا العصر كالنار تحرق

نماذج من القصائـــد التي توضح لنا مدي تأثر الإمـــام المجـــدد بالأحاديث النبويـــة في مواجيـــده:

قول الإمـــام المجـــدد في مقام الإمـــام الحسيـــن عليـــه السلام:

حديث صحي قاله المصطفـــي لنـــا　　　توسلت للرحمن منكســـر القلب

(أنـــا منـــه برهان جلي لمؤمـــن　　　حسين نعـــم مني يقيناً بلا ريب

مشيرا إلي حديث المصطفي صلي الله عليه وسلم (حسين مني وأنا من حسين.. أحب الله من أحب حسينـــا)

- قـــول الإمـــام المجـــدد في سيدنا رسول الله صلي الله عليـــه وسلم ؟ :

من لدن آدم إلي يوم عيسى　　　وهو شمس ومصدر الأنـــوار

أنت شمس للرسل منك تحلوا　　　بالأيادي في محكم الأسفار

مشيرا إلي قول النبي صلي الله وسلم: (أنا سيد ولد آدم ولا فخـــر)

- قول الإمـــام المجـــدد رضي الله عنـــــه:

يا قلب حال الصفـــا تبدو معانيـــــه　　　تكون عرش استواء عن تجليه

تكون يا قلب معموراً ومبتهجـــاً　　　بم تنزل نوراً من أياديـــــــه

مشيراً إلي قول النبي صلي الله عليه وسلم: (إن الله لا ينظر إلي صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلي قلوبكـــم وأعمالكـــم).

قول الإمام المجـــدد رضي الله عنـــــه:

الحب في الله نـــور يشرح الصدرا　　　والحب في الله ســـر يرفع القدراً

والحب في الله معـــراج الوصول به　　　مع يعش الله بالمحبوب قد ظفراً

مشيراً إلي قول صلي الله عليه وسلم في دعائــه.

(اللهـــم أني أسالك حبك وحب من أحب والعمل الذي يبلغني حبك)

فالإمام المجد أبو العزائم تأثر بالأحاديث النبوية الشريفة تأثرا كبيرا في قصائد فكانت المصد الثاني له بعد القرآن الكريــم

٣ – المصدر الإلهام الوجزائـــي: ص ١٤٨ – ١٥١

كانت مشاعــر الإمـــام المجـــدد ووجدانـــه مصدراً هاما لقصائــده ومواجيــده، فعندما يسيطر علي وجدانـــه الحب العميق لسيدنا رسول الله صلي الله وسلم، ينشـــد قائلاً.

حبيب قلبي محمــــــــــــــــــــد ... بالحســـن والنـــور مفـــــرد

كلامــــه نـــــور روحــــــــــــي ... منـــه العطــا يتجــــــــــدد

خذنـــي بكلي حبيبــــــــــــــــي ... إلي المدينــة أشهـــــــــد

مولای أسعــد بوصــــــــــــلك ... حتى أري نـــور أحمـــــــد

آنسي مشوقاً بوصـــــــــــــــل ... عساه بالوصل يسعـــــــــد

٤- أحداث العصـر وقضايا المجتمـع ص ١٥٢ -١٥٦

لا شك أن الإمام المجـــدد قد شارك كثيراً في أحداث عصره وقضاياً مجتمعه، وكانت أحداث العصر وقضايا المجتمع مصدراً هاماً من مصادر قصائـــده وها في أمثلة مختصره توضح لنا ذلك.

قول الإمام المجـدد رضي الله عنـــه.

يا بريطاني قد ظلمت ولكـــــــن ... شق ظلم العباد منـك المـــــرارة

يا فرنسا نشرت كفـــــــــراً وزوراً ... بيــن أهـل التوحيـد بئس التجــارة

والقوى القهــار أمهـــــــــــــل ... حتى أحرق الكل من لهيب الشـــرارة

يشرق الشر باتحاد وحب ... بين أهل التوحيد معني الإشارة

يظهــر الله دينــه بإمـــــــــــام ... حقق الله بالقرآن إنتصـــــــــاره

فيشير في هذه الأبيات إلي ظلم الاحتلال الأجنبي والدول المعادية للإسلام. ثم يؤكـد أن الله تعالي سوف ينصر دينه ويهلك الأعــداد الظالميــن.

أيضاً قول الإمـــام المجـــد في البيت الحــــرام

في ظلال البيت أسال موقنـــــــا ... بالعواطف بالحبيب المرســــــــل

سيد عبد مس مذنــــــــــــــــب ... جئت فامنـــح خير عفـــــــو الأول

سيــدي أهلك فرنسا دمـــــــــرن　　سيــدي بقهـــر عاجـــــــــــل

سيــدي والإنجليز فدمـــــــــرن　　جمعهـــم بالقهـــر ربي عجــــــل

٥- تجاريــة الصوفيــة ص ١٥٨- ١٦٢

ذكرت الرسالة أن الإمام المجـــدد رجل صوفي لا يقل عن الصوفيين الحقيقيين في صفائهـــم ونورانيتهم وشفافيتهم وألهاماتهم في أعمالهم وأقوالهم. كما أكدت الرسالة أن قصائد الإمام المجـــدد تتسم بعـــدة سما وهـــي:-

أولاً: اختلاف هذه القصائـــد الصوفي عن عامة الشعر، فهي تعد بمثابة مواجيـــد نظمية وإلهامات عرفانية، ولعل ذلك جعل أحـــد الدراسين يقول فيها: والإمام أبو العزائم يقول هذا الكلام علم كشفي لدني، وليس عن اجتهاد برأي)

والإمام المجدد لا يجعل قصائده الصوفية شعرا، بل يعدها بمثابة خمر طهور، فنراه يقول

ليس شعرا ما قلت حـــال شـــهودي　　بل هو الخمر يحتسي في الوجـــود

راح قـــدس قصـــائد مـــن قصـــود　　وهــــي إشــــراق علمــــه التأييـــد

ثانيا :إن هذه القصائد جميعها إملائية، فلقد كان الإمام المجدد يمليها على تلاميذه فنراه يقول :

عني اسمعوا ما تعقلون من الكـــلام　　فالعم بالرحمن من صـــافي المـــدام

والعـــم بـــالله العلـــي غـــوامض　　لم يفقهن إلا لصـــب فـــي اصـــطلام

خذ ما صفا لك من إشـــارة عـــارف　　فالعارفون كلامهـــم يشـــفي القـــام

ونراه يقول :

خذوا من عباراتي بقـــدر مبانيهـــا　　وخلوا لأهل الـــذوق ســـر معانيهـــا

ففيها من الأسرار ما ليس يكشـــفن　　وقـــد خفيـــت أســـرارها ومباديهـــا

يذوق عبـــاراتي مـــراد لحضـــرتي　　ويشهد أسرارها فتى قد فنى فيهـــا

ولــيس لســاني ناطقــا بعبــارتي ولكنهــا نــور يفــاض بباريهــا

ثالثا : غموض هذه القصائد وعوبة فهمها لما تحتويه من رموز كثيرة، وألفاظ متغلقة ولما فيها بينه وبين ربه لا يستطيع أن يكفه، وأنه لا يستطيع كشف تلك الأسرار مخافة من الله ورسوله.

لــــــولا ولــــــولا ولــــــولا عهــــــد وثيــــــق لمــــــولى
لكشــــــفت عنــــــي ســــــتاري وبــــــت بالســــــر قــــــولا

عدد القصائد وحجمها في مواجيد الإمام المجدد[1] :

ذكرت الرسالة أن الكم الكلي لقصائد الإمام المجدد كثير ومتنوع في كل مجال، وأنه يصل إلى عدة آلاف :

وذكرت الرسالة ص ١٦٤ أه يمكن تقسيم قائد الإمام المجدد من ناحية أحجامها إلى خمسة أنواع هي :

١. الأبيات المتفرقة :

مثل قول الإمام المجدد :

أما ومجلى كمال الذات في القــدس وعزة عظمــوت وســعة الكرســي
لو أن جرمي ضاق الكــون أجمعــه عنه لما يئســت منعفــوكم نفســي

والأبيات المتفرقة قد يكون جمها بيتا أو بيتين وهي ليست موجده بكثرة في قاصائد الإمام المجدد.

٢. المقطوعات الصغيرة :

وتراوح حجمها بين ثلاثة إلى ستة أبيات، ولقد ظهر هذا اللون في قصائد الإمام المجدد بصوة أكثر من الأبيات المتفرقة، ومن أمثلتها قوله رضي الله عنه :

للطيــف الخبيــر أرفــع أمــري وبه فــي الوجــود يرفــع قــدري
كيف يرو عبد مــن العبــد عونــا والكريم الحلــيم عــوني وذخــري

---

[1] راجع ص ١٦٣ من الرسالة.

ويقينـــي بـــالله أضـــحى قويـــا بفـــؤادي وظـــاهري وبســـري

٣. القصائد القصيرة :

يتراوح حجمها من سبعة أبيات على عشرين بيتا ــ وقد مال الإمام المجدد في قصائده إلى هذا اللن بكثرة، حيث أن حجم القصائد القصيرة سيطر على مواجيده.

ومنها قصيدة:

سر الوصول إلى الجنـــاب العـــالي حـــب النبـــي محمـــد والآل

وهي أربعة عشر بيتا

وقصيدة :

يـــا أبـــا الزهـــرا وجـــد لحســـنين ياإمـــام الرســـل قـــرة كـــل عـــين

وهي أربع عشر بيتا

٤. القصائد المتوسطة :

وهي التي يتراوح حجمها من عشرين بيتا إلى أربعين ويأتي هذا الحجم في المرتبة الثانية من حيث انتشاره في قصائده :

مثل قصيدته التي مطلعها :

نغمـــات الآثـــار لا الأوتـــار وأغـــاني الأفكـــار لا المزمـــار

التي بلغت ثلاثين بيتا.

٥. القصائد الطولة :

تترواح بين أربعين إلى أكثر من مائة بيت، وقد كان الإمام المجدد لا يميل إليها كثيرا.. ومن أمثلتها :

قصيدة :

إلهي بمجلى الذات ســر الحقيقـــة وغيب التجلي مـــن كنـــوز الهويـــة

وبلغت إثنين وأربعين بيتا.

ومثل قصيدة :

كن أضـــاءت بشمســـها الواحديـــة عـــن معـــان تقدســـت أزليـــة

وهي التي وصل حجمها إلى أكثر من مائة بيت.

الفصل الرابـع

أغـراض القصائـد [ii]

من المعروف لدينا أن للشعر العربي أغراضاً متعددة، كالمدح وللهجاء والفخر والرثاء والغــزل والطبيعـــة والعتاب وغيرهـــم.

وإذا نظرنا إلي قصائــد الإمام المجـــدد نجدها تنقسم إلي أغراض كثيرة هي: المـــدح والفخـــر والهجاء والرثاء والغزل والطبيعة والعتاب والشعر الوطنـــي.

أولاً: المـدح

إذ تتبعنا المدح عند عامة الشعراء نجـــد أنـــه كان لإغراض مصالح دنيوية، وكان لا يخلوا من التملق والنفاق، أما المدح عند الإمام المجـــدد كما ذكرت الرسالة، فهو يختلف اختلافاً كبيراً عن عامة الشعراء، لأن أبا العزائم رجل صـــوفي مجاهـــــد، لا يريـــد مـــن الـــدنيا إلا رضـــاء الله ورسولـــه، ومن ثم كان مديحـــة قاصرا علي ما يرضي الله ورسولـــه.

ولم يمدح في قصائـــده حاكما أو وزيرا أو صاحب سلطان أو جاء ومـــــدح الإمـــام المجـــــدد ينحصر في ثلاثـــة أنواع:

(١) المـــدح البشري　　　(٢) مدح المكان　　　(٣) مدح الزمـــان

(١) المـــدح البشري:

لقـــد قصر الإمام المجـــدد المدح البشري في قصائـــد علي أربعـــة أنواع وهي:

أ- المـــدح النبوي　　　ب- مـــدح أهل البيت　　　جــ- مـــدح أهل التقوي والصلاح

ء- مدح أتباعـــه والسائريـــن علي نهجـــه

أ- المـدح النبـوى

لقد دفع الإمام المجدد حبه لرسول الله صلي الله عليه وسلم، لكي يعبر عن أحاسيسه ومشاعره الصادقة تجاه نبينا صلي الله عليه وسلم فقال كثيراً من المدائح النبوية كقوله رضي الله عنه:

مرحباً بالحبيب خير الأنام   من أتانا بالنور والإسلام

وقوله رضي الله عنه:

أنت شمس قد كنت بدءاً منيراً   جئت للخلق أجمعين بشيراً

وقوله رضي الله عنه:

رسول الله يا نور المجالي   وعرشاً للحقيقة والكمال

ب – مدح أهل البيت:

لم يمدح الإمام المجدد أبو العزائم أهل البيت إلا نتيجة لحب النبي صلي الله عليه وسلم، فهم سلالته والحلقة المتصلة الموصلة إلي رضا الله تعالي ورسوله صلي الله عليه وسلم ولقد كان لهذا المدح نصيب كبير في قصائد الإمام أبي العزائم.. تذكر من ذلك قوله:

وقال في شأنهم ايضاً:

يا كراماً إذا سئلتم أجبتهم   وليوثـاً إذا استغثتم أغثتم

وبحاراً للمكرمات وغوثاً   وحصونًا من أمكم أو يتم

ومن حظي بقدر كبير من مدحه سيدنا الحسين عليه السلام والسيدة زينب والسيدة نفيسة وكافة أهل البيت.

جـ- مدح أهل التقوى والصلاح:

لقد حرص الإمام المجدد علي مدح الرجال الذين يلتزم بمنهج الله تعالي ورسوله صلي الله عليه وسلم، واستطاع الإمام المجدد أن يأتي بصفات جديدة في مدح هؤلاء الرجال المؤمنين. وكل هذه الصفات الجديدة تظهر في أبيات هذه القصيدة التي مطلعها

لأهل الله أسرار خفية   وأحوال تري فيهم عليه

كذلك مدح الإمام المجدد العارفين وبين أوصافهم فقال:

العارفون لهم ظهرت حقيقتهم   فجملتهم بعلم الحق خشيتهم

كذلك مدح الإمام المجدد السالكين طريق الله تعالي فقال:

أهل السلوك علي الطريق الأقوم   ساروا بإخلاص وصدق عزائم

ء- مدح أتباعه والسائرين علي منهجه:

ذكرت الرسالة أن الإمـــام المجـــد في مدحــــه لأهل العزائـــم قد وصفهـــم بأنهم في هيام دائـــم مع الله، فكانت أحوالهـــم وصفاتهـــم نبويـــة، كما أنهم أنجم مشرقة بنور الإسلام، فالله دائمـــاً هو مقصودهـــم ومرادهـــم.وذلك في قولــــه:

أهل العزائـــم من ألست لهم هيام   والمصطفي الهادي البشير ولهـــــم أمـــام
أحوالهم نبوية وصفاتهـــم   من محكـــم القرآن قـــد شـــربوا المـــدام

وذكرت الرسالة: أن الإمـــام المجـــدد قد كرر كثيرا لفظ (أهـــل العزائــــم)..ولعلـــــه يريـــد بتكراره أن يحافظ علي التفرقـــة بينهـــم وبين غيرهـــم.وأن ينسبهم إليه دائما، وأن يحلقهـــم باسمـــه ليحثـــهم علي الإلتزام بالمدرسة العزميـــة.

٢- مـدح المكان:

لقد مدح الإمام المجـــدد الأماكـــن المقدســـة في قصائـــده، فثمـــة كثير من الروضات الطاهرة، والمقامات المقدســـة التي دخلها الإمام أبو العزائم وأنشـــد فيها مدحاً، كمدحـــــه فـــي مقـــام إبراهيـــم عليه السلام، وحجـــر إسماعيل، وزمـــزم والحطيم، وروضـــة السيدة آمنـــة.

فقال قال ف مقام إبراهيـــم عليه السلام:

مقام يا خليل الله يجلـــي   لجسمي وهو للأرواح أجلـــــي

وقال في روض السيدة أمنـــه عليها السلام:

في رو أمنـــــه أدعـــو ولي أمـــــل   في نيل ما أرتجـــي بالقلب والقول

٣- مـدح الزمـــان

كمـــدح الإمام المجـــدد لليلة القد، وشهـــر رمضـــان ونصف شعبـــان فقال في ليلة القدر:

سبع وعشرون فيها ليلة القدر   إنزال قرآن ذات المنعم البـــر

وقال في شهـــر رمضـــان

يا شهـــر رمضان نـــور الوجـــه يشرق لي   أتلوا به أيـــة القرآن إشهادًا

خصائص المدح في قصائد الإمام أبي العزائم

١- تجديده في بعض أنواع المـــدح.. خاصـــة في مدح أهل التقوى والصلاح.

٢- التزامـــه بالدعـــاء إلي الله ومناجاتـــه في معظـــم أنواع مدحـــه.

٣- اتسام مدحـــه بالصدق والواقعيـــة فلم نشعـــر في مدحـــه بتملق أو بنفاق.

٤- أنطلاق مدحـــه من مبادئ إسلامية ترمي إلي رضا الله تعالي ورسولـــه.

ثانياً:الفخـــر [1]

إن الفخــر في قصائــد الإمام أبي العزائم يختلف اختلافا كلياً عن الفجخر عــن الشــعراء السابقين، فلقد جــدد الإمــام المجــدد كثيرا في غرض الفخــر في قصائــده، حيث أنــه رأي في صفات الفخــر عند السابقين أنها صفات فانيــة زائــلة لا تستحق الفخـــر، فالشجاعـــة والقوة والسلطان كلها صفات لا تدوم، بيــد أن وجــد أن الصفات التي تستحق الفجـــر هــي التقوى والإيمان والقرب إلي الله ورسولــه.

لقد كان الفخــر عند الإمام أبي العزائم منطلقا من قول الله تعالــي:-

(إن إكرمكم عند الله أتقاكــم) فمن ثم يظهر الاختلاف بين الفخــر عنــد أبــي العــزائم،، والفخــر عند السابقين، حيث أنه لم يفتخــر في قصائــده بقوتــه، أو بعلمــه، أو بشجاعته بل أفتخــر بقربــه من الله ورسولــه صلي الله عليه وسلم فنراه يقول:

سقاني رسول الله كأساً مزمزمـــاً ... وصيرني طــه إماماً مقدمًــا

ونراه يقـــول:

سقانـــي رسول اللـــه راح وداده ... وصيرنـــي بالفضل باب شهوده

ونراه يفخــر طورا أخر بعبوديتــه لله تعالي فيقـــول:

أيقنت قدري مقامـــي ... أني الرغـــام قوامـــــــي

عيد لرب قديـــــــر ... بـــر محيـــط سلامـــــــي

ونراه يفتخــر بانتسابـــه لرسول الله صلي الله عليـــه وسلم قائلاً:

كيف أخشي أو أخاف ولي بكـــم ... نسبـــة صحت لدي أنسابكم

أو أري ضيما وجــدي أحمــــــد ... قـــد ورثت المجــد عن أحسابكــم

ثالثاً: الرثــاء

لقــد استطاع الإمام أبو العزائم أن يجــدد فى رثائــه بالدعــاء لم يرثيــه بالمغفرة والرحمــة والدرجات العاليــه والفوز بالجنــة، وكان رضي الله عنــه يتحلى بصفات الإيمان في رثائــه، حيث أنه يعلم تمام العلم أن البقاء لله وحــده، وأن الإنسان لابد له من الزوال والفناء.

لقد رثــي الإمــام المجــدد والديــه فقال:

اعني أبر الوالديــن أيا ربي ... فإنهما أصلاى مذ كنت في الغيب

بررتهما حييت هب لي عنايــة ... أبرهما في القبر بالجسم والقلب

وقال أيضا رضي الله عنـــــه

سلام علي قبر أمي بل علي قبر والدي ... أشاهــد نــور الغيب تصفو مواردي

وقال في رثاء تلميذه محمد بن عبد الخالق :

محمــد يا بن عبد الخالق ... أزورك مشتقاقاً لخــل وصـــــادق

ولي مطمــع في الهــه جلال جلالــه ... أنالتك الغفران من فضل رازق

لقــد كنت صديقاً لك الوجــه مشهــد ... وكنت كبيــر القلب في حال خافض

رابعاً: الهجـــــــــــــاء [٢]

ذكرت الرسالة: (إن الإمـــام أبا العزائم ما ساقه إلي الهجاء إلا غيرته الشديدة علـــي دينـــــه ووطنـــه، وكراهيته للاستعمار والحاكم المفســـد، فدوافعـــه للهجاء تعـــــد دوافــــع مـــن أجـــل المصلحة والمنفعـــة العامـــة لا المصلح الشخصية الذاتية كسائـــر الشعراء، كما أن الهجاء عند أبي العزائـــم، ينحصر في نوع واحـــد وهو الهجاء السياسي، فلم يرد أنه هجا شخصاً معيناً، أو قبيلـــة بذاتـــها من أجل مصلحة خاصة به، بيـــد أن هجاءه كان ينحصر في الحكام المفســـدين والاحتلال الإنجليزي وأعوانـــه.

أمثله من الهجـــاء في قصائـــد الإمـــام المجـــدد:

لقد هجـــا الإمام المجـــدد موسوليني، وجـــورج الخامس فقال:

يا وحش روما تأدب	فلست كسرى وقيصـــر
وطعنـــه القهر تأتي	وأنت كالثوب تنشـــــر
كبير لنـــدن فأحذر	فالله ربـــك أكبـــــــر
وطعنـــه القهـــر تأتي	من حيث لا تتصـــور

وهجـــا الغر ووصفهـــم بالإفرنـــج قائـــلاً:

وقـــد أضل الإفرنج قوماً لئاماً	فاستطابوا الضلال من شيطان

وهجـــا الغرب ووصفهـــم ببني الأصفـــر فقال:

يا بني الأصفـــر جستم أرضنا	بل طغيتم بالمقال وبالسنـــان

أهـــم سمات الهجـــاء في قصائـــد الإمام أبي العزائـــم:

ذكرت الرسالـــة أن أهم السمات التي سيطرت علي الهجاء في قصائـــد الإمام أبي العزائم هي:

١- الصـــدق:

حيث ألتزم في هجائـــه السياسي الموجـــه لفساد الحكـــم والاحتلال الأجنبي بالصدق والواقعيـــة فلـــم يفتر بصفات كاذبـــه علي من يهجوه بعكس ما فعلـــه الشعراء في ضروب الهجـــاء.

٢- التهذيـــب:

لم يمل الإمام المجـــدد في هجائـــه إلي الاستهزاء والسخريـــة، بل كان هجاؤه مهذباً في كل شئ، ولم يمل مطلقاً إلي الألفاظ المتدنيـــة التي تخدش الحياء وتجـــرح المشاعـــر.

٣- المواعيــد

لقــد كان الوعيــد ظاهــرة في هجــاء الإمام أبي العزائم، بيد أنه يختلف في وعيــده عن الآخــرين. لأنــه كان يستنــد في وعيــده علي قوة الله تعالي واثقاً من نصر الله لعباده المؤمنين كقولــه رضــي الله عنــه.

غلب الروم بانتقام وظلـــم ... بضــع مرات في سالف الأعــوام

يهلك الله كل باغ وعــات ... يمحــق الله من بغــي من لئــام

٤- الدعـــــــــاء:

لقــد ظهرت سمـــة جديدة في هجاء الإمام أبي العزائم، وهذه السمـــة هي الدعـــاء الموجــه إلي الله تعالي، فعندما يهجوا أبو العزائم أعــداءه، ويحس بالكراهية الشديدة نحوهــم، فإنــه كـــان يتوجـــه مسرعاً في هجائــه إلي الله تعالي، فيدعــوا عليــهم بالهلاك والدمار والزوال، مثل قوله :

أيـــا رب أسبانيا فرنســا فأهلكــن ... جموعهــم حتى يعود لنا الهــدي

أيـــا رب جمع الإنجليــز فمزقــن ... أيا رب أورباً فأهلك وشـــــردا

٥- البساطــــــــة

لقــد أتسم هجاء الإمــام المجــدد بالبساطــة، فلم يمل في هجائـــه إلي المبالغــة والإســراف فــيمن يهجوه، كما أنه ترفع عن استخدام أي ألفاظ جارحـــة متدنيـــة والذي جعله كذلك صوفيته الصــحيحة وتمسكـــه بمبادئ الإســـلام.

خامساً: الغـــزل [١]

استطاع الإمــام أبو العزائــم أن يجعل كل حبــه في قصائــد موجهــاً إلي الله تعالي وحــده، فلم نجـــد فـــي قصائـــده أي غزل بشري، فلقد سيطـــر علي قصائــده الحب الإلهئ بكثـــرة.

حقيقـــة الحب الإلهـــي في قصائــده الإمـــام المجـــدد:

يري رضي الله عنه أن الحب الإلهي هو معراج الوصول إلي الله فيقـــول:

الحب معراج قرب للوصول إلـــي ... مقام قدس وإكـــرام وإيصـــال

الحب يمحق من قلب الحبيب سوي ... محبوبـــة فيراه لا بأمثـــال

وذكرت الرسالـــة (أن ثمـــة كثير من القصائـــد التي تبين لوعـــه أبي العزائم وغرامه وشوقـــه وعشفـــه وصبابتـــه في الحب الإلهي فيقـــول:

من النار إلا حبـــه وزفيرهـــا ... في باطنـــي من نور أية حسنهـــا

نار المحبـــة قد أذابت مهجتـــي ... وأخ المحبـــة لا يميـــل لغيرهـــا

كما لجــأ الإمــام أبو العزائم في الحب الإلهي إلي استخدام الرمــز باســتعمال أســماء العشــاق العــذريين أو باستعمال رمـــز الخمر والكأس مشيراً إلي خمـــر الحب الإلهـــي.

سادساً: العتـــاب [٢]

ذكرت الرســالة: (أن قصائــد العتاب عند الإمام المجــدد أتخذي اتجاهيــن:

أحدهما: عتاب خاص، يخص فيه مجموعة من تلاميذه وأخواته فيعاتبهــم نتيجــة حــدوث مواقــف معينــة منهــم..

مثل: عتابــه رضي اللــه عنه لأحمــد السبكــي (تلميذه) علي نومــه بمكــه المكرمــة قائلاً.

أحمــد السبكــي تنام وتدعــي حبنــا بالشوق أو بالأعتصــام

وهذا العتاب كان قليلاً لا يذكــر:

ثانيهما عتاب عام: يوجــهه إلي عامــة الأمــة الإسلامية دون تحديد شخص معين، حيث إنه يوجــه لم يتجاهل نعم الله عليه، ويعــد هذا العتاب أكثر بقليل من العتاب الخاص.

أسباب قلة قصائد العتاب عند الإمام المجدد:

١- قلــة المواقف التي تستدعي اللوم والعتاب، لأن تلاميذه وإخوانه كانوا يحرصون علي مشاعره ويحترمونــه أجلالاً لمنزلتــه وعلمــه.

٢- طبيعــة الإمام المجدد المتسامحــة جعلته يقلل من عتابــه، لأنــه كان يعفو ويصفح.

٣- انشغالــه رضي الله عنه بمصلحــة الدين والوطن، جعله لا ينظر إلي مواقف العتاب بأهميــة كبيــرة.

وأكــدت الرسالة ص ٢٦٥: (أن عتاب أبي العزائم يخالف السابقين فــي أنــه لــم يهــدف إلــي مصلحــة شخصية ذاتية، بيــد أنه كان يهــدف في عتابــه إلي المصلحة العامــــة التــي تخــدم المسلميــن).

سابعاً: قصائد الطبيعة [١]

أمثلة من قصائــد الإمام أبي العزائــم في الطبيعــة:

(١) قولــه رضي الله عنــه في الشمــس

نعـم ظاهــر الأسفار غيــر آثار — وذي الشمس واحــدة تضي نهاراً

ألاحت لنا الشمس المنيرة حكمــه — زرتنــا علياً واحــداً قهـــــاراً

(٢) قولــه في ماء البحــر:

طهــرت بالماء كلــــي — جسمي وحســي وظلــي

طهــر حبيب روحــي — بنــور وجهك حولــــي

يا بحــر أنت جمــــال — محــوت عنــي جهلــي

(٣) قولــه رضي عنــه في الصحــاري:

عين روحــي فشاهــدي أي ربي — بالصحاري تلوح جهراً لقلبي

(٤) قولِــه رضي الله عنــه في الغمــام:

فيك يا هذا الغمــام — قــد أري براً ســــــلام

يأتــي فوقــك ربنــا — ظاهــراً أنت اللثــام

سمــات قصائــد الطبيعــة عند الإمــام المجــدد أبي العزائــم:

(١) اتخذ الإمام أبو العزائــم الطبيعة في قصائــده علي أنها دلائل قوية علي وجود الله تعالي، وبديع صنعه وقدرتــه وإرادتــه المطلقــة.

(٢) أراد الإمام أبو العزائــم – من خلال مواجيــده في الطبيعة – أن يزيــد مــن إيمــان المســلمين بربهــم.

(٣) استطاع الإمام المجــدد أن يعبر عن جمال الطبيعــة وفوائــدها علي الإنســان مــذكراً بــنعم الله الكثيرة علينــاً.

(٤) ربط الإمام المجــدد في قصائــده بين الطبيعــة ذاتها، وبين الحب الإلهــي.

(٥) استطاع رضي الله عنه أن يتخذ من الطبيعــة في قصائــده وسيلة هامة للتوجــه من خلالها إلي الله تعالى في دعائــه.

ثامناً: القصائد الوطنية [١]

إذا نظرناً إلي القصائد ذات الطابع الوطني عند الإمام أبي العزائم نجدها تنقسم إلي نوعين:

(١) قصائد تتعلق بحبه لمصر.. حيث خاطب أهل مصر، وحثهم علي التضامن والوحدة: كقوله رضي الله عنه.

فيك يا مصر غيوب كلها   فوق قدر العقل من فوق اللسان
فيك تبيان ونور ساطع   يملأ الأرض هدي يعلو القرآن

(٢) قصائد تتعلق بالأمة العربية والإسلامية يتنبأ فيها الإمام المجدد بالخير والنصر كقوله.

يا أمه الهادي اسمعوا   نبأ الصحابة والهداة الأولين

وقوله:

بربكم وطني الإسلام افدية   بالنفس والمال والرحمن يعليه
والمسلمون هو نفسي وحبهو   فرض علي بصدق القول أرويه

سمات قصائد أبي العزائم الوطنية:

(١) ربط أبو العزائم في قصائده بين الدين والوطن ربطاً وثيقاً، فقد كان شعاره الدائم الإسلام وطن.

(٢) أشاد في قصائده بوطنه وبدول الإسلام جميعهاً.

(٣) حث في قصائده علي ضرورة التضحية والفداء بالنفس والمال من أجل الدين والوطن.

(٤) توجه في قصائده إلي الله تعالي بالدعاء لأهل وطنه والمسلمين جميعاً بالنصر الدائم.

(٥) استطاع في قصائده الوطنية أن يهاجم أعداد الإسلام ويدعو عليهم بالهلاك والدمار.

(٦) حث في قصائده أهل وطنه والمسلمين جميعاً علي تقويم سلبياتهم والرجوع إلي الله تعالي.

تاسعاً: القصائد الإسلامية: [١]

ذكرت الرسالة ص ٢٩٠ : (أن كما كبيراً من قصائد الإمام أبي العزائم يدخل في إطار الشعر الإسلامي، وقالت إن معظم قصائده تدخل في هذا الإطار.. فمنها قصائد الدعاء، وقصائد الحكمة، وقصائد النصح والإرشاد، وقصائد العبادات والمناسبات الدينية، والقصائد الصوفية.

١ - قصائد الدعاء:

اتسمت قصائد الدعاء عند أبي العزائم بالتضرع والخشوع والذل والانكسار والاضطرار إلي الله تعالي، والإيقان بإجابة الله تعالي، والتوبة الخالصة لله.

ففي التوبة كان رضي الله عنه يقول:

أتوب لأني من هواه ومن نار   من الماء بدء طينة الفخار

وذكرت الرسالة ص ٢٩٤ : (أن الإمام المجدد كان يكثير في دعائه من تكرار قوله (أيا رب) وهذا يدل علي تلذذه وفرحته بذكر به)

مثل قوله رضي الله عنه:

أيا حي يا قيوم أدعو بفاقتي   وحقق رجائي منك يا عالم الغيب

كما يلاحظ أيضاً في دعاء الإمام أبي العزائم عدم انفراده بالدعاء.. بل كان يدعو لأبنائه وتلاميذه وإخوانه وسائر الأمة الإسلامية.. كما يلاحظ في دعائه إيثاره لدعاء الآخرة، وبعده عن دعاء الدنيا. ومن السمات التي سيطرت علي قصائد الدعاء عند أبي العزائم مناجاته بأسماء الله الحسني.. مثل قوله رضي الله عنه:

وأسال بالاسم العظيم تقدست   معانيه عن إدراك كل بصيرة
وسر أسمك الفتاح أشهد حقيقتي   لتفتح أسرارا بذاتي خفية
وسر أسمك المعطي المجيب تفضلن   به لأهني بالعطايا الجميلة

كذلك سيطرت الإستغاثة علي قصائد الدعاء عند أبي العزائم والتوسل بالمصطفي صلي الله عليه وسلم وأهل البيت الكرام.. كذلك سيطر الاستغفار علي قصائد الدعاء عبد أبي العزائم، حيث أنه أستغفر كثيراً في دعائه من كل شئ.. حتى من الإعجاب بالصلاة والصيام.. وقد تأثر في ذلك بسيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم.

٢- قصائد الحكمة والنصح والإرشاد:

قدم الإمام أبو العزائم في قصائده كثيراً من الحكمة والنصيحة والموعظة والإرشاد والتوجيه لسائر المسلمين، ومن ذلك قول رضي الله عنه.

الدين إيمان وصدق طوية | وعلو نفس عن هوى ودنيه

ويحث علي التأمل والتدبر في الكون في قوله رضي الله عنه

سح في العوالم وأشهدن أسراري | كي ما تري حال الصفا أنواري

وأشهد بدائع أي صنعي والحظن | نور الصفات بمظهر الإسفار

ويرسم رضي الله عنه الطريق المستقيم قائلاً:

السير سير السالك الأواب | فوق الصراط بصحبة الآداب

ويكشف أساس الرقي والوصول إلي الله تعالي قائلاً.

ليس الرقي إلي العليا بأعمال | ولا الوصول بأسرار وأحوال

ويبين في حكمة بليغة سر الوصول إلي الله قائلاً.

ما أختلاف الطريق والقصد واحد | والصراط السوى للمتواجد

ذا لأن النفوس مختلفات | كل نفس لها دليل وشاهد

وذكرت الرسالة ص ٣١١ : (أن كل ما حثنا عليه الإمام أبو العزائم من أوامر فإنما هي أوامر الله تعالي في كتابة الكريم، ولم يأت هذا إلا من دافع تأثر الإمام المجدد بكتاب الله والتمسك بسنة رسول الله صلي الله عليه وسلم).

وذكرت الرسالة أيضاً ص ٣١٣ : (إن هناك قصيدة شاملة جامعة لكل أمور المسلمين وهي قصيدة.

أيا رفقتي يا خلتي يا أحبتي | علي العروة الوثقي فسروا ورافقوا

٣- قصائد العبادات والمناسبات الدينية:

ذكرت الرسالة الكثير من الأمثلة في قصائد الإمام المجدد التي كشف فيها معان العبادات مثل قول رضي الله عنه في سر تنوع العبادات:

تنوعت العبادة للتداني | لتشرق شمس أسرار القرآن

ومثل قوله في الصلاة:

اقيم صلاتي إن تجرددت عن نفسي | فأفنني بها عني بمشهده القدسي

ومثل قولــــه في الصيام

الجســـم يترك مألوفاً ومعتاداً — كـــي يمنع الجسم آداباً وإرشاد

وهو الصيام لجسمي يرتقي رتبا — يصفوا فيمنح توفيقاً وإمداداً

ومثل قولــه في الحـــــــــج

أحــج بالروح للمجلي وأشواقــي — تنمو إلي البيت في حيطات آفاقــي

أما قصائـــد المناسبات الدينية فهي كثيرة ومتنوعـــة، فلم يترك الإمام المجـــدد مناسبة دينية إلا وشارك فيها بقصائـــده.

ففي الموالـــد النبوي قـــال:

وافي ربيع لنا بالخيـــر والبشري — فيـــه لقد اشرقت الهدي الكبري

وفي الإسراء والمعراج قال:

فبشرى بمعراج الحبيب وإسراه — وبشري لنا نلنا مشاهـــد معناه

وفي العيـــد قال:

أعـــد بدئي الماضي شهـــود عيانــــي — ليقوي بكشفي غيبـــه إيقانــــي

فأنت معيـــــــد والإعــــادة أننــــي — أرانـــي روحاً في حظائر حنانـــي

وفي وقفـــه عرفات قال:

عرفات ختم وهي بدء الاقتراب — من بعدها أرمي جمار الاحتجاب

وفي ليلة القدر قال:

وفي ليلة القدر الإشارة أننـــي — أنا الليل يعطـــي هيكلي الإحسانا

وفي ذكري بـــدر قال

أغـــاث الله في بدر رجالاً — هـــم الأفراد في حصـــن الإمان

٤- القصائـــد الصوفيـــة:

سيطرت القصائـــد الصوفية علي معظم تراث الإمـــام المجـــدد القصائـــدي.. حيث حديثه عـــن القلب والنفس والروح.

أما عن القلب فذكرت الرسالة أهميته في قصائـــد أبي العزائـــم حيث يقول رضي الله عنـــه

الفقـــه في القلب نور من لدي الرب — وليس في صحف تتلي لذي حجب

وكذلك الروح يقول فيها الإمام ابو العزائـــم:

وهي الروح تصفـــو تشهـــد الأنـــوار — يلوح لها الحق العلـــي جهـــاراً

ويقول عن بهجـــــة الروح:

بهجــة الروح بالجمال العلـــي　　　لا بملك يفني وحظ دنـــــي

ويقول رضي الله عنـــه عن النفس:

نفسي هـــي الكنـــز فيها سر معنـــاه　　　بغيـــر كيف وفيها نور مجلاه

ويقـــول في النكـــر:

إذا ذكرنابـــه لاح الضيا العالـــــــي　　　والذكـــر يجذبنا منا إلي الوالي

الفصـل الخامـس

الخصائص الفنيـة في قصائـد

الإمـام أبي العـزائم [1]

أولا: عنصر الفكر في قصائـد ابي العزائم

يتسم عنصر الفكر في تراث الإمام أبي العزائــم القصائدى بعــده سمات وهي:

(١) منهــج الالتزام بالبحث عن الحقيقيــة:

ذكرت الرسالة ص ٣٤١ : (أن النظر إلي بواطن الأمور سيطر علي فكر ابي العزائم فــي قصائــده، فقد ألتزم في قصائده بالبحث عن حقائق الأمور وغاياتها.

فمثلاً حين تكلم عن الإنسان، لم ينظر إلي ظاهرة فحسب، بل نظر إلي حقيقة خلقه، والغايــة من خلفــه فقال:

أيا أيها الإنسان من طيــن فخــار ... تكونت كي ترأي مظاهــر أسراري
ومن نطفــه أنشئت ايا جليــــة ... وصرت بمحض الفضل حصن قراري
تدب فأنت الطين والماء فاشهدن ... جمالي وإحساني وسري وأنواري

وفي العبادات أيضاً لم ينتظر إلي ظاهرها، فحسب، بل نظر إلي حقيقتها وباطنها فقــال فــي الصوم:

تغنيت في صومي أغاني تشبيهــي ... ولي في صيامــي مشهد التنزيه
تشبهت في صومي بعالم أولــــي ... تجردت من سفلي وقد كنت في التيــه

وقال في الصلاة والفناء فيها:

لذلك إذا صليت صليت فأنياً ... عن اللون والأكوان والنور ساطــع
احرم في التكبير مشهــد غيره ... وأشهــد بالتزيــه إذ أنا راكـــع

كما نظر ابو العزائم بفكره إلي حقيقة الحــج قائلاً:

أحــج إلي القدس العلي موجهــاً ... إلي الله وجهــي وهو في القرب ضارع

ودائماً ما يخاطب النفس في محاولة ردعها عن السوء قائلاً:

هي النفس للداني تحن وترغب ... وللعاجل الفانــي تميــل وتطلب

(٢) الفكــر الصوفي لأبي العزائم ومظاهــره في قصائــده

تسمك الإمام ابو العزائم في فكره بالأسلوب الفلسفي الصوفي، فإذا اراد أن يعرف حقيقـــة ما في قصائـــده، فإنه يعرفها من خلال زاوية فلسفيـــة صوفية، ولهذا يحث أبـــو العـــزائم بكفره علي السياحـــة في الكون قائلاً.

سمـــع في السما ما فوقها في العرش بل   ما فوقـــه من غيهب الأنوار
بعـــد السياحـــة فافن بمن عـــــلا   عن مشهـــد الأرواح والأفكار

ويظهـــر من قصائـــد الإمام أبي العزائـــم التحليل والتعليل في التعبير، والعمق والدقـــة في التفكيـــر.. فإذا تعرض لقضيـــة ما، يأتي معهـــا بالرد المقنـــع .

ففي قولـــه تعالي: (وأذكر ربك إذا نسيت)... يقـــول:

الذكـــر الله إن نسيت سواه   قل بقلب في الذكر يا الله
لا تعلق بالقلب غيـــر إلـــه   قـــد تجلي للعالمين علاه

الحرص علي إبراز قضايا المجتمع في قصائـــده

أكـــدت الرسالـــة (أن الإمام المجـــدد شارك بقصائـــده، في كثير من الأحـــداث السياســـية والاجتماعية والفكريـــة، وقدم بقصائـــده كثيراً من النصح والإرشـــاد.

(٤) **سيطـرة السلوك**.

لقد سيطر سلوك الإمام أبي العزائم علي فكرة في قصائده، فنظراً لأن سلوكـــه كـــان يتســـم بالنزعـــة الإيمانية، والصوفية الخالصة، فقد اتسم عنصر الفكر لديه فـــي قصـــائده بتلـــك النزعـــة.. كقولـــه رضي الله عنـــه.

كل ذنب وإن تراه صغيـــــــــراً   فهـــو نار إن لم تنل غفرانـــي
صغـــر الذنب جاهل بمقامـــــــي   وبفضلي وعزتـــي وحنانـــي
من يرانـــي يري الصغيـــر عظيماً   لعلـــوي ورفعتـــي ومكانـــي
هفـــوة العارفين أكبـــر ذنـــــب   فابذل النفس تمنحن رضواني

ثانياً: الفنـون البديعيـة في قصائـد الإمـام أبي العزائم

لقد كانت الفنون البديعية كثيرة ومتنوعة في قصائـــد الإمـــام أبـــي العـــزائم..وقـــد انقســـمت المحسنات البديعيـــة في قصائـــده إلي: لفظية ومعنويـــة.

فالمحسنات اللفظيـــة: كالجناس- والسجـــع – ورد – العجـــز علي الصدر والطباق.

والمحسنات المعنويـــة: كالتاريخ بالحروف، والإشارة والتلميحـــات

(أ) المحسنـــات المعنويـــة

١- التأريخ بالحروف

وقد ظهر واضحاً في قصائده التي أملاها في كتابة الجفـــر.. التي أملاها منذ عام ١٩٢٢ إلـــي ١٩٣٧. وكان الإمام المجـــدد يملي في أول المحرم من كل عام هجري قصيدة من مواجيـــــده. يكشف في هذه المواجيـــد استار الغيب عما سيحدث في العالم من أحداث.. وقد كان ابو العزائم يستخدم التاريخ في قصائـــده تلك، حيث أنه كان يرمز في كل قصيدة برمز علي تاريخ السنـــــة التي أرملي فيها هذه القصائـــد كاستخدامه لالفاظ: غاشم – غير جشـــم – غد مش – غشـــمط – غشنـــج – الـــخ.

٢- الإشارات والتلميحات

أكـــدت الرسالة (أن الإمام المجـــدد قد استخدم رموزاً كثير في قصائـــده – يشير بها إلي معان قد تكون معلومة أو معروفـــة كما استخدام رموزا في قصائـــده قد تشير إلي معـــاني أخـــري يعرفها وحـــده أو المقربين منـــه.

أنواع الرموز والإشاءات في مواجيد أبي العزائم

استخدام الإمام أبو العزائم في قصائده الرموز في الحب الإلهي، فاستخدم الشوق والغرام والهيام والهوي.

ثانياً: رموز الخمر والسكر:

ظهر استخدام الخمر والسكر والمدام والراح والشراب والكأس والساقي في مواجيد أبي العزائم ليشير بها إلي خمر الحب الإلهي حيث قال:

سقوني الراح في ليل التذاني ... بكأس النور من بحر المعاني

وقال رضي الله عنه:

كان خمري في الكون والهيئات ... حال عشقي في ظاهر الآيات

ثالثاً: رموز مقلوب الكلمات:

لقد أستخدام الإمام أبو العزائم في قصائده رموز مقلوب الكلمات لبشير بها إلي الكلمات الأصلية، ولم يظهر ذلك إلا في هجائه للدول الغربية الاستعمارية، حيث لم يصرح بأسماء هذه البلاد، بل كان يرمز لها بمقلويات حروفها.

كقوله: (زيلكنا) مشيراً بها إلي (الإنكليز)، وقوله: (سنرفاً) مشيرا بها إلي (فرنسا)،وكلمة (نانوي) مشيراً بها إلي (اليونان) حيث يقول رضي الله عنه:

سنرفاً تضمحل والشمس تعلو ... نانوي يقهرون تمحي العالم

إلا أن أبا العزائم في قصائد الجعفر نفسها أسماء تلك الدول صراحة دون أن يذكر رموزها مثل قوله.

يا بريطانيا قد ظلمت ولكن ... شوق ظلم العباد منك المرارة

يا فرنسا نشرت كفراً وزوراً ... بين أهل التوحيد بئس التجارة

أسباب استخدام أبي العزائم لمثل هذه الرموز السالفة الذكر:

- لجا رضي الله عنه إلي هذه الرموز لكي يتجنب هو وأتباعه اضطهاد دول الاستعمار
- قد يكون في استخدامه لهذه الرموز سمة من سمات الصوفية.
- قد يري رضي الله عنه أن ذكر ألفاظ هذه البلاد صراحة فيه ثقل علي لسانه وقلبه
- قد يري في استخدامه لمثل هذه الرموز سخرية بمثل هذه البلاد.

رابعاً: رموز الإشارة إلي الأعوام الهجرية:

هناك رموز أستخدمها الإمام أبو العزائم في قصائـــده، لتشير إلي بعض الأعوام الهجرية التـــي قيلت مثل: غاشــم، غاش، غشنوا.. الـــخ.

خامساً: رموز المناجاة إلي اللّه تعالـي:

ذكرت الرسالـــة (إن الإمام أبا العزائم قد استخدام عدة رموز في مناجاتـــه لله تعـــالي، وهـــي غامضـــة مستغلقة في فهمما.. وهي تشير إلي الذات الإلهيـــة).

مثل: كان – كينـــون– أهيـــا – ديهـــور – دهـــر

كقولـــه رضي الله عنـــه:

ايا كان كينون يا فرد يا صمـــــد ... ايا دهـــر يا ديهور يا فرد يا أحـــــد

كذلك استخدم الإمـــام المجـــدد رمز (العيـــن) مشيرا بـــه إلي الذات الإلهيـــة: كقوله:

أهـــل المحبـــة في شوق إلي العيـــن ... والعيـــن في غيهب التزيـــه واللـــون

٣-الاقـتـتبـاس

الاقتباس هو تضمين النثـــر شيئاً من القرآن الكريـــم أو الحديث الشريف من غير دلالة علـــي أنه منهما: ولقد ظهر الاقتباس واضحاً في قصائـــد أبي العزائـــم مثل قولـــه:

وفي النجـــم (ما كذب الفؤاد) دلائـــل ... هي الحجـــة الكبري لأهل البصيرة

ومثل قولـــه:

كنا نعـــم أمـــة المختار من مدحـــت ... فاقرأ أخي (كنتـــم) تعطي أمانيتا

ومثل قولـــه:

وفي أي (لا تحـــزن) شراب تديرهـــا ... علي روح صديق فيفقـــه

توحيداً

أمـــا الاقتباس من الحديث الشريف فمثل قوله رضي الله عنـــه:

سر مني حسين غيب مصـــون ... سر منـــه أنا به مضنـــون

ب – المحسنـات اللفظيـة

أولاً: الجنـــاس:

هو التشابـــه بين اللفظين، وأن يتفقاً في أنواع الحروف وأعدادهـــا وترتيبها، وتشابه اللفظـــان في النطق، ويختلفان في المعني والجناس نوعان: تام.. وناقص.

فالتام: هو ما أتفق فيه اللفظان في أمور أربعـــة هي: نوع الحـــروف – شـــكلها – عـــددها – ترتيبها.

والناقص: هو ما أختلف فيــه اللفظان في واحــد من الأمور المتقدمـــة.

أمثلـــه من الجناس في مواجيــد ابي العزائـــم.

قولـــه: ابداً قلوب العاشقين تعذب وعذابهم راح لهم بل أعذب

فيظهر الجناس في قولـــه: تعذب، وأعذب

قولـــه

لدي المشعــر المعروف باسم حرام وقفنا لذكر الله في الإحــرام

ففي قولـــه: حــرام، إحــرام.... جنـــاس

ويظهـــر الجناس في قولـــه رضي الله عنـــه:

قــد جاء مستجديا من فضل آمنــه أم النبي إمام الكل من الكل

حيث أن (الكــل) الأولي تختلف في معناها عن الثانـــية:-

ثانياً: السجـــع:

السجـــع هو توافق الفاصلتين في الحرف الأخيــر، وأفضله ما تساوت فقره. ونلاحظ أن السجع قد ظهر في مواجيــد أبي العزائـــم، حيث ألتزم في بداية معظم قصائـــده بتوافق الشـــطر الأول مع نهايـــة الشطـــر الثانـــي.

مثـــل قولـــه رضي الله عنــــــــه:

وافي لحضرتـــه البراق ملجمـــــا وأتاه جبريـــل الأميـــن مسلمـــاً

وقد ذكرت الرسالة ص ٣٨٣ : (أن ظهور السجع في معظم قصائـــد الإمام أبي العـــزائم، أدي إلي توليـــد الموسيقي في الموجيـــد، وظهور المعني، وإكساب القصائـــد جمالاً ورونقا)

ثالثا: رد العجز علي الصدر

وقد عرف ذلك بالترديـــد. وهو كلام منثور أو منظـــور يلاقـــي آخــــره أولـــه بوجــــه مــن الوجـــوه.. مثل قولـــه رضي الله عنـــه:

هـــو الصـــوم بالتشبيـــه يستـــر رتبتـــي وفي حضرة التنزيـــة إخفاء تشبيهـــي

فقد رد العجـــز بقولـــه (تشبيهـــي) علي الصدر بقولـــه: (التشبيـــه)

رابعاً: الطبــــاق:

الطباق هو أن تجمع بين المتضاديـــن، مع مراعاة التقابل، فلا يجـــئ باسم مع فعل، ولا فعل مع أسم.

آه يا دار الفنا فيك البقـــــا ورضا الله وفوز باللقـــــا

ففي قولـــه: الفنـــا – البقـــا.. طبـــاق

ومثل قولــــه رضي الله عنـــــه:

وأنت وليهـــم بدءاً وختمـــا وأنت إمامهـــم سراً وجهراً

فهناك طباق في قولـــه: بدءاً وختما، وقولـــه: سراً وجهـــراً.

وقال الرسالة ص ٣٨٨: (أن أستخدام الطباق والمقابلة كلون مـــن الألـــوان البديعيـــــة فـــي مواجيـــد ابي العزائـــم، يظهـــر المعنـــي ويقويـــه:

ثالثاً: الصـــور الجماليـــة البيانـيـة (1)

لقد حصر البلاغيـــون التصويـــر البيانـــي في التشبيـــه والمجاز والكنايــــــة، وجعـــل أكثـــرهم الاستعارة ضرباً من المجـــاز.. وقد جعلوا التصويـــر معياراً لجـــــودة القصائـــــد والأعمـــال الأدبية.

أبـرز التصـوير البيانـي في مواجيـد أبي العزائـم

١-التشبيـــــــه

صور التشبيـــه في قصائـــد الإمام ابي العزائـــم أربعـــة وهي:

أ- المشبــــه عاقل (معنـــوي) والمشبـــه به صفة حميـــدة (مادي)، وذلك كتشـــبيه لآل البيت بالنجـــوم المضيئـــة أو بالقمـــر أو بالنـــور أو بالكنور أو بالليوث.

كقولـــه رضي الله عنـــه

وأنت يا بني الزهـــراء شموس اضاءت في الوجود بلا أفول

وقولـــه رضي الله عنـــه:

يا كرامـــاً إذا سئلتم أجبتـــــــم وليوثـــا إذا استغثتنم أغثتم

ب- المشبــــه غير عاقل (غير معنـــوي) والمشبـــه به صفـــة حميـــدة.. كتشبيهـــــه للحـــب الإلهي بالنـــور، أو الذكر بالخمـــر، أو الدار الآخرة بالراح والريحـــان.

كقولـــه رضي الله عنـــــه

الحب في الله نـــور يشرح الصدرا والحب في الله ســـر يرفع القدرا

جــ- المشبـــه عاقل (معنوي حسي) والمشبـــه به صفـــه ذميـــة (مادي)، وذلك كتشـــبيهه لموسوليني في قولـــه رضي الله عنـــه.

يا وحش روما تأدب فلست كسري وقيصـــــــــر

د- المشبـــه غير عاقـــل (غير معنوي) والمشبـــه به صفـــه ذميمـــة (مادي)

كتشبيهــه

لفتنتنــه الدنيا بالنـــار المحرقـــة   كقولـــه رضي الله عنـــه

ألا سارعــوا أحيــوا لسنـــة أحمـــد   ففتنتـــه هذا العصـــر كالنار تحرق

٢- الاستعـــارة:

الاستعارة: نقل العبارة عن موضـــع استعمالها في أصل اللغـــة إلي غيره لغرض وذلك الغرض إما، يكون شرح المعني وفضل الآبانـــة عنـــه، أو تأكيـــده والمبالغة فيه وقد ظهرت الاستعارة كثيراً في قصائـــد الإمـــام أبي العزائـــم رضي الله عنـــه.

كقولـــه: لكـــن ووجـــه جميـــل   لعيـــن قلبـــي تجلـــي

ففي قولـــه (عين قلبي) استعار مكنيـــه، جعلت القلب كالإنسان يري وحـــذف المشبـــــه بـــه وأبقي صفـــه من صفاتـــه وهـــي (عيـــن) علي سبيل الاستعارة المكنيـــة.

وفي قولـــه رضي الله عنـــه حيـــن وقف أمام البيت الحرام

وقفت مرتدياً ذلا ومكسنـــة   وحسن ظني انقاذي من الكـــــرب

في هذا البيت إستعارة مكنيـــة حيث شبـــه الذي والمسكنه بثوبيـــن يلبسان، وحذف المشبـــــه به، وأتي بصفـــة من صفاتـــه (مرتدياً) علي سبيل الاستعـــارة.

٣-الكنايـــــــة:

الكتابـــة عند علماء البيان: أن يريد المتكلم إثبات معني من المعـــاني فـــلا يـــذكره بـــاللفظ الموضوع له في اللغـــة، ولكن يجئ إلي معني هو تالية وردفـــه في الوجـــود فيـــومي بـــه إليه ويجعله دليلاً عليه. وقد ظهرت الكنايـــة كصورة من التصويـــر البياني فـــي قصائــــد الإمام أبي العزائـــم.

كقولـــه رضي الله عنـــــــه:

هيامـــي ووجدي واصطلامي وصبوتـــي   وولهـــي وشوقي يا مولاي أبديهـــا

كنايـــة عـــدة شـــدة الحب الإلهـــي وسيطرتـــه علي القلب.

وقولـــه رضي الله عنـــه:

لو أن جرمـــي ضاق الكون أجمعه   عنه لما يئست من عفوكـــم نفســـــي

كنايـــه عن رحمـــة الله الواسعـــة:

رابعاً: الموسيقي [1]

تتمثل الموسيقي في مواجيـد أبي العزائـم عن عنصريـن هاميـن، همـا الموسيقي الداخلية، والموسيقي الخارجيـة.

١- الموسيقـي الداخليـة

تظهـر الموسيقي الداخليـة في قصائـد الإمام أبي العزائم في تلاؤم اللفظ والمعني وتألفهمـا وتناسقهما، وما جاء من فنون بديعيـة: فأدت

الرنيـن والجرس الموسيقـي:

وذكرت الرسالة ص ٤١١ : (أن الإمام أبا العزائـم راعـي في معظم قصائـده العلاقـات الصوتيـة الموسيقية الناتجـة عن العلاقات بين الأصوات وتناسقها وتلاؤمها مع المعني المناسب لها، هذا بالإضافة لمـا بها من فنون بديعية تقوي الجرس الموسيقي كالسجع والجناس والطباق ورد العجـز علي الصدر.

أمثلـه من القصائـد التي توضح الموسيقي الداخليـة.. قولـه رضي الله عنـه:

التحلـي بالتخلـــي	بعـد محوي لمحلي
وإنفصالي عن فعالـــي	وسروري بالتجلـي
وشهـودي لوجـــودي	إنــه نــور يحلـي
وارتحالي عن عقالـــي	وإنمحا وهمـــي وعقلي

حيث يظهـر في هذه القصيدة حسن التقسيم الذي نتج عنه نغمات موسيقيـة في مساواة اشطار الأبيات وحسن تقسيمها وتنسيق الكلمات مع بعضها، وهذه القصيدة مع أنها مملوءة بالأفكار الصـوفية الفلسفية، إلا أنها يظهر فيها الجرس الموسيقي بوضوح، حيث ظهر الجرس الموسـيقي النــاتج عـن علاقة الألفاظ بالمعاني وما به من فنـون بديعيـة كالسجـع الذي يقوي الجرس الموسيقي.

وأكـدت الرسالة أيضاً (أن أبا العزائـم استطاع في مواجيـده أن يقوي الجرس الموسيقي عن طريق التوزيع الخاص للصوائت والصوامت والنغمـات الموسيقيـة المستعذبـة الناتجـة عن التناسق بين الأصوات والتوزيـع الدقيق لهـا.

٢- الموسيقـي الخارجيـة:

تتمثل الموسيقي الخارجيـة في قصائـد أبي العزائـم في وحـده الوزن ووحدة القافيـة، فأمـا عـن وحـدة القافيـة، فإن أبا العزائـم لم يغير في قافية ما لأي قصيدة في جميـع مواجيـده، فـالالتزام بوحـدة القافية واضـح في كل قصائـده.. وهذا يقوي الموسيقي في قصائـده.

وأما من ناحيـة وحـدة الوزن فقد ألتزم قولـه رضي الله عنـه بوحـدة الوزن في معظـم قصائـده وتساءلت الرسالة إلي أي بحـر من البحور كان يميل الإمام المجـدد في قصائـده.

وكانت الإجابـــة: أن بحور الشعر في الوزن الخاص الذي علي مثاله يجري الناظم والبحــور ستـــة عشـــر.وذكرت الرسالة: أن ابا العزائم في قصائـــده كان يميل للبحـــــر الطويـــل والكامـــل والبســيط والخفيف والوافــر والرمل والمجتث، بينما يقل ميلـــه للبحـــــر المتقـــارب والمديـــد والسريـــع والهـــزج، وينـــدر ميلـــه للبحـــر الرجـــز والمقتصب والمضارع والمتدارك والمنسرح.

فمثلاً قصيدتـــه التائبـــة التي مطلعهـــا:

إلهـــي بمجلي الذات ســـر الحقيقـــة وغيب التجلي من كنـــوز الهويـــة

فهـــي من تام البحـــر الطويـــــل

وقصيدتـــه الهائيـــة:

خذوا من عباراتي ضياء مبانيها فقد تظهرن للعارفين معانيهـــــــا

فهـــي من تام البحـــر الطويـــــل

فثمـــة العديد من قصائـــد أبي العزائـــم علي وزن البحـــر الطويـــل

أمـــا بالنسبة للبحر الكامل فقد كان لأبي العزائم أيضا الكثير من القصائـــد العظيمة مثل:

أهـــل العزائـــم جملوا بالحــــــال كشف وعرفان وخيـــر وصال

فهـــي من تـــام البحـــر الكامـــل

أمـــا البحـــر البسيط كقولـــه رضي الله عنـــه:

يا كوكباً في سما العليـــاء والمجـــد أنواره اشرقت في المطلع الحـــد

أمـــا البحـــر الخفيف كقولـــه رضي الله عنـــه:

كن أضاءت بشمسها الواحديـــة عن معـــان تقدســـت أزليـــة

أمـــا البحـــر الوافـــر كقولـــه رضي الله عنـــه.؟

طهـــور الراح دارت مثنويـــة بلا لبس لأهـــل السابقيـــــــة

أما البحر الرمل كقولـــه رضي الله عنـــه

نشوتـــي من قبل نشأة هيكلـــي حيث كنت النـــور أول أول

أم البحـــر المجتث كقولـــه رضي الله عنـــه

إن كان ذنبي عظيمـــــا فعفوا ربي أعظـــــــــم

فهـــي من مجزوء المجتـــــث

فهـــي البحور السبعـــة السالفة الذكر هي التي ظهـــرت بكثرة في قصائـــدِ أبي العزائـــم

أما باقي البحو فقال مال إليهـــا قليلاً مثل قولـــه رضي الله عنـــــه

يا ابا علي ونجـــل البتـــــــــول وبحـــر العطايا وباب الوصـــول

فهذه من تام المتقارب

وفي البحــر المديــد قولـــه:

في حمـــي بيت العلـــي القادر   يشرق النـــور بمحـــو مظاهـــر

وفي بحـــر الهـــزج قولـــه:

جمال الوجـــه قـــد لاحـــا   وداعـــي الوصـــل قد صاحـــا

خامساً: الأسلـــــــــــوب [1]

الأسلوب هو المعني المصوغ في ألفاظ مولفـــة علي صورة تكون أقرب النيل الغرض المقصـــود مـــن الكلام وأفعل في النفوس سامعيـــه.

وقد ذكرت الرسالة: أن الأساليب قد تعددت في قصائـــد أبي العزائم حسبما يستدعـــي الموقف، فتـــارة يستخدم أسلوب الأمـــر، وتارة يستخدم أسلوب النداء، ومرة أسلوب الاستفهام، ومرة أسلوب الشـــرط، ومرة أسلوب التوكيـــد، ومن أسلوب النفي أو الإيجـــاب.

١-أسلوب الأمـــر.

ظهـر أسلوب الأمـر في قصائـد أبي العزائـم علي أربعـة أنماط:

أ- أمـر موجـه إلي الله ورسولـه وأهل البيت غرضـه الدعـاء والرجاء والمناجاة والتوسل مثـل قوله رضي الله عنــه.

تجلي أيا مذكور الآسـم والقرب   تنزل لنا فضلاً بنورك والحب

ب- أمــر موجــه إلي أخوانــه وأصحابه وأبنائــه ومريديــه غرضــه النصــح والإرشاد والتقوييم مثل قولــه رضي الله عنــه:

وغضوا عن المكروه أعين عفــه   وجودوا ببشر فالسماحــة رونــق

ج- أمــر موجــه للاستعمار وحلفائــه والمفسديــن في الأرض غرضــه الزجــر والبغض مثل قوله:

يا وحش روما تأدب   فلست كســري وقيصــر

- أمــر موجــه إلي الأشياء غيــر الحسيــة (غير العاقلــة)..مثل البحـــر – الصـــحراء – العقل مثل قولــه.

- أشرقي يا شمس في الأفاق   أظهري سراً من الخلاق

هـ - وهناك أمــر غرضــه النهي عن فعل المنكرات مثل قولــه:

ولا تسع للتفريق وإجمــع به لـــه   عليه أولي التسليم إذا أنت واثق ٢-

٢- أساليب النـــداء:

لقــد ظهـــر النداء في قصائــد ابي العزائم في ثلاث صـــور وهي:-

أ- نداء يدل علي الحب وقرب المنادي من قلبه وفكره.. ومن أنواعــه نداؤه لله والرسول ولآل البيت ولإخوانه.. وقد يكون النداء بأدوات النداء (أي – يا – الهمــزة) وقد يكون المنادي مباشرة بدون أداة نـــداء.

ب- نـــداء يدل علي النفـــور والسخريــة والاستهزاء والكراهيــة.

وكان قليلاً في قصائـــده.. مثل ندائـــه لموسولينـــي

يا وحش روما تأدب   فلست كسري وقيصر

جـ - نداء خيالي وفيــه يكون المنادي غير عاقل أو محسوس

كندائـــه للبحر – للنيل – للصحـــرا – للأرض

٣- أساليب الاستفهـــام

كان الأسلوب الاستفهامي في قصائــد أبي العزائـــم يدل علي أغراض متعددة كما يلي:

أ-الاستفهام يدل علي الدهشة والتعجب مثل قولـــه:

من أين هذا العلم والنور الذي أعطيتــه من لحظــة في الحال ؟

ب – استفهام غرضـــه التقريـــر.. مثل قولـــه.

يا أيها الماء المهيـــن من الذي سواكـــا ومن الذي في ظلمه الأحشاء قد والاكا ؟

وقد لجـــأ الإمام ابو العزائم لاستخدام ألفاظ أخري للدلالـــة علي التعجب مثـــل (وي – أية)

مثـــل قولـــه:

وي يا حليـــمه نلت الخيـــر أجمعـــه اصبحت للمصطفي الهادي نعم ظئراً

وقولـــه:

أية يا شرق في قيودك بضع من سنين إذا كنت غفلان نائـــم

ج– استفهام يدل علي الإنكار أو المنـــع.. مثل قولـــه:

أهي المدامـــة هيجت أشواقـــي كلا ولكن حسن وجـــه الساقـــــي

د– استفهام غرضـــه الاستفهام عن الشئ والأخبار عنه.. مثل قولـــه:

أأشرح بالقول الصريح مقامـــي وأفتـــح للأبدال حان مدامـــــــــي

ه–استفهام غرضه إثارة الانتباه والتشويق: مثل قوله

هل رأيت يا روح في البيت غيبا من جمال العالين من غيب قدس

٤- **أساليب الشـــــرط**:

لقد ظهـــر أسلوب الشرط بوضوح في قصائـــد أبي العزائـــم، حيث استخدام أدوات الشرط مثل (إذا – من – إن – لو – لولاً – لما) كما أنه جاء هذا الأسلوب مقرونا بجواب الشرط لكـــي يخبربــــه عـــن الشرط، وهذا يزيـــد الأسلوب وضوحا وإقناعاً كما يلي:

في أداة الشرط (إذا) قال رضي الله عنـــه

إن لاح من قلب ضياء بصيرتـــي تنـــور ناسوتي بأنوار شرعتـــــــي

في أداة الشرط (من) قال رضي الله عنـــه:

من يلذ بجنابك العلم يفـــز بالرضا والخير فضلا واللجيــــــــن

في أداء الشرط (إن) قال رضي الله عنـــه:

أن كان ذنبي عظيمـــا فعفـــو ربي أعظــــــــــــــم

في أداة الشرط (لولاً) قال رضي الله عنـــه

لولا الشريعـــة بينت سبـــل الهـــدي ضلت نفوس في سحيق هواها

في أداء الشرط (لمـــا) قال رضي الله عنـــــه

روحـــي لقد سكرت لما لها ظهـــرت شمس الحقيقة بالأنوار واتضحت

٥- أساليب التوكيـــد:

لقد استخدم أبو العزائم أسلوب التوكيـد في قصائـــده لتأديه المعنـــي ووضوحـــه وتأكيــده علي أنماط مختلفة.

أ- باستخدام أدوات التوكيــد (إن. أن) مثل قولــه رضي الله عنــه.

عجزت عن كبحها مولاي أدركنـــي وزك نفسي فإن النفس تنفعـل

ب- استخدام (قــد) التحقيقيـــة: مثل قولي رضي الله عنــه.

قد وافاتـــي السعـــد لمـــا صـــار عشقـــي فيك يشهـــر

جـــد – باستخدام نون التوكيـــد مثل قولـــه رضي الله عنــــــه

تعطـــي العلو وتشهـــدن فتترجمـــن بلسان أهل القرب والأبـــدال

د- استخدام التوكيـــد اللفظي.. مثل قولـــه رضي الله عنـــه.

لولا ولولاً ولولاً عهـــد وثيق لمولـــــــــــي

هــــ- باستخدام التوكيـــد المعنوي مثل (كل وجميع) في قوله رضي الله عنـــه:

وشعري وجلـــدي والجوارح كلهـــا تسبح مولاها وتشكر موليها

لو أن جرمي ضاق الكون أجمعـــه عنـــه لما يئست من عفوكـــم نفسي

٦- أساليب النفي والإيجـــاب

لقـــد استخدام أبو العزائـــم أسلوب النفي والإيجاب في قصائـــده، لنفي ما هو باطل،وإثبات ما هو حق. ففي النفي يقول رضي الله عنه مستخدماً أداة النفـــي (لا):

لا النـــور يشغلني عنه ويحجبني ولا التجلي ولا أنسي وإغراقي

واستخدام أبو العزائم ألفاظاً أخري دالـــة علي النفي مثل: أبداً – حاشاً – كلا.. مثل قولـــه رضـــي الله عنـــه.

أبدا قلوب العاشقيـــن تعذب وعذابهـــم راح لهم بل أعذب

وقولـــه رضي الله عنـــه:

حاشاً أبوح ولو يلوح بلا حجـــــاب إلا الفرد ذا من هذا الشراب

وفي أسلوب الإيجاب استطاع أبو العزائم أن يتخذ من النفي والاستثناء أسلوباً للإثبات.. كقولـــه رضي الله عنـــه:

ما النار إلآ حبـــة وزفيزهـــــا في باطنـــي من نور آية حسنها

واستخدام أبو العزائم ايضاً الألفاظ الدالة علي الإثبات والإيجاب مثل (نعـــم، بلي).

نعم أنأ خطاء وأنت غفـــور وما في من أي عليه ستـــور

وقـــد أدي أسلوب النفي والإيجاب في مواجيـــد أبي العزائـــم إلي وضوح الأفكار وحسن التعبير وتوكيـــــد المعنـــي.

الرسالة الرابعة

الإمام محمد ماضي أبو العزائم

ودوره في التصوف الإسلامي

مختصر رسالة ماجستير

إعداد الباحث / محمد السيد المليجي

إشراف

أ.د/ عبد الفتاح عبد الفاوي

أستاذ الفلسفة الإسلامية

بكلية دار العلوم – جامعة القاهرة

١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م

التعريف بالرسالة

عــدد صفحـــات الرسالة (٤٩٠ صفحــة)

ابـواب الرسالـة

البـاب الأول: عن حياة الإمام أبي العزائــم وعصره ويتكون من فصليــن.

الفصل الأول : الجوانب التاريخية والحضارية من حياة الإمام أبي العزائم رضي الله عنه

الفصل الثانــي: شيوخ الإمام ابي العزائــم ومؤلفاتــه واتجاهــه الفكــري.

الباب الثانـــي: الحب الإلهــي

الفصل الأول: بدايـــات الطريق الصوفي عند الإمـــام ابي العزائم رضي الله عنـــه

الفصل الثاني: المقامـــات والأحوال

الفصل الثالث: ثمرات المنهج عند الإمام ابي العزائم رضي الله عنـــه

الباب الثالث: عن دور الإمـــام أبي العزائـــم في التصوف لأدعياء ويتكون من فصلين

الفصل الأول: نقـــد الإمـــام أبي العزائـــم الأدعيـــاء التصرف.

الفصل الثاني: الإصلاح عند الإمام أبي العزائم رضي الله عنـــه

خاتمـــة

البــاب الأول

حياة الإمــام أبــى العزائــم وعصـره

الفصل الأول

الجوانب التاريخيـة والحضاريـة

من حيـاة الإمام أي العزائـم رضي اللّه عنـه

أولاً: الحياة السياسيـة: [1]

لحق الإمام أبو العزائم بالثلث الأخير من القرن التاسع عشر وعاش حتى مشارف نهاية الثلاثينيات من القرن العشرين، وحدث ما بين مولـد وانتقاله رضي الله عنـه العديد من الأحدث السياسية التي غيرت مجري الحياة في مصر، بل والعالم أجمـع.

ومن أهـم هذه الأحداث التي أدركها في هذه الفتـرة:

الاحتلال الإنجليزي لمصر عام ١٨٨٢م وقوع الحرب العالمية الأولي ١٩١٤م -١٩١٨م وقوع الثورة العرابية – ظهور مصطفي كامل ومقاومته للاحتلال – انفجار ثورة الشعب المصري ضد الاحتلال بقيادة سعـد زغلول ١٩١٩م – إلغاء كمال أتاتورك الخلافة الإسلامية في تركيا عام ١٩٢٤م وفي هذا المناخ عاش وتربي الإمام أبو العزائم رضي الله عنـه، وكان له الدور البارز في جل هذه الأحداث.

ثانياً: ملامـح الحياة الاجتماعيـة [2]

كانت الدول العثمانية مثقلة بمشاكها الداخلية والخارجية خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر: وكانت المشاكل سياسية واقتصادية وعسكرية تمثلت في ضعف المركز المالي للدولة ورهن مواردها للدائنين الأوربين، وثورات شعوب البلقان، وتسلط الدول الأوربية الكبري.

كما كان هناك مشكلة الإصلاح الدستوري وهي من أهـم المسائـل التي شغلت الأذهان.

وكان يوجـد في تلك الفترة مجموعة من دعاة الإصلاح ومنهم: جمال الدين الأفغاني: محمد عبده – رشيـد رضا – عبد الرحمن الكواكبـي

ويتبين من خلال تلك الفترة أن الحالة الاجتماعية كان متردية وتحتاج إلي من يصحح مسارها، وكان للإمام أبي الغزائـم رضي الله عنـه دور في ذلك.

([1]) راجع ص ٢ من الرسالة.

([2]) راجع ص ٢ من الرسالة.

ثالثاً: الحركة العلميـة والثقافيـة:[1]

أمتاز تاريــخ مصــر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بنهضــة شاملة كان قوامها التوسع في نشر التعليم الحديث، وما يتصل به من مقومات الحياة الحديثة وكان من مظاهــر هذه النهضــة العلمية: إنشاء جمعيات عملت علي نشر التعليم، ظهور الصحف وانتشارها.. وقد أسهــم ابو العزائــم في هذا المجال أيضــاً.

حيـاة الإمـام أبـي العزائـم رضي اللّه عنــه

*مولــده رضي الله عنــه

كان مولــده رضي الله عنه في ليلة السابع والعشرين من شهــر رجب الفرد عام ١٢٨٦هـ الموافق ١٨٦٩/١١/٢٤م وكان ذلك أثناء زيارة والديــه للمسجــد المعروف برشيــد (مسجد سيدي زغلــول) القريب من محلــه أبو علي وهي القريــة التي كانت تقطنها أسرة الإمام أبي العزائــم وهــي من أعمال دسوق من بلاد مصر.

حياته ونشأتـه رضي اللّه عنـه [1]

مرت حياة الإمام أبي العزائم رضي الله عنه بثلاث مراحل لكل منها خصائصها ومقوماتها وهي

أولاً: دور النشأة وتلقـــي العلـــم

ثانياً: دور التعليم والعمل في الوظائف الحكوميـــة

ثالثاً: مرحلة التفرغ للدعوة وتربية المريديـــن وإملاء الكتب.

أولاً: دور النشـأة وتلقي العلـم [2]

اتسمت هذه المرحلة بحفظـــه رضي الله عنـــه للقرآن الكريـــم، ودارسة مبادئ العلـــوم الدينية واللغويـــة.

حيث درس علي يد الشيخ عبد الرحمن عبد الغفار كتاب " أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك " وقسم العبادات من الموطأ، ومن علم التوحيـــد متن السنوسيـــة، وكتاب الشفاء للقاضي عياض، ومن الحديث المختصر للإمام الزبيدي، ومن النحـــو الأجروميـــة والألفية، وسيرة النبي صلي الله عليه وسلم لأبن هشام، وقوت القلوب لأبي طالب المكـــي.

كما درس الفقه علي يـــد الشيخ محمـــد الخطيب. ودرس إحياء علوم الدين للغزالي علي يدي والده السيد عبدالله المحجـــوب.

ثانياً: مرحلة استكمال التعليم والعمل في الوظائف الحكومية:

وفيها التحق الإمام أبو العزائم بالأزهـر الشريف ثم دار العلوم.. والتقي فيها الإمام أبو العزائم بالشيخ حسن الطويل أستاذ علم التوحيد، والشيخ حسنين الحصافي شيخ الطريقة الحصافية الشاذلية حيث كان يقضي الكثير من أوقاته معها.

كذلك التقي في هذه المرحلة بعدد من القادة وزعما الإصلاح من أمثال: سعد زغلول – عبد العزيز جاويش – محمد عبده.

وبعد تخرجه رضي الله من دار العلوم عمل مدرساً بالمنيا في أوائل سنة ١٣١١هـ – ١٨٩٤م حيث أنس فيها بإخوان تلقوا عنه دروس مذهب مالك وعلوم الأخلاق والتوحيد – ثم انتقل إلي الإبراهيمية شرقية وفيها ظفر بإخوان أحسنوا الإصغاء والقبول، ثم أنتقل رضي الله عنه إلي سواكن بالسودان وفيها قرأ البخاري لعلمائها وقسم العبادات من الموطأ، وصار له أخوان يحسنون الاقتداء، والفهم في علوم الحكمة.

ثم أنتقل إلي حلفاً ثم إلي أم درمان بالسودان ثم أنتقل إلي الخرطوم أستاذا للشريعة الإسلامية بكلية غوردون.

ثالثاً: مرحل التفرغ للدعوة والجهاد والتربية (1)

عاد الإمام أبو العزائم رضي الله عنه من السودان إلي مصر بعد أن أقصاه الحاكم الإنجليزي في أول أغسطس ١٩١٥ وذلك لدروسه وفتاويه التي كانت حرباً علي الاستعمار وأعوانه.

وفي مصر بدأ الإمام أبو العزائم رضي الله عنه مرحلة جديدة في سبيل الدعوة وفي سبيل تحرير بلاده من الاحتلال الإنجليزي.

فإلف الكتب التي تبين النهج السديد في الدعوة، وأصدر المجلات التي تلهب الشعور الوطني ضد الاستعمار وشارك في كافة القضاياً الإسلامية والسياسية وعمل علي تربية كثير من الأتباع والمريدين حتى انتقل إلي الرفيق الأعلى في السابع والعشرين من شهر رجل سنة ١٣٥٦هـ – الموافق الثالث من أكتوبر ١٩٣٧م.

أسمه ونسبه (2)

اسمه السيد محمد وأسم أبيه السيد عبد الله المحجوب الذي ينتهي نسبه إلي الإمام الحسين عليه السلام أما نسبه من جهة والدته، فهو أبن السيدة أمنه المهدية التي ينتهي نسبها إلي الإمام الحسين عليه السلام.

وهو بذلك حسين من جهة والدة، وحسني من جهة والدته.

(1) ***الأمام أبو العزائم وقضايا عصره***

أولا: موقف الإمام أبي العزائم من الحياة الإجتماعية:

قام الإمام أبو العزائــم رضي الله عنه بدو بارز تجاه أهــم الأمور والقضايا التي تتكون منها الحياة الاجتماعيــة وهــي.

(١) دوره في الدعــوة إلي الله تعالي

(٢) دوره في العلم والتعليــم

(٣) موقفه من قضيــة المــــــرأة

(٤) موقفه من الأداب والفنون

(٥) رؤيتــه في كيفية النهوض بالمجتمع الإسلامي

وتفصل ذلك كما يلي:-

(١) دور الإمام أبي العزائم في الدعوة إلي الله تعالي [3]

إن واقع الحال يشهــد أن تأسيس الإمام أبي العزائم رضي الله عنه لجماعة آل العزائــم، إنما كان يستهدف إعداد جيل من الدعاة الواعييــن المسلحين بالعلم الكامل والمعرفة الحقه بالإسلام عقيــد وشريعــة وأدابا وسلوكاً.. ومن ثم كانت وسيلته في ذلك حلقات العلم في جماعتــه يأخذون فيها عن وعن المرشديــن الذين رباهــم.

وقد أدي هذا المنهج الذي سار عليه الإمام أبو العزائم رضي الله عنه وحث عليه تلاميذ من بعده إلي اتساع رقعه الأتباع وتواجــدهم في معظــم مدن وقري مصر، بل تعدي الأمر إلي خارج مصر أيضاً، حي يوجــد له أتباع وتلاميذ في السودان.

وينقسم الدعاة عند الإمام أبي العزائــم رضي الله عنه إلي أربعــة أنواع:-

أ- الوعاظ

ب- النسال

جـ - خطباء المنابــر

ء - الزهــاد

وقد وضع الإمام أبو العزائم رضي الله عنــه الدعاة أداباً عامــة يري أن يأخذوا بها اثناء دعوتهــم الخلق إلي الله تعالي، ومن هذه الآداب.

- الحرص علي عباد الله من أن يقع أحــدهم فيما يغضب الله.
- الرأفــة والرحمــة بالمؤمنيــن
- الغضب لله والرضا للــه
- الحب في الله والبغض في الله
- ليــن الجانـــــــــب
- الخلق العظيــــــــــم
- الإحسان إلي المســـئ
- تأليف النافر وصلــة القاطع
- ترك الجــدل مرة واحدة
- البعد عن نية السوء وقصــد الشر والعــزم عليــه.
- الزهــد فيما في أيدي الناس، وبذل ما في اليــد لهــم تألفاً لهـــم
- الشفقــة علي الناس والاجتهاد في رفع المصائب عنهم وتخفيف الأمهــم

وهذه الآداب التي ذكرها الإمام أبو العزائم تدلنا علي معرفتــه بما جاء عن الرسول صلي الله عليه وسلم و صحابته والتابعين في آداب الدعوة كما تظهر مدي علمــه وتحققه بالوسائل والأدوات التي تساعــد الداعي علي النجــاح في دعوتــه، كما يتبين لنا أن الإمام رضي الله عنــه كان علي علم بطبائع النفوس وعلي وعي كامل بالدور الذي يقوم به الدعـــــاة.

(٢) دور الإمــام أبي العزائـم في العلم والتعليــم [1] :

لعل أبرز ما يدل علي دور الإمام أبي العزائــم في العلم، تلك الآثار العلمية التي تتسع لكثير من العلوم الدينيــة والفكــر الدينـــي.

فمن هذه الآثار ما يتعرض للعبادات، وبعضها يتناول المعاملات والبعض الآخر يناقش قضايا التصوف وبعض الفرق الإسلامية الأخرى.

كما اشتملت هذه الآثار علي مؤلفات تعالج القضايا الإسلامية وتقدم العلاج الناجع لشفائها.

ودور الإمام أبي العزائم في العمل والتعليم يبرز في تحديده آداباً للعلماء والمتعلمين أما آداب العلام التي يري أن يتحلي بها كل عالم فهـــي:

التواضع لله ورسوله – الحلم والأناة – إخفاء الحكمة إلا عن أهلها – السكينة والرحمة – العمل بالعلم – الحكم بالعلم لا بالهوى – سد باب الفتن وقد بين كل واحــدة منها بصورة تعين القارئ علي العمل والتطبيق.

أما آداب الطالبين للعلــم، فيري رضي الله عنه أنه ممثلة في مصاحبة أهل العلم، وعلى هؤلاء أن يعلموا حق العلم أن العلماء تصحب لثلاثــة أمــور:

- المحافظة علي تحصيل علومه وفهمها فهماً حقيقياً يطمئن بــه القلب.
- التشبــه بالعلماء الروحانيين في أساليب عباراتهــم وطرق تعليمهم وفنون استدلالاتهم وجميل أخلاقهــم ولطيف سمتهم وظريف هديهــم حتى يكون نسخــة كاملة طبق الأصل
- العمل بما علمه من غير تأن، ولو كان في العمل عناء لنفسه، أو ضياع لماله، أو فقد لعضو من أعضائــه.
- وكان من بين الدور الذي قام به الإمام أبي العزائم في العلم، نظراتــه التقويميــة التي شملت المعلم والجهات المختصــة بالتعليــم.

فيـــري رضي الله عنه أن المعاهــد التي تخرج المعلم قد أهملت في اختبار المعلمين في أخلاقهــم وآدابهــم وفضائلهم، واكتفوا بورقة تعطي من معهــد من معاهــد العلوم تشهد

لحاملها بالتحصيل، فتكون تلك الورقة التي هي شهادة من أفراد لا يتجاوز عددهـم أربعـة أشخاص أجلسوه أمامهـم دقائق وطرحوا عليه مسائل بعد أن استحضرها وحصلها، فأجابهم عليها، فشهدوا له بالتحصيل، ولا يهمهم أمر آدابـه وفضائلـه وأخلاقـه وآرائـه وعقيدتـه وكمالاتـه النفسيـة.

ويعـد من أشار إليه الإمام أبو العزائم في هذه الموضوع قضيـة هامة يعاني منها التعليم الآن في مصر والعالم الإسلامـي.

(٣) موقف الإمام أبي العزائم من قضيـة المرآة [١]:

تعهـد الإمام أبو العزائـم المرآة المسلمة وأنصفها حين حدد لها معالم الدور الذي يجوز لها القيام بـه.. دون أن يقلل ذلك من مكانتها شيئـاً.

وتتمثل هذه المعالم في الآتـي:-

(أ) العلـوم التي تتعلمهـا المـــرآة .

(ب) الفنـون التي يجـب أن تلم بهـا .

(جـ) الآداب الواجـب معرفتهـا .

(ء) الأخـلاق التي تتربـي عليهـا .

أما العلوم التي استحسن الإمام أبي العزائـم للمرأة تعلمها: فمبدؤهـا الإيمان، ثم تحفظ ما لا بد منـه من القرآن. خصوصاً الآيات التي تتعلق بالعفة والأمانـة وأركان الإسلام من صلاة وصيام أولاً، والزكاة والحج عند تعيينها عليها كما يري أن تقرأ كتاب الأدب من السنـة، مع تفصيل باب المعاشرة، ومعاملة الجيران والأرحام والأقارب، وبعض الأخلاق من الرحمة والشفقة علي الخلق والبر والصلـة.

كما يستحسن للمرأة أن تتعلم أحكام الحيض والاستحاضة واليمين بالله والطلاق وكتاب العورات، وعلم من يحل لها أن تبدي زينتها أو يحـر عليها، ففي ذلك كمال لهـا.

ولو أخذت المرآة شيئا من علم اللسان يجعلها تميـز بين الفاعل والمفعول، أو قرأت حديثاً لا تلحن فيـه كان ذلك من الفضائـل.

أمـا عن الفنـون التي أقرهـا الإمام أبو العزئـم للمرأة فتمكن في: (أن تتعلم كيف تنظف جسمها وتتعود علي ذلك من الصغـر، وتنظف حجرتها فمنزلها، ولا يكون ذلك إلا بالتعليـم.

ثم تتعلم الفنون اليدويـة في صغرها، وتتقن العزل والنسيـج وتفصيل الملابس والخياطـة والتطريـر.

وكذلك في تنظيم حجرة النوم وحجرة الاستقبال وتنسيق الأثاث، وتتولي تركيب الأغذية وصناعتها حتي تحسن الأنواع التي تستعمل بين الطبقات فإذا حصلت تلك الفنون تتلقي فن قانون الصحـــة خصوصاً فيما يتعلق بالنظافة والرياضة البدنية والاحتياطيات التي تعمل عند الحاجة للمرض. ثم تتعلم فن عمل المربات وحفظ الأطعمـــة وتربيـــة الأزهـــار.

أمـا عن جانب الآداب: التي يري أن تتعلمها المرآة: (فتعلم كيف تطيع زوجها، وكيف تحفظ عرضها، وتعاشر أقارب زوجها، وتتعلم الاقتصاد في اللبس والزينـــة والحلي والأكل والشرب إذا انتقلت إلي بيت زوجهـــا.

وف لفتـــة طيبـــة طالب أبو العزائـــم رضي الله عنـــه المرأة أن تمارس الرياضة البدنية وأن تكون رياضتها البدنيـــة في أوقات فراغهـــا بتنظيف الحجر وترتيب الأدوات.

كما تتعلم آداب المجالســـة، وآداب المعاشرة، وآداب السلوك في السفر والحضر).

وأما قوله رضي الله عنه عن الأخلاق التي تتعلمها المرآة فيري أن تتعلم النفور من كل أجنبي لا يعنيها التكلم معـــه، والوحشـــة من كل رجل يتعرض لها إلا لحاجة شرعيـــة، والغيرة علي كل عضو من أعضائها أن يراه غير زوجهـــا أو محرمهـــا، حتى يكون مصونـــة عفيفـــة:

ومما تقدم يتبين لنا إن الإمام أبا العزائم رضي الله عنـــه – من خلال ما قدمـــه للمرأة – أقرب من غيره في توجيـــه المرأة نحو حياة صحيحة تقوم علي أسس علمية راسخـــة، تدفع بها إلي أن تؤدي دوراً إيجابياً في المجتمـــع.

(٤) موقف الإمام أبي العزائم من الآداب والعلوم الحديثة [1] :

أما عن الآداب فقد تنوع الإمام أبي العزائم فيها من قصائد ونثر، والأديب عند الإمام أبي العزائم ليس من يحفظ الشعر أو يقول به، إنما الأديب من يتحلى بالفضائل المحمدية من الشجاعة والعفة والعفو والسخاء والعدل.

ومن ينظر في مواجيد الإمام أبي العزائم لن يجد ألا آداباً وقيماً تحاول أن تغزو قلبه وعقله لتحثه علي العلم بها.

حيث يقول رضي الله عنه في إحدي قصائده.

أغني فيصغي للأغاني فتي صب
دعاه إلي نيل في الصفا الرب

أغني بألحان الصبابة ناشراً
معاني إسراء بها أشرق القلب

بمحبوبه أسري إلي القدس راقيا
فشاهد غيب الغيب والظاهر الحب

حبيبي تحناتي إلي حظو الرضا
أنلني وصالاً منك يحلو به القرب

فالغناء عنده رضي الله عنه – كما يبدو في الأبيات – ليس غناء يدعو إلي الخروج عن الآداب والقيم، وإنما غناء الوجد في قلب المريد فيشرق به قلبه.

وجاء النثر عند الإمام أبي العزائم يماثل وظيفة القصائد التي سبق الإشارة إليها وقد قصد رضي الله عنه بهذا التنويع بين المواجيد والنثر تنويع الدواء بما يتناسب الصفاء، ويقصد بذلك تغيير وتجديد شكل الدواء الذي يسقبه لمرضي النفوس حتي لا تأنف ولا تمل فتقبل عليه وتأخذ منه فكتب الإمام أبو العزائم مسرحية واحدة هي (محكمة الصلح الكبري) وهي تدعو إلي الصلح بين ملكات النفس المختلفة وذلك عن طريق حوار فني يقوم علي العقل والمنطق، فيصبح الإنسان سوياً وليس بداخله اضطرابات بين قوى نفسه المختلفة، وبذلك يستطيع أن يقدم للمجتمع ما يسعد به. كما تدعو مجموعة القصص القصيرة التي حواها كتابة دروس في قصص – إلي مثل ما تدعو إليه محكمة الصلح الكبرى.

ويمكن لمسرحيـــة (محكمـــة الصلح الكبري) أن تقدم علي المسرح وهنا يتجســد دور الإمام أبي العزائــم في الفنـــون.

فالفن عنــد الإمام أبي العزائــم هدف تربوي إصلاحي يستفيــد منـــه الفرد والمجتمع، ولذلك فإنـــه لا يري للمسرح والسينما والتمثيل علي اختلاف أنواعها، نصيب كبير في الإصلاح لأنه يري أنها وسيلة عصرية ملائمـــة لرقي الأمم ونهضـــة الشعوب لو أحسن توجيههـــا.

ويبين من وقف الإمام أبي العزائم من الآداب والفنون، رغبتــه الملحـــة في استخدام وتكريس لكل أمر لخدمـــة الإسلام ونشر دعوتـــه وخاصة بعــد أن يهذب هذا الأمر ويصبح مهيئـــاً لدخولـــه في الإسلام لاحتوائه والاستفادة منـــه.

(٥) رؤيـة الإمام أبي العزائـم في كيفيـة النهوض بالمجتمـع [1]

لم يكتف الإمام أبو العزائم بتشخيص الداءات التي نالت من المجتمع الإسلامي والأمة الأسلامية، وإنما أسهــم في تقديم أمصال تقي المجتمع والأمـــة من غزو الطفيليات المستمرة عليها، ومن ثم يستطيع كل منهما – المجتمع الإسلامي والأمـــة الإسلاميـــة – القضاء علي الضعف الذي حل بهما واستكمال الجوانب الحضاريـــة التي أمدهما بهـــا الإسلام.

ويري الإمـــام أبو العزائـــم رضي الله عنـــه أن الأسباب التي حالت دون تقــدم الشعوب الإسلاميـــة وهـــي:

أ- تهـــاون الحكـــام بأحكـــام الديـــن.

ب- ترك الحكـــام إقامـــة الحـــــــدود

جــ – رغبـــة العامـــة فيما يفنـــــــي.

كما وضع الإمـــام أبو العزائـــم عوامـــل يري أنهـــا تستطيـــع أن تعبــد للمجتمع الإسلامي وجهـــة الحضاري وهـــي:

(١) أن تكون اللغـــة التي يتفاهـــم بهـــا جميع المسلمين مع بعضهـــم بعضا أو مع غيرهـــم هي لغـــة القرآن والسنـــة.

(٢) أن يجتمع جميع المسلمين علي إمام واحــد يكون هو خليفـــة رســول الله صلي الله وسلم ويكون أكمل شبهاً بـــه ويجمـــع عليـــه الناس سواء كأن غربياً أو أعجمياً.

(٣) أن تقام حــدود الله، بعنـــي أن يكون العمـــل بالكتـــاب والسنـــة.

(٤) أن تكون تربية المسلمين مؤسســة علي التربية الدينيــة، بحيث يكون التعليم أولاً قاصراً علي تعليم الإيمان ثم القرآن، ثم يكون تعليم الصناعات والزراعــة أو التجارة، أو تعليم فنــون الجهــاد وتدبيــر المدن أو سياســة المجتمعــات.

ثانياً: دور الإمام أبي العزائم في المجال السياسي

لقــد تمثل دور الإمام أبي العزائــم رضي الله عنــه في هذا المجال في خمســة اتجاهات هــي

١- دوره ضــد الاستعمـــــــــار .

٢- دوره في الخلافــة الإسلاميــة .

٣- دوره في الوحــدة الإسلاميــة .

٤- دوره في فلسطيـــــــــــن.

٥- دور في الســـــــــــودان.

(١) دوره ضــــد الاستعمــــار [1]

ومما يوضــح دور الإمــام أبي العزائــم رضي الله عنــه في مناهضته للاستعمار.. مسانــدتــه للزعماء السياسيين الذين كانوا يطالبون بالحريــة والاستقلال، ومن هؤلاء سعــد زغلول وعلي شعراوي وعبد العزيز جاويش وغيرهــم.

وكان الإمام أبو العزائم دائــم النصــح للزعمــاء من خلال خطاباتــه ورسائله، فقد جاء في خطاب أرسلــه إلي سعــد زغلول قولــه: إنا لنعلم منك الإقــدام في وقت الفــزع، والتمسك بمعالي الأمــور، والغيرة للحق، ونعلم أن الأمــة تحققت ذلك عن يقين، وإنك يا دولة الرئيس تعتقــد أن كل مصري حريص أن يعيش حراً مستقلا، وقد ضحي في سبيل ذلك بالنفس والمال والولــد).

كما كان للإمام أبي العزائم رضي الله عنــه مطبعتــه الخاصة التي أطلق عليها أسم (المدينــة المنورة) تطبع له المنشورات السياسية التي يكتبها الثوار السياسيــون.. والتي تنــدد بالاستعمار. كما غنيت هذه المطبعــة بطبع مؤلفاتــه التي يظهــر فيها عداءه للاستعمار ومن هذه المؤلفات كتابة (الجهــاد) وكتاب (الإسلام وطن) وكتاب (الإسلام نسب).

ودام هذا الجهــاد ضــد الاستعمار، حتي استشعر الإنجليزيــة وأدركو خطرة فقبضوا عليه مرتين في عام واحــد، فكانت المرة الأولي في من ربيع الأول عام ١٣٣٨هــ - ١٩٩٩م وأما الثانيــة فكانت في ١١١٠،١٧ من رمضان من نفس العــام.

ولم يقف دور الإمام أبي العزائـم ضـد الاستعمار عند وطنـه ومسقط رأسه، بل ترجـم نظريتـه إلي تبين أن الإسلام نسب وأن الإسلام وطن والمسلمون جميعاً أهلـه إلي عمل حقيقي.. حيث كان له الدور المؤثـر عنـد شعوب وزعمـا الدول الإسلاميـة.

ومن هؤلاء الزعمـاء الذي أمنوا باتجاهات الإمام أبي العزائم وتأثروا بها.. الزعيـم لتونسي عبد العز الثعالبي، والسيد أحـد الشريف السنوسي الذي استضافـه الإمام أبو العزائم في داره، وكذلك زعماء جاكرتا، كما أمتـد دور الإمام أبي العزائم السياسي ضـد الاستعمار إلي كل من الجزائـر والمغرب والعراق وفلسطيـن وغيرها وهذا يشير إلي أن الإمام أبا العزائم فهـم قضية الاستعمار علي أنها احتلال لبلدان إسلامية وشعوب تديـن بالإسلام.. ومن هنا فقد جاء دوره واسـع النطـاق.

(٢) دور الإمام أبي العزئم عند سقوط الخلافة الإسلامية [1]

كان لإلغاء الخلافـة الإسلامية في ٢ مارس ١٩٢٤م، دوي شديد في مصر والعالم الإسلامي.. ودعا الإمام رضي الله عنـه إلي عقـد مؤتمر في داره لبحث هذه المسالة.. ودعا الإمام رضي الله عنـه.. رجال الصحف ووكالات الأنباء العالمية والمحلية. واستمر الاجتماع الذي عقـد في ٢٠ مارس ١٩٢٤ إلي فجـر اليوم التالي، وتم انتخاب الإمام أبو العزائـم. رئيساً لجماعـة الخلافة الإسلامية بوادي النيل التي تعمل علي عودة نظام الخلافة الإسلامية وبعدهـا لم يترك الإمام أبو العزائم رضي الله عنـه بلداً وألا قطراً فيه مسلمون إلا واتصل بها مبيناً أهيمـة مقام الخلافة الإسلامية بالنسبة للإسلام والمسلمين.. ودعا الإمام أبو العزائم إلي عقد مؤتمـر إسلامي عالمي لمناقشـة هذا الغرض. حيث عقـد في مكـة في التاسع من يونيو عام ١٩٢٦م وقد مثل الشعب المصري في هذا المؤتمـر الإمام أبو العزائم والوفـد المرافق له، وقد تقدمت جماع الإسلامية بمصر والتي يرأسها الإمام أبو العزائم بعدة مقترحات تخدم الغرض من أنعقـاد المؤتمـر وهـي: -

أ- أن يتم التعارف بين أعضاء الوفـود الإسلامية المشاركـة في المؤتمر، لتوحيـد الكلمـة وتحقيق قولـه تعالي (إنما المؤمنـون أخـوة).

ب- السعي في تقديـم شئون المسلميـن في العالم اجتماعياً وأدبياً واقتصادياً.

جـ - النظـر في توطيـد الأمن في الأراضي المقدسـة.

ء- أن يكون انعقاد المؤتمـــر في مكـــه كل عـــام في موســـم الحـــج، فإذا تعذر ذلك فيكون في بلد مستقـــل.

(٣) دور الإمـام أبي العزائـم في الوحـدة الإسلاميـة: [1]

كان الإمام أبو العزائـــم علي يقيـــن بكل ما يحاك للعالم الإسلامـــي من مؤامرت، وكان يري أن الصليبين إذا كانوا أخفقوا منذ العصور الأولي للإسلام في الاستيلاء علي فلسطين، محتجيـــن ببيت المقدس كعلـــة، إلا أنهم قد أفادوا من الدروس ما يجعلهـــم يتفادون الهزيمـــة.. ولقد نبـــه الإمام أبو العزائم إلي أن أخطر المخاطر علي الوطن الإسلامي، أنما يكمن في تحالف الاستعمار مع اليهودية العالمية.. وأن مواجهـــة هذا التحالف تكون باتحاد العالم الإسلامي ووقوفـــه صفاً واحداً تجاه المؤامرات التي تدبر له. ومن هنا فقد تجســـد دوره في اتصالاته المكثفـــة بالزعماء والملوك المسلمين والعرب وحثهـــم علي الوحـــدة والاعتصام والتصدي للجراثيـــم التي أصابت وحدتهـــم.. فجعلتهـــم شيعاً وجماعـــات.

كما تجســـد دوره في جملة المؤلفات التي تبين للمسلمين وزعمائهم أن الوطن هو الإسلام.. وأن المجـــد السالف لن يعود إلا بالإسلام.. ومن هذه الكتب: الإسلام وطن – الإسلام نسب – الإسلام دين – الشفاء من مرض التفرقـــة – الجهـــاد –الفرقة الناجيـــة – فقد أوضحت هذه الكتب معالـــم الحضارة في الإسلام، ومهـــدت الطريق لعـــودة نظام إسلامي صحيح.

ولقـــد حدد الإمام أبو العزائـــم العوامـــل التي أدت إلي الفرقـــة بين المسلمين،وأشار إلي دعاة التفرقـــة في الأمـــة الإسلامية وهـــم:-

أ- علماء الدنيـــا الجهلاء بالآخـــرة
ب- دعـــاة الجهالـــــــة.
جـــ- ولاة الســـــــــــوء
ء – عبيـــد المـــــــــادة

وأشار رضي الله عنـــه إلي أن أعمال دعـــاة التفرقـــة أدت إلي ما يلي:

- تفرقـــة المجتمع الإسلامـــي حتى أصبح المسلون شيعاً .
- الاستهانـــة بالكتاب والسنـــة والعمل بغيـــر الحـــــق .
- المسارعـــة إلي أعـــداء الله نصـــــرة للنفس علي الحـــق.

وبعـــد أن بين الإمام أبو العزائم التي أدت إلي

وبعد أن بين الإمام أبو العزائم العوامل التي أدت إلي تفريق المسلمين وضعفهم وما ترتب على ذلك من نتائج..قدم الحل الإسلامي الذي يكفل عودة المجد الإسلامي والوحدة الإســـلامية..فقـــد

وضع أسساً أو أخذت بها الحكومات في البلاد الإسلامية ، لقادتها إلي مجد إسلامها التليد ، وهذه الأسس هي:

أ- أن تكون اللغة التي يتفاهم بها جميع المسلمين بعضهم بعضاً أو مع غيرهم هي لغة القرآن والسنة (اللغة العربية).

ب- أن يجتمع جميع المسلمين على إمام واحد يكون هو خليفة رسول الله صلي عليه وسلم.

جـ - ان تقام حدود الله بمعني أن يكون العمل بكتاب الله وسنة رسول الله.

ء - أن تكون تربية المسلمين مؤسسة على التربية الدينية ، بحيث يكون التعليم أولاً قاصراً على تعليم الإيمان ثم القرآن ، ثم يكون تعليم الصناعات أو الزراعة او التجارة.

(٤) دور الإمام أبي العزائم في قضية فلسطين (ددد):

منذ فجر القرن ، وقبل أن تأخذ مشكلة فلسطين الشكل الذي اتخذته بعد وعد بلفور.. كان الإمام أبو العزائم يستشعر بما سيؤول إليه الامر في فلسطين فكان يبعث بالرسائل إلي الملوك والرؤساء العرب والمسلمين وإلي الصحافة المصرية يكشف لهم عن نوايا الصهيونية في إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين.

وكان يقول لهم: (إن ما تتعرض له فلسطين اليوم ، ما هو إلا بداية لما يتعرض له الوطن الإسلامي والعربي كله).

ولما قامت ثورتان في فلسطين عامي ١٩٢٠م ١٩٢١م خاطب الإمام أبو العزائم زعماء العرب وزعماء الدول الإسلامية أن يقفوا بجوار الشعب الفلسطيني وعندما علم الإمام أبو العزائم أن بعض أبناء الشعب الفلسطيني أغرتهم الأسعار الخيالية التي يقدمها اليهود ثمناً لأراضي فلسطين ، اصدر فتواه الشهيرة تحت عنوان: (تحذير الدين من بيع أراضي فلسطين). ونشرها على صفحات الجرائد الوطنية بالإضافة إلي مجلاته التي كان يصدرها ، كما بعث بها إلي قادة الفكر والزعماء السياسيين ومؤداها: (أن من باع شبراً يملكه من أرض فلسطين فقد خرج بذلك عن دين الإسلام ، ودخل في دين الكفار ، مع ما يترتب على ذلك من أثار أسرية واجتماعية وقانونية).

وكان الإمام أبو العزائم رضي الله عنه على اتصال مستمر بزعماء وقادة الشعب الفلسطيني فقد بارك ثورة المجاهد الوطني الكبير عز الدين القسام ، الذي قاد أعظم ثورة في تاريخ فلسطين.

(٥) دور الإمام أبي العزائم في السودان [1]:

---

(١) راجع ص ٩٧ من الرسالة

أمضي الغمام أبو العزائم رضي الله عنه في السودان قرابة خمسة عشر عاماً ، ربـي أثناءهـا جيلا من خيرة شباب السودان ، ممن كانوا يحضرون دروس الحكمة في المساجد ، وممن كانوا يتلقون العلم على يديه في جامعة غوردون. ومما تجدر الإشارة إليه أن زعماء الثورات الوطنية في السودان كان أغلبهم من تلاميذ الإمام أبي العزائم ، الذين تربوا على يديه ، ونهجوا نهجـه في الجهاد فكان زعيم جمعية اللواء الأبيض على عبد اللطيف تلميذا للإمام أبـي العـزائم منـذ حداثة سنه و كما كان زملاؤه حسن فضل المولي ، ثابت عبد الرحيم ، عبد الفضل ألماظ ممـن تخرجوا على يدي الإمام في كلية غوردون. وقد حوكموا جميعاً أمام محاكم خاصة.

وظل الإمام أبو العزائم يستنهض عزائم طلابه ومريديه من أبنـاء السـودان ضـد الاسـتعمار الإنجليزي ، حتى أدرك الإنجليز خطورته عليهم ، فقرروا إقصاءه عـن التـدريس فـي كليـة غوردون وذلك في أول أغسطس ١٩١٥ م

وإن الدور الذي قام به الإمام أبو العزائم رضي الله عنه في السودان يؤكد أن الإسلام كان وطناً له رضي الله عنه ، وذلك لأنه يعتبر أن الإسلام هو الدين والنسب والوطن الذي يـؤاخي بـين أهله دون النظر إلي جنسياتهم وأوطانهم.

الفصل الثاني

مؤلفات الإمام المجدد

أبي العزائم واتجاهه الفكري [1]

أولاً: ثقافة الإمام أبي العزائم رضي الله عنه:

يمكن القول أن الإمام أبا العزائم كان ذا ثقافة دينية واسعة ، تشمل الفقه والتفسير ، والعلم بأخبار السلف من الصحابة والتابعين ومعرفة السيرة النبوية والغزوات التي غزاها رسول الله صلي الله عليه وسلم.. كذلك يتضح من آثاره العلمية أنه رضي الله عنه على دراية بالآراء الكلامية.. كما وسعت ثقافته جل ما جاء في التوراة والإنجيل ، بل كانت له صداقة مع بعض علماء مقارنة الأديان وهو الشيخ رحمة الله الهندي.

وقد بث الإمام أبو العزائم هذا الشغف بالعمل إلي تلاميذه وأتباعه عندما حثهم عل طلب العلم دون حجر على فرع من فروعه ، ما دام هناك حكمة يهتدي بها إلي الخير ، وكثيراً ما نصح أتباعه بأن المؤمن لا يعادي علماً من العلوم ، كائناً ما كان ، ولكن المؤمن يبحث عن الحكمة أين كانت وهي ضالته.

وفيما يلي عرض لبعض النماذج من الاتجاهات المعرفية والفكرية عند الغمام أبي العزائم:

(١) اتجاهه الفقهي [2]:

لم تقتصر مؤلفات الإمام أبي العزائم رضي الله عنه على التصوف والتفسير وسيرة الرسول صلي الله عليه وسلم وبعض أصحابه وما ورد عنهم من علوم ومواقف ولكنها وسعت أيضاً بعض النواحي الفقهية التي تنصب في أغلبها على أحكام العبادات مثل: الصلاة والزكاة والصوم..كما اشتملت على نواحي أخري من المعاملات مثل: البيع والشراء والزواج والطلاق.

ولم تقف جهود الإمام أبي العزائم في الفقه عند حدد تضمين هذه الأحكام والمعاملات بعض كتبه ، ولكنه أفرد لبعضها كتباً خاصة.

ويمكن القول بأن الاتجاه الفقهي عند الإمام أبي العزائم رضي الله عنه يقوم على الأسس التالية:

(أ) الاستناد إلي السنة التي اعتمد عليها في استنباطه لكثير من الأحكام الفقهية التي ذكرها وكان يميل إلي الجمع بين الأحاديث الواردة في موضوع واحد. ومن أمثلة ذلك حديثه عن حق الصلاة وواجب أدائها ، وعن الطهارة قبل الدخول في الصلاة ، وحديثه عن كل ركن م أركان الحج.

فعلي سبيل المثال يقول في أصول الوصول لمعية الرسول: (وأحب العمل في الصلاة إلي ما ثبت عن أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم ، واخبروا عنه أنه عمل رسول الله صلي الله عليه وسلم).

(ب) يميل الإمام أبو العزائم إلي الأخذ بالأحوط في أمور فقهية كثيرة ومن ذلك قوله في الصوم: (ومن فضائل الصوم أن يجتنب من حظوظ هذه الجوارح الشبهات من الأشياء ، وفضول الحلال ، ويرفض الشهوات الداعية إلي العادات ،

---

(١) راجع ص ١٢٤ من الرسالة

(٢) راع ص ١٢٥

ولا يفطر إلا على حلال متقللاً منه ، فبذلك يزكو الصيام ، ولا يقبل امراته في صومه ، ولا يباشرها بظاهر جسمه ، فإن ذلك إن لم يبطل صومه فإنه ينقصه ، وتركه أفضل إلا لقوي متمكن مالك لإربه).

(جـ) محاولة التعرف على فقه الأحكام والتشريعات والحكمة منها ، وصولاً إلي أسرارها وفوائدها التي تعود على من يقوم بها ، فلم يكتف الإمام أبو العزائم بذكر الشروط والأركان والسنن والهيئات – كما تفعل كتب الفقه عامة – بل إنه كان يعد الحديث عن الشروط والأركان من خلال الحديث عن روح العبادات وآدابها وآثارها الخلقية.

وهذا كله يؤكد أن الإمام أبا العزائم لم يلتزم بمذهب فقهي معين ، بل كان له اتجاهه الفقهي الخاص.

(٢) التفسير عند الإمام أبي العزائم رضي اللّه عنه [١]:

كان للإمام أبي العزائم جهود مثمرة في التفسير ، لعل أبرزها تفسره (أسرار القرآن) الذي حفظ به معالم التفسير الإشاري..وقد بين الإمام أبو العزائم في مواجيده هذا العطاء القرآني قائلاً:

يعلمني الرحمن قرآن غيبه — ويسمعني المختار غيب عهودي
سمعت فأحياني السماع وقادني — إلي حظوة الزلفي بلا تحديد
سماع به كان الزهور يدار لي — به جذبت روحي إلي المعبود
وجود به لا كون لي غير أنني — بإحسانه أوليت لا بجهودي

وتشير هذه الأبيات إلي عطاء الله وفضله على الإمام أبي العزائم لحظة استماعه إلي آيات الله تعالي.

وللإمام أبي العزائم اتجاهه في تفسير القرآن ، ولهذا الاتجاه قواعد نجمعها فيما يلي:

(أ) تفسير القرآن [٢]:

ويتمثل ذلك فيما كان يقوم به رضي الله عنه من جمع للآيات الواردة في موضوع واحد ، ثم ترتيبه لها على نسق يظهر ما بينها من تكامل في المعني ونجد مثالاً لذلك في قوله تعالي : (مالك يوم الدين) ، فيفسر ذلك من القرآن بقوله: (أي يوم القيامة – يوم يقوم الناس لرب العالمين – يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله – يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها – يوم ينفع الصادقين صدقهم)

ومن أمثلة ذلك تفسيره للمفردات القرآنية بعضها ببعض ، كقوله في بيان قوله تعالي: (ولعلكم تهتدون).. حيث بين رضي الله عنه من القرآن أن الهداية عدة أنواع منها:

---

(١) راجع ص ١٣١ من الرسالة

(٢) راجع ص ١٣٦

- الهداية العامة: وهي هداية الله تعالي كل نوع من خلقه إلي ما ينفعه ، قال تعالي: (سبح باسم ربك الأعلى الذي خلق فسوي والذي قدر فهدي).
- هداية البيان: وهي من الأنبياء وورثتهم. بدليل قوله تعالي: (وإنك لتهدي إلي صــراط مستقيم).
- هداية الإحسان: من الله تعالي ، قال سبحانه:(إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهــدي من يشاء).
- هداية الدخول في المكان: قال تعالي: (الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله).

(ب) الاستعانة بأسباب النزول:

وقد أشار الإمام أبو العزائم إلي ذلك في آيات عديدة ، ومثال ذلك ما ذكره فــي قولــه تعــالي: (سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها. قل لله المشــرق والمغــرب يهدي من يشاء إلي صراط مستقيم) فقد بين أن سبب نزول هذه الآية ما قاله اليهود في شــأن تغيير القبلة من أن تولية رسول الله صلي الله عليه وسلم هو وأصحابه في الصلاة إلي الكعبــة بعد بيت القدس تردد ، ولم يكن عندهم نسخ في أحكام التوراة ، فانتهزوا تلك الفرصة ليشــككوا المسلمين.

(جـ) تفسير القرآن بالسنة:

ويتمثل ذلك في وقوله تعالي: (لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) حيث يري الإمام أبو العزائم أن الشهادة على الناس تكون في الدنيا والآخرة ، وقد استدل على ذلــك فيما ورد من أن جنازة مرت على رسول الله صلي الله عليه وسلم ، فأثني عليهــا أصــحابه ، فقال: وجبت ، ثم مرت أخرى فذكروها بسوء ، فقال: وجبت ، فقالوا: ما وجبت يا رسول الله ؟ فقال صلي الله عليه وسلم: أثنيتهم على الأولي ، فقلت: وجبت له الجنة ، ولم تثنوا على الثانية ، فقلت: وجبت له النار ، أنتم شهداء الله على خلقه.

(ء) الاستعانة بما روي عن الصحابة من تفسير لبعض آيات القرآن.

(هــ) الاستعانة بآراء السابقين له من المفسرين.

(و) النزعة الصوفية.

يميل الإمام أبو العزائم في تفسير بعض الآيات إلي التفسير الإشاري ، الذي لا يخرج عن ظاهر النص ، ولا يبعد عن معناه ، وإنما يحاول من خلال الذوق الصوفي ، البحث عن أسرار الآيات.

ولم يدع الإمام أبو العزائم كل ذي دوق أو صاحب حال ، أن يقول بما يميله عليه وجده ، أو يؤوله مزاجه ، وإنما أوجب على من وفقه الله لشرف خدمة تأويل القرآن ، أن يكون عالماً بمراتب العبودية ومقادير خطابها ، وبساطعة من عظمة الذات وكبريائها وكمالها وجمالها وبهائها ونورها

ومن أمثلة ذلك ما جاء في تفسيره لقوله تعالي: (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) فيقول رضي الله عنه: (وفي تلك الآية إشارة روحانية ، وهي أن تلقي هذا الكتاب لا يكون إلا بالروح المجردة من ملابسه مقتضيات الهيكل الإنساني ، وإنما تحجب الروح بميل هذا الهيكل إلي لوازمه الضرورية والكمالية ، وحرصه على تحصيلها).

(٣) موقف الإمام أبو العزائم من علم الكلام: ([1])

لقد تناول الإمام أبو العزائم في بعض كتبه بعض القضايا الكلامية وقد اتاحت له معرفته بمناهج المتكلمين واتجاهاتهم ، أن يتخذ موقفا علميا صحيحاً من علم الكلام ورجاله ، ويري الإمام أبو العزائم أن ما نهج عليه علماء الكلام من البدع التي ابتدعوها ، والشبه التي فتحوا أبوابها على المسلمين ، لم يكن من الحكمة التي سجد لها العقل لأول نظرة نظرها في الكون البديع ، معترفاً أن له حدثاً أحدثه ، ووجداً أوجده وحكيماً دبره ، وإنما بحث العقل عما يجب أن يكون لهذا الموجد واجب الوجود من الكمالات والجمالات والجلالات ، وما الذي يقرب إليه من العبادات والمعاملات ، وما الذي ينال به المسلم رضوان الله الأكبر من الأخلاق ولهذا كان الإمام أبو العزائم يرشد مريده ألا يناظر في صفات الله ولا في ذاته أحداً ، فإنه سبحانه وتعالي منزه عن القياس والأشياء والأوهام.

كما كان للإمام أبي العزائم موقف مما جاء في منطق أرسطو..حيث يرى رضي الله عنه أن علم المنطق من البديهيات التي يعلمها أصغر طفل ، لأن أصغر طفل يعلم البديهيات المنطقية ، وكلما كبر قويت عنده المبادئ المنطقية ، فتراه وهو صغير إذا أعطته أمه رغيفاً وأخذت منه لقمة بكي لأنه يعلم أن الجزء ينقص الكل.

ويمكننا أن نرجع بواعث هذا الموقف لدي الإمام أبي العزائم من علم الكلام ورجاله إلي اتجاهه الصوفي الذي جعله ينفر منه ، لأن علم الكلام في نظره لا يؤدي إلي اليقين الذي يطلبه.

وقد كان حرص الإمام أبي العزائم على التمسك بمنهج السلف في كل قضية من القضايا من وراء موقفه هذا من علم الكلام ، فكان رضي الله عنه يقول: (من تلقي عقيدة التوحيد من غير

([1]) راجع ص ١٤٤ من الرسالة

القرآن ، هوي في هاوية الحجاب). ويعد رأيه رضي الله عنه في قضية إثبات وجود الله تعالي تمثيلاً صادقاً لمنهجه في تناول تلك المسائل.

*** رأي الإمام أبي العزائم في قضية إثبات وجود الله**

اختار الإمام أبو العزائم من طرق المتكلمين والفلاسفة في إثبات وجــود الله دليلــين يمتــازان بسهولتيهما وقربهما من منهج الشرع الحنيف وهما:

١- الإمداد ويسمونه العناية.

٢- الإيجاد ويسمونه الإبداع

وقد أثر الإمام أبو العزائم لفظتي الإمداد والإيجاد لأنهما لفظــان قريبــان لعقــول الجمهــور ، بالإضافة إلي موافقتهما منهج القرآن في إثبات هذه القضية

أما دليل الإمداد فهو عند الإمام أبي العزائم يعني: عناية الله تعالي التي سبقت للإنسان ، فخلــق له الكائنات جميعها ، وسخر له ما في السموات وما في الأرض.وقد اخرج الإمام أبــو العــزائم براهين هذا الدليل من آيات القرآن الكريم..ومن هذه الآيات ، قوله تعالي: (ألم نجعــل الأرض مهاداً ، والجبال أوتاداً ، وخلقناكم أزواجاً ، وجعلنا نومكم سباتاً، وجعلنا الليل لباساً ، وجعلنــا النهار معاشاً)

وأما دليل الإيجاد فيراه رضي الله عنه ممثلاً في اختراع جواهر الأشياء مثل اختراع الحياة فــي الجماد ، بل اختراع الجماد نفسه والقوى الحسية والعقل وسائر المخلوقات التي خلقت علي غير مثال ويري الإمام رضي الله عنه أنه من الواجب علي من أراد معرفة الله حق معرفته أن يعرف جواهر الأشياء ليقف علي الاختراع الحقيقي في جميع الكائنات لأن من لم يعرف حقيقة الشيء لم يعرف حقيقة الاختراع وإلي هذا الإشارة بقوله تعالي: (أولم ينظروا في ملكــوت الســموات والأرض وما خلق الله من شيء).

ومن الآيات التي أكد بها الإمام أبو العزائم هذا الدليل... قوله تعالي: (أفلا ينظرون إلي الإبــل كيف خلقت).... وقد وجد في القرآن من الآيات ما جمع بين الدليلين ومنها قوله تعالي: (يــا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ، الذي جعل لك الأرض فراشاً والسماء بنا..)

ثانياً: مصنفات الإمام أبي العزائم رضي الله عنه ([1])

لقد ترك الإمام أبو العزائم رضي الله عنه مصنفات عملية كثيرة وبعض هذه المصنفات في العبادات ، وبعضها في العقيدة والتوحيد والبعض الأخر في التصوف ومقارنة الأديان، كما يوجد منها ما يختص بالتفسير والسيرة النبوية الشريفة هذا بخلاف ما أصدره رضي الله عنه من مجلات أكد من خلالها علي دوره السياسي والاجتماعي في عصره.

وقد طبعت معظم هذه المؤلفات في حياته رضي الله عنه في مطبعته بالقاهرة ، ثم تابعت مشيخة الطريقة العزمية إصدار ما لم يطبع من هذه المؤلفات إلا أنه يوجد حتي الآن بعض المؤلفات مخطوطة ولم تخرج بعد إلي عالم الإصدارات وقد سار البحث علي خطة معينة في عرض مصنفات الإمام أبي العزائم العلمية.

وتتلخص هذه الخطة في وضع المصنفات ذات الموضوع الواحد في ترتيب خاص بها حتى يسهل التعرف علي طبيعة الموضوعات التي تتناولها مصنفات الإمام أبي العزائم ثم قدم البحث نبذه موجزة عن كل مصنف من هذه المصنفات ليتم التعريف بها.

أسلوب الإمام أبي العزائم في مصنفاته:

يتميز أسلوب الإمام أبي العزائم في معظم كتبة بالسهولة واليسر ، واستخدام الحجج ولعل الغرض من ذلك تأكيد المنهج السفلي الذي سار عليه الإمام أبو العزائم في كتبه.

وقد يوجد من بين مؤلفات الإمام أبي العزائم ما يعلو أسلوبه علي بعض العامة وذلك لتعمقه في الرموز والإشارات الصوفية التي تحتاج إلي فهم معين.

ومن هذه المصنفات (شراب الاروح من فضل الفتاح)، (أكمل الصلوات علي سيد الكائنات)

كما تتسم مؤلفات الإمام أبي العزائم بالتنوع والشمول وكان لهذا دلالته في لغة الإمام أبي العزائم وأسلوبه ، حيث بينت هذه المؤلفات قدره الإمام أبي العزائم علي تطويع اللغة حسبما تقتضيه الفكرة التي يجنح إليها.

(أ) مصنفات في تفسير القرآن الكريم ([2])

(١) أسرار القرآن:

أعطي الإمام أبو العزائم للقرآن مكانه خاصة في حياته ، فكان حريصاً علي تلاوته ومراجعته في الأسبوع الواحد مرتين.

كما يظهر تمسكه بالقرآن من حثه الدائم لأتباعه ومريديه ، علي قراءته وتدبر آياته، والعلم بآداب تلاوته التي بينهما لهم، وذلك لأنه يري أن القرآن الكريم مورد آل العزائم الروي، وروضهم الجني،

([1]) راجع ص ١٥٥

([2]) راجع ص ٣٦١ من الرسالة

وحوضهم الموررود، وكوثرهم المشهود، وميزان أحوالهم، ومرجع مقاماتهم، ويسألونه قبل العمل، فإن أذن سارعوا، وإن منع تركوا واستغفروا.

وقد أدي هذا التمسك بالقرآن إلي وضع الإمام أبو العزائم له تفسيراً يسمي (أسرار القرآن) سجل فيه شروحاته وبين فيه خواطره وتأملاته حول آياته الكريمة وهو يقع في ثلاثين جزء لم يطبع منه حتى الآن سوى سبعة أجزاء.

وكان لعنوان التفسير دلالاته الواضحة في إثبات جهود الإمام أبي العزائم في مجال التفسير وذلك من خلال استخدامه التفسير الإشاري كأداة للتعبير عما يفسره من معظم آيات القرآن الكريم.

(٢) الجمعيات:

هو أحد المخطوطات التي تضمنت تفسيراً لبعض سور القرآن الكريم، مثل سورة الجمعة وسورة الفرقان، وبعض آيات أخري من سورة الحجر وسمي المخطوط بهذا الأسم لآن الإمام أبا العزائم كان يملي تفسيره لهذه السور قبل صلاة الجمعة وهي الآيات التي يستمع إليها علي أصحابه ثمرة هذا السماع. وهذا الكتاب علي غرار المنهج الذي سلكه الإمام أبو العزائم في أسرار القرآن.

(ب) مصنفات في السيرة النبوية (ﷺ)

(١) السيرة النبوية:

عبارة عن مخطوط كبير الحجم يقع في نحو ألف صفحة ويشتمل علي حياة الرسول صلي الله عليه وسلم قبل ولادته والحالة التي كانت عليها قريش، كما يشمل دلائل النبوة التي سبقت بعثة الرسول صلي الله عليه وسلم.. وتعرف الرهبان والأحبار عليه صلي الله عليه وسلم هذا في الفصل الأول. وأما في الفصل الثاني : فقد تناول فيه الصعوبات التي واجهها الرسول صلي الله عليه وسلم بعد بعثته من اليهود خاصة ومن الناس عامة.

وتحدث الإمام رضي الله عنه عن الغزوات التي غزاها الرسول صلي الله علية وسلم وأصحابه.

والجديد الذي نجده عند الإمام أبي العزائم في هذه السيرة هو وقوفه عند العبر العظات التي تصنعها أحداث السيرة ومحاولة الإفادة منها في أحداث عصره.

فلم يكن الإمام أبو العزائم سارداً للغزوة بعد الغزوة إلا بعد أن يربط أحداث كل غزوة ونتائجها بالعصر الحديث ثم يستخرج من مقارنة الماضي بالحاضر الدرس الذي يجب أن يتعلمه أبناء العصر الحديث من المسلمين

كما أظن أن الجديد الذي قدمه الإمام أبو العزائم أيضاً في سيرته النبوية استخراج كم غير قليل من نصوص التوراة ونصوص الإنجيل يؤكد بها بعثه الرسول صلي الله عليه وسلم ويبين من خلالها صفاته وأخلاقه وهي نصوص تدل علي مدي الجهد الذي قدمه للقارئ ليتعرف علي سيرة الرسول صلي الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ثم حقيقة ما قدمة للإسلام.

(٢) بشائر الاخبار في مولد المختار:

هو كتاب مطبوع يتناول مولد الرسول صلي الله عليه وسلم ونسبه ودلائل نبوته وفضله علي سائر الرسل.

(٣) معجزات وفضائل سيد المرسلين:

هو كتيب مطبوع عرض فيه الإمام أبو العزائم معجزات الرسل جميعاً وفضل معجـزات الرسـول صلي الله عليه وسلم علي هذه المعجزات.

(جـ) مصنفات عامة تعرف بالإسلام وببعض قضايا [1]

ومن هذه المصنفات:

(١) أصول الوصول لمعيه الرسول:

وهو من الكتب التي جمعت بين دفتيها أكثر من عمل.. ويجئ هذا الكتاب لمن يرغب فـي الإلمـام لفقه الشريعة وعلم الحقيقة، ويجد السبيل إلي هذه المعرفة شاقاً في الكتب الأخرى.. وفـي هـذا الكتاب استطاع الإمام أبو العزائم تقريب علم التصوف للقارئ وتوضيح مسائلة ومقاماته.

(٢) النور المبين لعلوم اليقين ونيل السعادتين:

وهو من الكتب التي ناقش فيها الإمام أبو العزائم ما للمسلمون حقوق، وما عليه من واجبات يأمره بها دينه.

(٣) **عقيدة النجاة**:

وهو عبارة عن رسالة في التعريف بالعقيدة التي كان عليها السلف الصالح، وقد بين هذا الكتاب حرص الإمام أبي العزائم علي التمسك بعقيدة السلف والسير علي منهجهم.

(٤) **صيام أهل المدنية المنورة** :

وفي هذا الكتاب استطاع الإمام أبو العزائم توسيع مفهوم الصوم، وعدم قصره بالأكل والشرب : حيث فصل أنواع الصائمين ومراتبهم.

(٥) **هداية السالك إلي علم المناسك**:

والهدف من هذا الكتاب كما بين الإمام أبو العزائم هو خدمـة المسـلمين وخاصـة الـراغبين والقاصدين أداء فريضة الحج، والجديد الذي قدمه الإمام أبو العزائم في هذا الكتاب هو توضيح وإبراز المعاني المقصودة من الحج.. وفي هذا يقول رضي الله عنه.

إلي من هجرتي لمن جنيني — إلي مرأي ألست نما جنوني
بتجريدي إليه أفر شوقـــاً — لترأي وجهي علناً عيونـي
وأشهد نوره يجلي أمامــي — ليقوي عند مشهده يقينـي

---

[1] راجع ص ١٦٤ من الرسالة

(٦) تفصيل النشأة الثانية:-

وهذا الكتاب جاء إجابة لطلب محمود باشا سليمان والد محمد محمود باشــا ســليمان رئــيس الوزراء الأسبق.. فقد طلب من الأمام أبي العزائم كتاباً يشرح أحوال البرزخ ومــا جــاء عــن القيامة ليقوى يقينه، ويزداد إقباله علي عمل الصالحات التي تنجيه من هول النشأة الثانية.

(٧) السراج الوهاج في الإسراء والمعرج:

إن الجديد الذي نلاحظه في هذا الكتاب... هو جهود الإمام أبي العزائم في إبراز الحكمــة مــن الأسراء والمعراج.

(د) مصنفات في الجهاد (١)

(١) الجهـــــــــــــاد:

أبرز هذا الكتاب الدور الذي قدمه الإمام أبو العزائم في خدمة الإسلام والمسلمين وذلك من خلال إيمان الإمام أبي العزائم بالجهاد نفسه ، والإمامه بأسسه وأركانه، وإدراكه للشروط التي تؤهله للقبول عند الله تعالي.

فيري رضي الله عنه أن الجهاد: (بذل ما في الوسع في سبيل الله تعالي).

ويدلنا هذا التعريف علي مفهوم الإمام أبي العزائم الشامل عن الجهاد ، ولذلك قسم الأعداء إلي ثلاثة أنواع هي:

أولاً : أعداء ملازمون وهي النفس وأنصارها.

ثانياً: أعداء مفارقون ويكونون من الزوجة والأولاد.

ثالثاً: أعداد خارجون

وجماع الأمر أن هذا الكتاب جسد جهاد الإمام أبي العزائم ووضح لنا إمكانية تنوع سبل الجهــاد عنده.

(هـ) مصنفات في الإخوة الإسلامية (٢)

(١) راجع ص ١٧٥من الرسالة

(٢) راجع ص ١٧٧ من الرسالة

(١) الإسلام دين الله وفطرته التي فطر الناس عليها:

وفي هذا الكتاب قدم الإمام أبو العزائم تعريفاً للدين وضرورته للإنسان ويمكن القول أن الجديد في هذا الكتاب هو أن الإمام رضي الله عنه استطاع تقديم الحكمة التي توصل إليها السلف الصالح من تمسكه بأصول الدين الإسلامي وحرصهم علي ممارستها عملياً بصورة تقود القارئ إلي معرفة الحقيقة بالدين، فيسارع إلي العمل بهذه الأصول.

(٢) الإسلام وطن والمسلمون جميعاً أهلة:

وفي الكتاب يري الإمام أبو العزائم أن الواطن هو الإسلام، وليس هو أرضا خضراء، أو أفقاً من سماء زرقاء.. وذلك لأن العمل بروح الإسلام يجعل المسلمين رجلاً واحداً كل فرد منهم عضواً لذلك الجسد.

(٣) الإسلام نسب يوصل إلي رسول الله

وقد بين الأمام أبو العزائم أن الغرض من هذا الكتاب يقظة المجتمع الإسلامي من نومه الغفلة ورقدة الجهالة، حتي يتحقق بنسبه الحقيقي الذي بانتمائه إليه يفوز بأعظم حظ وأوفر قسط، مما بشر الله به الصالحين وفي هذا الكتاب يقر الإمام أبو العزائم رضي الله عنه.. أن النسب حقيقة هو الإسلام.. كما وضع عدة وسائل لإعادة المجد الذي فقده المسلمون.

(٤) الشفاء من مرض التفرقة:

وفيه بين الإمام أبو العزائم أن هناك عناصراً من أبناء الأمة الإسلامية نفسها، كانت عونا علي ضعف الترابط بين شعوب الأمة، وكانت سبباً للتفرقة وهي:

أولاً: علماء الدنيا الجهلاء بالآخرة

ثانياً: دعاه الجهالة

ثالثاً: ولاة السوء

رابعاً: عبيد المادة

(و) مصنفات في التصوف والطريق الصوفي (٧)

(١) شراب الروح من فضل التفاح:

ويعد هذا الكتاب من أهم الكتب التي أبرزت معالم التجربة الروحية عند الأمام أبي العزائم ، فقد جسد تصوف الإمام أبي العزائم وبين صدق تجربته الروحية أكثر من أي جانب من الجوانب التي تحدث عنها رضي الله عنه في الكتب الأخرى

(٢) مذكرة المرشدين والمسترشدين:

في هذا الكتاب نجح الإمام العزائم في وضع آداب للسلوك تعين سالك العصر الحديث علي تهذيب نفسه وترويضها وذلك لما تحتويه هذه الآداب علي أسس ومبادئ تتماشي وطبيعة هذا العصـــر والعصور الأخرى.

(٣) معارج المقربيـــــــــــــن:

وفيه تحدث الإمام أبو العزائم عن آداب الطريق وأسسه ومقدماته.

(٤) الطهور المدار علي قلوب الأبرار :

وهو كتاب يحدد الطريق وآدابه وما يجب أن يقوم به السالك قبل رحلته في الطريق الصوفي. وفي هذا الكتاب

(٥) دستور آداب السلوك إلي ملك الملوك

في هذا الكتاب استطاع الأمام أبو العزائم أن يسجل جل الآداب الطريق التي يندر وجودها بـــين معظـــم أبناء الطرق الصوفية في العصر الحديث ومن ثم فتعد هذه الآداب منهجاً تربوياً يتقدم به الإمـــام أبـــو العزائم لتقويم مسار أبناء الطرق الصوفية في العصر الحديث.

(٦) دستور الساكين طريق رب العالمين:

وفيه يذكر الإمام أبو العزائم إخوانه ومن يريد السلوك في الطريق الصوفي بأدابه ومعالمه التـــي لابـــد للسالك منها لكي يحظي بأسرار الطريق ويفوز بالوصول ويفوز بالوصول إلي غايته.

(٧) الطريق إلي الله تعالي:

تناول هذا الكتاب آداب المريد وواجباته التي لا بد له منها قبل السفر في الطريق

(ز) مصنفات في مقارنة الأديان [١]

(١) وسائل إظهار الحق:

وقد ذكر الإمام أبو العزائم في مقدمته أنه كتبه بناء علي رغبه الأتباع وكثير من علماء الإفرنج الذين يأتون إليه أو يلتقي بهم من خلال زياراته لبلاد العالم الإسلامي.. وذكر رضي الله عنه أن هذا الكتاب يعتبر تنمية لكتاب صديقة الشيخ رحمه الله الهندي (مؤلف كتاب إظهار الحق).

(ح) مصنفات في الأدب الإسلامي [٢]

كان الإمام أبي العزائم كتابات في الأدب كان بعضها قصائد والبعض الأخر نثراً وقد ابتغي من وراء ذلك التنوع الدواء الذي يعالج به أوجاع أمته الإسلامية.

---

(١) راجع ص ١٩٢ من الرسالة

(٢) راجع ص ١٩٤ من الرسالة

وكان نصيب المواجيد والقصائد في أدب الإمام إبي العزائم أوفر من أي نوع أخـر مـن أنـواع الأدب المختلفة حيث حوي ديوانه (ضياء القلوب من فضل علام الغيوب) آلاف القصائد

إما في النثر فالإمام رضي الله عنه رواية واحدة تسمي (محكمة الصلح الكبري) وعدة قصص جمعت في كتاب واحد يسمي (دروس في قصص).

أولاً: القصائد والمواجيد: (ديوان ضياء القلوب)

يعد هذا الديوان الوعاء الذي جمعت فيه القصائد ومواجيد الأمام أبي العزائم وذلك لأنه يحتـوي علـي معظم القصائد التي املاها الإمام أبو العزائم في مخالف النـواحي الدينيـة والاجتماعيـة والسياسـية والتربوية وهذا الديوان يمثل النافذ التي يطل من خلالها من يرد أن يتعرف علي ما قدمه الإمـام أبـي العزائم لينة ووطنة وحياته

وهنالك كتاب (الجفر) للإمام أبي العزائم التي يحتوي علي قصائد يهـاجم فيهـا الاسـتعمار وينـدد بالاحتلال الأجنبي ويكشف الغيوب عن الأحداث المستقبلية.

ثانياً: النثـــــــــــــــر

(١) رواية (محكمة الصلح الكبري)

كتبها الإمام أبو العزائم وهي تهدف إلي المصالحة بين ملكات الإنسان المختلفة وذلك من أجـل العيش في طمأنينة وسلام وحينئذ يستطع الإنسان أن يعرف نفسه فيعرف ربه.

وقد كتب هذه الرواية بأسلوب أدبي فريد يتجاذب أطرافة عناصر أبطال لم يعهدها الأدب الروائي من قبل

ملحوظة هامة حول هذه الرواية:

بعد عرض رواية محكمة الصلح الكبري للإمام أبي العزائم علي كل من الدكتور علـي عشـري زايد رئيس قسم النقد الادبي بدار العلوم وكذلك الدكتور أحمد درويش أستاذ النقد الأدبـي بـدار العلوم شهد الاستاذان بأن فكرة هذه الراوية والعناصر التي مثلت مضمونها جديدة علـي الأدب العربي ولم يرد نظيرها في الأدب الصوفي

(٢) دروس في القصص:

لقد كتب الإمام أبو العزائم مجموعة قصصية جمعها كتاب بعنوان: (دروس في قصص) وهذه القصص هي:

الناسك والمخترع – السياسي والحكيم والغشيم ريانة الشرقاوية وزبيـدة المصـرية – العـالم والتاجر والفلاح – المقتصد والمسرف والفاسق – الجبان والمتوسط والمتطـرف – المجـذوب والسياسي – الصالح واللص والسكري – الفلاح المصري والتاجر الهندي والمخدع العراقـي –

الفلاح والحكيم – السائح في الأرض والسايح في السماء – ثم قصته الجنة العاجلة والجنة الأجلة.

وهي قصص تدعو في مجملها إلي كمال الأخلاق وحسن الظن بالله تعالي وحسن التوكل عليه وعدم الإسراف والتدهور في الحياة.

(ط) مصنفات في الصلوات والأوراد الأدعية [1]

أولاً: مصنفات الإمام إبي العزائم في الصلوات علي رسول اللّه صلي اللّه عليه وسلم:

(١) كتاب أكمل الصلوات علي سيد الكائنات:

وقد تضمن هذا الكتاب سبعين فتحاً من صيغة الصلوات علي رسول الله صلي الله عليه وسلم ... وهي صلوات تكونت عباراتها ومفرداتها من عبارات ومفردات الصوفية حيث يعلوها الوجد الصوفي والمعاني الرمزية. ومثال ذلك قوله رضي الله عنه في الفتح العاشر: (اللهم صل سلم وبارك علي ذات الحقائق المجملة المحمدية ، التي ظهرت مطلسمة بأسرار بطونها الكمالية).

ثانياً: الأوراد والأحزاب:

كان للإمام أبي العزائم أوردا وأحزاباً يقرؤها في ليله ونهاره، أما الأوراد فكانت إثر كل صلاة من الصلوت الخمس وتختص كل صلاه من هذه الصلوات بورد خاص بها.. وهي تتكون من الأدعية التي وردت عن الرسول صلي الله عليه وسلم أو من الأدعية التي وردت في القرآن الكريم.

أما الأحزاب فكان للإمام أبي العزائم – حزب كل يوم من أيام الأسبوع فهناك حزب ليلة السبت، وحزب ليلة الأحد.. إلخ.

وهذه الأحزاب تختلف في مضمونها عن بعضها.. وقد جمعها كتاب: (الفتوحات الربانية والمنح النبوية في الصلاة علي خير البرية).

ثالثاً: الأدعية والاستغاثات

لقد ورد عن الإمام أبي العزائم كثير من الأدعية والاستغاثات التي تكون في المناسبات أو الأماكن التي يستحب فيها الدعاء قد تكون فيها الإجابة، ومن الكتب التي جمعت أدعية الإمام أبي العزائم :

(١) أدعية الغفران في شهر القرآن:

وهي أدعية خصصها الإمام أبو العزائم لكل يوم من أيام شهر رمضان وبداخل هذه الأدعية استغاثات وابتهالات، تشير إلي صدق وإخلاص الإمام أبي العزائم في دعائة.

---

(١) راجع ص ٣٦١ من الرسالة

ومن هذه الأدعية قوله في دعاء اليوم الأول (أسألك يا إلهي جذبة عناية وحب ولايــة وقــرب هدية وإقبال إخلاص)

وفي دعاء اليوم الثلاثين يقول الإمام أبو العزائم: (رب وأدخلني مــدخل صــدق فــي حظــائر مؤانستي بجبروت قدسك الأعلى بك لك منك إليك يا ولي المؤمنين).

(٢) لبيك الهم لبيك:

وهي أدعية خصصها الإمام أبو العزائم لشعائر الحج والعمرة حيث جعل لكل سنة أو فرض مــن الحج أو العمرة دعاء خاص به

(٣) كتاب إلهي إلهي إلهي:

وهو أدعية في كافة أحوال الإنسان في سفره وحضره وحله وترحاله ويقظته ومنامه.

(٤) كتاب ادعوني أستجيب لكم:

أحزاب تمثل أجمل وأكمل ما دعا به الأئمة والعارفون.

الباب الثاني

المنهج عند الإمام أبي العزائم [1]

يقصد بالمنهج عند الإمام أبي العزائم ، ما بينه من قيم تربوية ، وما وضعه من آداب أخلاقية تعين السالك على تحقيق الثمرات المرجوة من سلوكه الطريق الصوفي

ويشتمل هذا الباب على ثلاثة فصول وهي:

الفصل الأول

بدايات الطريق الصوفي عند الإمام أبي العزائم (٢)

أولا: البدايات والمجاهدات:

يري الإمام أبو العزائم أن كل مسلم على يقين أنه مسافر إلي الدار الآخرة للقاء ربه سبحانه وتعالي.

ولا ريب أن ثمة صعوبات تعترض كل مسافر ، وربما أفسدت عليه سفره ، ولذلك أوجب الإمام العزائم على المسافر في طريق الله تعالي أن يستعد لهذا السفر كما يفعل المسافر إلي طلب الرزق.

والمسافر في طريق الله تعالي له بدايات...والبدايات تكمن عند الإمام أبي العزائم في تجريد القلب مما سوي الله تعالي.

ومعني تجريد القلب: تخليته من الصفات المنافية للأخلاق الحميدة ، وتحليته بالصفات التي يجب أن يتجمل بها طالب الله تعالي.

صفات طالب الله تعالي كما بينها الإمام أبو العزائم:

(١) التزام أحكام الشرع ، ويقصد بذلك مراقبة الله تعالي في سائر الأحوال.

(٢) استئصال المعاصي القلبية – التي إذا لم يستأصلها السائر في طريق الله من قلبه ، كانت سبباً في إحباط عمله... وهذه المعاصي تتمثل في (الحسد والرياء والعجب والكبر) .

كما يري الإمام أبو العزائم أنه لابد للسالك طريق الله من حصون يتحصن بها وهي:

(١) معرفة ما لابد منه من العقيدة الحقة والعلم بالسنن الواجبة علي كل عضو.

(٢) يجب علي السالك – بعد ذلك – أن يتلقي العبادات عملاً عن أهل الخشية بصحبتهم ، حتى يكون صورة لأصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم عاملاً بما كانوا عليه.

(٣) أن يحصل السالك من القرآن ما يكفيه لصلاته ولتلاوته وتدبره وللتلذذ بسماع كلام ربه من نفسه ، وقبل ذلك أن يعمل به وبآدابه.

وتعد هذه الحصون – عند الإمام أبي العزائم – من أسس الطريق وبداياته التي يجب علي السالك أن يتحلى بها قبل أن يخوض غمار المجاهدات الأخرى مع نفسه.

---

(١) راجع ص ٢٠٧ من الرسالة

أنواع مجاهدة النفس عند الإمام أبي العزائم [1] :

إن المجاهدات التي يقطعها السالك مع نفسه.... تتيح للبدايات التي بينها الإمام أبو العزائم فرصة التحقق من حلاوة الإيمان التي تنزل علي قلب السالك نتيجة قيامه بشرع الله تعالي

ونبه الإمام أبو العزائم السالك لكي يكون في جهاد أكبر مع حقائقه التي ركب منها ، فيجاهد قواه الجمادية ليكون نشيطا متحركا للخير،وقواه النباتية ليكون متألما من المعاصي مفكرا فيما يحصل به الخير الباقي،ومجاهدا قواه الإبليسية أكبر المجاهدة التي يتطهر من دنس الكبرياء ونجاسات العلو الباطل ، وقاذورات العناد ، وأوساخ الجدل ، وقبيح التفرقة و ورذائل الظهور ، وخبائث الرياسة ، وظلمات الشكوك والريب ، وضلالات عداوة الإخوان والسعي في مضرتهم ومما يلاحظ أن طريقة مجاهدة النفس كما رسمها الإمام أبو العزائم للسالك كانت تربوية ومألوفة إلي حد كبير.. كما يتبين سهولة النهج الذي يكلف به الإمام أبو العزائم السالك طريقة الله.

فإذا تقدم السالك وتخطي البدايات وارتقي – في طريقه – إلي ما بعد البدايات فيجب أن يجاهد نفسه بهذه الأنواع الثلاثة وهي:

(١) مجاهدة الحس والنفس والعقل والجسم في التسليم لرسول الله صلي الله عليه وسلم.

(٢) مجاهدة السالك نفسه علي نيل الكمالات التي تلائمها.

(٣) الجهاد في الله حق الجهاد ، ولا يصح حال أهله إلا بكمال مشاهد التوحيد ، حتى تخلص النوايا توحيداً ومعاملة.

وهناك طرق أخري يضعها الإمام أبو العزائم لمن بلغ في الطريق مبلغاً لاستكمال بها تزكية نفسه ، ويقوي من خلالها علي التعرض لمشاهدات الطريق وأحوله. ومن هذه الطرق والأنواع الأخرى في المجاهدة ما يلي:

(١) قمع النفس بزواجر ترك المألوف و وحسبها في سجن الزهد عن كل شهواتها وحظوظها ، والصبر علي ذلك.

(٢) تزكية النفس علي تزكيتها.. ليدوم أنسها بربها ، وهذه التزكية لا تكون إلا لأهل الشوق المزعج والغرام المحرق.

وقد أشار الإمام أبو العزائم إلي ضرورة أن تكون الأنواع الأخيرة من التزكية علي يد طبيب ماهر ، لأن لكل منها مضاراً نفسانية ربما أوقعت السالك في مهاوى القطيعة. وهو يقصد بالطبيب الماهر.. الشيخ أو المرشد الذي يلاحظ السالك ويوجهة أثناء سفرة الطويل.. ذلك لأنه كما قال الصوفية: إن المريد الذي لا شيخ له كالشجر إذا نبت بنفسه ، يورق ولكنه لا يثمر !!

([1]) راجع ص ١١٢ من الرسالة

أوصاف المرشد الذي يأخذ بيد السالك كما بينها الإمام أبو العزائم:

لقد عرف الإمام أبو العزائم المرشد بأنه: (هو القائم الدال علي الله و العالم بالنفوس وأمراضها من نزوع الشهوات والأهواء و وميول ما يلائم النفس ، العالم بالحقائق التي خلق الله منها الإنسان ، كما يري الإمام أبو العزائم أن المرشد ينوع الأفكار ، ويقوي اليقين الحق ، وتزكو به النفوس،وتنشط الأبد أن للعبادة.. ومن أكمل صفاته أن الله يلقي عليه محبة منه ، فلا يراه مؤمن إلا أحبه ، ولا منافق إلا هابه ، ولا كافر إلا خاف منه:

رأي الإمام أبي العزائم في قضية التسليم للمرشد: -

يري الإمام أبو العزائم أن السالك إنما اتبع المرشد لأنه متبع لا مبتدع ، فإذا خالف السنة والكتاب بترك الأعمال البدنية التي أصبحت بالتواتر أو بعمل المحرم شرعاً... وجب علي السالك أن يعظه بالحسنى وألا ابتعد عنه. ويعيب الإمام أبو العزائم علي الإخوان الذين إذا أخطأ مرشده أخطأوا معه ، وإن أساء أساءوا معه.. ويري أنهم ليسوا بإخوان وقد شبههم بآلات صماء.

الأعمال والأوراد عند الإمام أبي العزائم:

لقد حرص الصوفية علي شغل أوقات فراغهم بالذكر والعبادة – ومن الذكر عند الصوفية – الأحزاب والأوراد.

والحزب: عبارة عن مجموعة من الأذكار والأدعية وضعها الشيخ لأتباعه للذكر واستغفار الله

الورد: فهو زاد للسالك يشبع به روحه ، ويزكي به نفسه ، حتى تصبح عرضه لواردات الله وفيوضا ته.

واجتهاد المريد في تلاوة الأحزاب والأوراد دليل علي طلبه لله تعالي. ولقد ارتبطت الأوراد عند الإمام أبي العزائم بأوقات الصلاة الخمس ، فقد يكون الورد قبل الصلاة أو بعدها.أو يكون قبل الصلاة وبعدها

أما أوراد اليوم عند الإمام أبي العزائم فهي كالآتي:

(١) الورد الأول من طلوع الفجر إلي طلوع الشمس .

(٢) الورد الثاني من قبيل صلاة الظهر إلي بعد الصلاة .

(٣) الورد الثالث ويكون قبيل صلاة العصر إلي ما بعد الصلاة .

(٤) الورد الرابع ويكون عند زوال الشمس إلي ما بعد صلاة المغرب .

(٥) الورد الخامس ويكون من بعد صلاة المغرب إلي ما بعد صلاة العشاء .

أما ما ورد عن الإمام أبي العزائم من الأحزاب ، فقد روت أثاره العلمية أحزاباً له تساوي عدد أيام الأسبوع.

ولقد جاءت أوراد الإمام أبي العزائم وأحزابه متضمنة للكثير من آيات القرآن الكـريم ، والعديـد مـن أدعية رسول الله صلي الله عليه وسلم ، لتجدد للسالك عهده مع الله تعالي وترفع همته وتصحح مـن إرادته في العلم بالطاعات ولقد بين الإمام أبو العزائم أن تلك الأوراد والأحـزاب والصـلوات والعلـوم والأسرار – كانت بفضل رسول الله صلي الله عليه وسلم... حيث قال رضي الله عنه:

فلنا مع الحبوب أسرار سمت — بالفضـــل أولاها فعز مكانيـــه

وأفاض لي إحسانه وجماله — صرفاً علي روحي فأضحت ماضيـــه

هذي مبادي حالنا فإذا انجلت — شمس غرقت ببحر نور جمالــــيه

ففي هذه الأبيات إشارة لبعض ما تعرض له من فضل وأسرار منحه إياها رسول الله صـلي الله عليـه وسلم حتى ظهرت وانجلت علي حاله ، ولم يبد سوي نور هذا اللقاء....

وقد أدي هذا الفيض الذي أشار إليه من رسول الله صلي الله عليه وسلم في الأبيات السابقة إلي القول في نفس القصيدة..

كل الذي أنا فيه فضل محمد — منه بداً وإليه كان وصوليه.

الفصل الثاني

المقامات والأحوال [1]

تعتبر المقامات من أهم وسائل التربية الأخلاقية التي يطمع السالك أن يتحقق بها حتى يحظى بثرات الطريق الصوفي.. ويتفق الإمام أبو العزائم منع آئمة الصوفية في أن المقامات لا تتحقق إلا ببذل المجهود ، وأن الأحوال تكون من عند الله ونعمة علي عبده.

فيعرف الإمام أبو العزائم الأحوال بأنها: (معني يرد علي القلب من غير تعهد ولا تكسب من صاحبه ، وهي مواهب ربانية ومنح إلهية).

أما المقامات فهي: (ما يقدمة العبد من الأعمال الصالحة ، وما يبذله من جهود تجاه نفسه حتي ينقيها من آفاتها). (فمقام كل سالك موضع إقامته من الآداب والطاعات)

وقد قسم الإمام أبو العزائم مقامات الطريق إلي تسعة مقامات ، تبدأ بالتوبة ثم الصبر ثم الشكر.... إلي أن تنتهي بمقام المحبة.

(١) مقام التوبة:-

التوبة عند الصوفية هي أول مقام من مقامات السالكين.. ويعرف الإمام أبو العزائم التوبة: (بأنها الإقلاع عن الباطل قولا وعملا واعتقاداً و والرجوع إلي الحق قولاً وعملاً واعتقاداً).

وللتوبة شروط عند الإمام أبي العزائم وهي: (الإقرار بالذنب ، والاعتراف بالظلم ، ومقت النفس عن الهوى ، وترك الإصرار الذي كان عقدة علي عمل السيئات ، وإصابة الحق بقدر طاقته ، ثم الندم علي ما فات من السيئات).

كما يري الإمام أبو العزائم انه: (لو لم تسبق التوبة من الله للعبد فضلاً منه وكرماً ، لم يستطع العبد أن يتوب ، إذ لا حول ولا قوة إلا بالله).

ويري الإمام أبو العزائم أن هناك توبة للعامة وتوبة للخاصة ، فتوبة العامة: (هي أنهم يجددون التوبة عند حدوث الذنب ، وأما الخاصة فإنهم يجددون التوبة بعد عمل القربات لشهودهم العمل لأنفسهم).

الجديد في كلام الإمام أبي العزائم عن التوبة:

ويتبين من كلام الإمام أبي العزائم عن التوبة أن ييسرها السالك ، ولم يغلق في وجهه أبواب رحمة الله تعالي ، مهما تعددت ذنوبه ، وكثرت سيئاته)

وهذا يعطي العبد الأمل في العودة إلي الله تعالي ، ويغرس فيه الرجاء في الله تعالي.. وحول هذا المعني يقول الإمام أبو العزائم:

---

[1] راجع ص ٢٤٦ من الرسالة

خطاياي تدعو أن أتوب وأرجعاً أنيب إلي ربي ذليلاً ومسرعـا
ولولا يقيني فضل ربي وعفوه لكانت لي النيران بالعدل موقعًا
وكيف وأخطائي وظلمي وغفلتي لقد حيرت عقلاً سليماً ومسمعًا
إلي الله مضطر أنيب وبغيتي من الله فضل العفو منه وأوسعًا
وربي غفار عفو ومحسن فيسر لي الفردوس ربي مضجعًا

(١) مقام الصبـــــــر (١)

الصبر كما يري الإمام ابو العزائم هو: ثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوي ومن حديث الإمام أبي العزائم عن الصبر يتبين لنا ما يلي:

أ- أنه رضي الله عنه صور الصبر كجندي يقف بجوار الدين والعقل ، امام شهوات النفس وحظوظها ، وهذا التصور يجعل المسلم يعرف دور الصبر وضرورة التحلي به.

ب- اتسمت نظرة الإمام أبي العزائم عن الصبر بالشمول والعموم فهناك صبر علي الطاعات،وصبر علي طلب الرزق وصبر علي الأولاد و تحمل أذاهم،وصبر علي تحمل الاذي من الخلق ، وصبر علي نزعات النفس التي لا تطلب إلا الظهور والرياء في الأعمال.

ج- وفي حديث الإمام أبي العزائم عن الصبر لاحظنا انه ينصح المريد بالصبر علي الواقعالذي يعيش فيه دون أن يؤثر ذلك علي نفسه أو يلحق بها ضرراً.

(٣) مقام الشكـــــــر

الشكر عند الإمام أبي العزائم هو: (الاعتراف بالنعمة من الله تعالي وطهارة القلب من أن ينسب فضلاً أو نعمة أو إيجاد أو إمداداً لغير الله تعالي).

ويري الإمام أبو العزائم أن الشكر الحقيقي علم بالجوارح الظاهرة وبالقوي الباطنية من القلب والنفس والعقل والروح.

ويبين الإمام أبو العزائم الفرق بين شكر القلب وشكر الجوارح.. حيث يري أن شكر القلب: عقده علي التوحيد ، وتقلبه بالفكر في آلاء الله تعالي. أما شكر الجوارح.. فيتمثل في قيامها بالعمل علي طاعة الله. كما يري رضي الله عنه لا يشكر علي السراء والضراء إلا الله......

لأنه النعمة

تسر العبد وتذكره المنعم ، والنقمة تخيفة وتذكره المنتقم فيرجع إليه سبحانه.

قضية المفاضلة بين الفقير الصابر والغني الشاكر:

فضل بعض الصوفية الغني الشاكر ، وبعضهم فضل الفقير الصابر ويري الإمام أبو العزائم أنه لا مناسبة في التفضيل بينهما ، لأن الغني الشاكر منعم عليه بما يوجب السرور والفرح والثناء والحمد للمنعم فقام بما وجب عليه ، والفقير الصابر مبتلي بماله أنه انزعج أو التجأ إلي الخلق

لعذر ولكنه صبر واحتسب وكتم أمره وجاهد نفسه... ولهذا قال الله تعالي: (إنما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب).

ملحوظة:

أشار الإمام أبو العزائم في كتابة: (من جوامع الكلم) إلي أفضلية الفقير الصابر لأنه اتصف بصفة عبودية وهي الفقر مع صفة ربوبية وهي الصبور... بينما اتصف الغني الشاكر بصفتين من صفات الربوبية.. الغني الشكور.

(٤)مقام الرجاء:

والرجاء عند الإمام أبي العزائم هو: (اسم لقوة الطمع في الشيء بمنزلة الخوف اسم لقوة الحـذر من الشيء)... والرجاء عند الإمام أبي العزائم بمنزلة أحد جناحي الطير لا يطير إلا بجناحيه.

والرجاء عند الإمام أبي العزائم له علامات تثبت صحته عند السالك ومنهـا: (دوام المعاملـة لله تعالي وحسن التقرب إليه ، وكثرة التقرب بالنوافل لحسن ظنه به وجميل أمله فيه)..

وكذلك يري رضي الله عنه أن من علامات صحة الرجاء عند العبد: (الأنس بالله فـي الخلـوات ، ومن الأنس به الأنس بالعلماء والتقرب من الأولياء ، وارتفاع الوحشة بمجالسة أهل الخير وسعة الصدر والروح عنده).

ويلاحظ أن مفهوم الإمام أبي العزائم عن الرجاء جاء مقروناً بالخوف ، فلا رجاء بلا سابقة خوف. كما أن مفهومه عن الرجاء جاء مقروناً ، أيضاً بالقيام بالعبادات والاجتهاد في الطاعات ، والصدق في المجاهدات.

(٥)مقام الخوف:-

الخوف عند الإمام أبي العزائم: اسم جامع لحقيقة التقوي ، والتقوي معني جامع للعبادة ، وهـي رحمة الله تعالي للأولين والآخرين.

كما أشار الإمام أبو العزائم إلي أن الخوف حال من مقام العلوم...

لقوله تعالي: (إنما يخشى الله من عباده العلماء). وعن الإمام أبي العزائم يوجد خـوف للعمـوم هو: أن يحفظ العبد رأسه وما حواه من السمع والبصر واللسان ، وأن يحفظ بطنه وما وعاه وهو القلب والفرج واليد والرجل وهو أول الحياء).

وهناك خوف الخصوص وهو: (أن لا يجمع العبد ما لا يأكل ، ولا يبني مالا يسكن ، ولا يكاثر فيما ينتقل ، ولا يغفل ولا يفرط عما إليه يرتحل ، وهذا هو الزهد ، وهو حياء مزيد أهل الحيـاء مـن تقوي أصحاب اليمين).

وهناك نوع ثالث من الخوف: وهو خوف العارفين... وكذلك أشار الإمام أبو العزائم إلي نوع آخر من أنواع الخائفين: وهو الخوف من سوء الخاتمة ومن مكر الله تعالي ، ويري أن هذا الخوف من أهم الأنواع وأعلاها.

ومن حديث الإمام أبي العزائم عن الخوف يتبين لنا الملاحظات التالية :

أ-يعد الإمام أبو العزائم من المعتدلين الذين خففوا الخوف بالرجاء ، وهذا منهج له ميزاته في جذب الناس إلي الخوف من الله تعالي عن طريق الترهيب والترغيب.

ب- مزج الإمام أبو العزائم في حديثه عن الخوف من سوء الخاتمة بين هذا النوع من المخاوف وبين الرجاء ليبعد بالعبد عن القنوط من رحمة الله تعالي.

ج-كذلك يري رضي الله عنه أن من ثمرات الخوف من الله تعالي.... اليقين بالله عز وجل ، وهو من أعلي سريرات أهل المزيد ، فمن لم يغرس الخوف بداخلة اليقين بالله ، ومن لم يكسبه الخوف الحياء من الله ، فلا ثمرة للخوف عنده.

(٦) مقام الزهد

والزهد عند الإمام أبي العزائم من اجل مقامات اليقين ، وهو عقد وفعل.

فالعقد: خروج حب الدنيا من القلب بدخول حب الآخرة في القلب.

والفعل بالزهد: هو إخراج المحبوب من اليد في سبيل الله معتاضاً منه ما عنده سبحانه وتعالي من وجهه الكريم جل وتعالي أو قرب جواره في داره.

والزهد عند الإمام أبي العزائم لابد أن يكون في شيء يملكه العبد وترغب فيه النفس ، أما إذا كان الزهد في غير ما يملك العبد ، فإن زهده في معدوم والزهد في معدوم باطل.

ومن حديث الإمام أبي العزائم عن الزهد يتبين لنا الملاحظات التالية:

(أ) أخذ الإمام أبو العزائم معني الزهد وتعرف علي حقيقته من خلال آيات القرآن الكريم ، وليس من أقوال السابقين عليه من الصوفية ، وقد قاده ذلك إلي الاعتدال في الفهم عن الزهد ، ولم يغال فيه مثل بعض الصوفية.

(ب) فرق الإمام أبو العزائم بين الحاجة والشهوة ، وقد نتج من هذا التفريق أن الحاجة ليست بشهوة وإن رغبت فيها النفس ، ما دامت من الضرورات مثل شراب الماء عند العطش ، أو الأكل عند الجوع ، وهذا ما يحتاج إلي معرفته بعض من يفهم الزهد علي غير وجهه الصحيح.

(جـ) أخذ الإمام أبو العزائم بما جاء في الكتاب والسنة عن الزهد ، فابتعد عن المغالاة في فهم الزهد ، وعدم التعرض لبعض لعض القضايا المعقدة التي وقع فيها بعض الصوفية المغلين في الزهد مثل قضية تفضيل الفقر علي الغني.

(٦) مقام التوكل :-

يري الإمام أبو العزائم أن التوكل من اعلي مقامات اليقين،و وأشرف أحوال المقربين واستدل علي ذلك بقوله تعالي: (إن الله يحب المتوكلين).

وقد عرف الإمام أبو العزائم التوكل بأنه تسليم الأقدار كلها للقادر، واعتقاد أن جميعها قضاؤه وقدره.

وعاب الإمام أبو العزائم علي بعض المغالين الذين ظنوا أن التوكل الحقيقي هو ترك الأسباب جملة واحدة.

وبين رضي الله عنه: أن المتوكل الحقيقي هو الذي لايسقط ما أثبته الله تعالي من حكمته ، لما شهده من قدرة الله تعالي في الأشياء ، فالله هو الحكيم والحكمة من صفاته.

وقد قسم الإمام أبو العزائم المتوكلين إلي ثلاثة أنواع:

أ- رجل حسن توكله علي الله تعالي ، فأقامه في الأسباب.

ب- رجل جذبه اليقين الحق بكمال التصديق عن شهود الوكيل سبحانه.

ج- رجل أقام نفسه في التجريد ميلاً إلي الراحة من عناء الأسباب ، ورغبة فيما في أيدي الناس.. ويري الإمام أبو العزائم أن هذا من التكلف وليس من التوكل في شيء.

ومن حديث الإمام أبي العزائم عن التوكل يتبين الملاحظات التالية:

أ- فهمه رضي الله عنه لمدلول التوكل وحقيقته من خلال آيات القرآن المجيد وما جاء عن الرسول صلي الله عليه وسلم في التوكل ، وقد أدي ذلك إلي الاعتدال في كل جوانبه ، فجاء حديثة سهلاً ميسوراً يجذب السالك إلي العمل بمقام التوكل.

ب- قسم المتوكلين إلي ثلاثة أنواع ، فرغب في النوع الأول وهو توكل الرسول صلي الله عليه وسلم ومن تبعه من أصحابه والتابعين ، وهو النوع الذي يفضل فيه السعي علي طلب العيش ثم التوكل علي الله تعالي.

ج- عالج الإمام أبو العزائم في مقام التوكل قضية التداوي ، وبين أنه لا يقدح في التوكل علي الله، بل رأي عكس ذلك عندما ذهب إلي أن التداوي فيه إعلان وتحقيق سر أسم الله (الشافي).

وبالجملة فإن نظرة الإمام أبي العزائم إلي التوكل اتسمت باليسر والاعتدال ، وذلك لأنها مستنبطة من الكتاب والسنة.

(٨) – مقام الرضا:-

اختلفت أقوال ومذاهب الصوفية في الرضا.. ولكنه عند الإمام أبي العزائم في مقامات اليقين وأحوال المحبين ومشاهدة المتوكلين ، وهو داخل في كل أفعال الله سبحانه وتعالي لأنها عن قضائه ، ولا يكون في ملكه إلا ما قضاه.

والرضا عند الإمام أبي العزائم مقام فوق الصبر والشكر ومزيد الصابرين والشاكرين ، ويقسم الإمام أبو العزائم أهل الرضا إلي قسمين:

أ- قسم رضي عنه الله تعالي ، وقام بعمل الدنيا وعمل الآخرة طالباً المزيد منهما ، وهذا لا ينقص من مقام الرضا عندهم ، وهؤلاء هم خاصة أهل اليمين.

ب- القسم الثاني وأهله ممن رضوا عن الله تعالي رضاً جعلهم مؤتنسين بالله ، فارغة قلوبهم مما سواه ، مقبلين بكليتهم عليه سبحانه ، وهؤلاء هم المحبوبون المقربون.. وهؤلاء لا يقطعهم أنسهم بالله تعالي عن طلب الرزق والسعي علي أهلهم وذويهم ، وإنما أدوا ما عليهم من واجبات ، دون أن يحجبهم ذلك عن أنسهم بربهم ، ودون أن يؤثر ذلك في قلوبهم ، فبقيت متجردة مما سوي الله تعالي.

ومن حديث الإمام أبي العزائم عن الرضا يتبين لنا موافقته التامة للكتاب والسنة ، ويظهر لنا أن فهمه عن الرضا كان من خلال القرآن والسنة.

كما جاء حديثة عن الرضا هجوماً سافراً علي الذين لا يحرمون الحرام ولا ينكرون فعل المعاصي ، ولا يغضبون لله تعالي في ذلك.

كما لحق هجومه ونقده الذين يوادون من حاد الله ورسوله ، ويسارعون إلي موالاة أعداء الله ومودتهم... كذلك بين أنواع أهل الرضا حتى يتسنى لمن يريد أن يحقق مقام الرضا في نفسه ، أن يختار ما يناسبه من النوعين ويسير عليه.

وفي هذا توجيه تربوي من الإمام أبي العزائم ، فقد أتاح للنفوس المسلمة أن تهتدي بما يناسبها من الرضا ، حتى لا تتورع عنه أو تجزع منه.

(٩) مقام المحبة

يري الإمام أبو العزائم أن المحبة من أعلي مقامات العارفين.. وقد تحدث عن جانبي المحبة ، وهما: محبة الله تعالي للعبد ، ومحبة العبد لله تعالي.

أما محبة الله تعالي للعبد فهي: إيثار من الله تعالي لعباده المخلصين بهذا الإيثار يرفع العبد إلي مقام المقربين ، ومعية رب العالمين.

وأمام محبة العبد لله تعالي فهي: إيثار العبد ربه علي كل شيء ، حتى يتأله له دون كل شيء ، ويشتغل بذكره عمن سواه ، ويحترق حباً فيه حتى يكشف له الحجب فيراه. ويري الإمام أبو العزائم أن محبة الله تعالي سابقة للأسباب عن كلمته الحسني ، قديمة قبل الحادثات ، عن عنايته العليا ، لا تتغير أبداً ولا تنقلب ، لأجل ما بدا به لقوله تعالي: (إن الذين سبقت لهم منا الحسني أولئك عنها مبعدون) ويري الإمام أبو العزائم أن من علامات أحب العباد إلي الله تعالي: أعرفهم بمعاني صفاته ، وأتركهم منازعة له في معاني الصفات.

ومن علامات صدق المحبة عند العباد: حب رسول الله صلي الله عليه وسلم إذا كان حبيب الحبيب وأتبعهم لآثاره وأشبههم هدياً لشمائله.

كذلك من علامات المحبة عنده رضي الله عنه: كتمان المحبة إجلالا للحبيب ، وهيبة لـه وتعزيـزاً وتعظيماً له.. وأيضاً من علاماتها: كتمان بلاء الحبيب بعد الرضا به ، لأن ذلك من السـر عنـده وحسن الأدب لديه.

ثمرات المحبة:-

وللمحبة عند الإمام أبي العزائم ثمرات يحصل عليها السالك عندما يصل إلي المحبة الصادقة لله ورسوله ، ومن هذه الثمرات الشوق والغيرة.

أ- الشـــــوق:-

أما الشوق عند الإمام أبي العزائم فهم مقام رفيع من مقامات المحبة ، وليس يبقي الشـوق للعبد راحة ولا نعيماً في غير مشوقة. لذلك يري الإمام أبو العزائم أن المشتاقين مقربون بما أشهدوا من الشوق إليه ، وهو المأمور بطلبهم ، الموجود الحبيب عندهم ، مثوبة منه لهم ، لما شوقهم إليه.

ويصف الإمام أبو العزائم ما يمكن أن يحدث في مقام الشوق للمشتاق من قرب ثم يتبعه بعد أو احتجاب من الله تعالي عن مشتاقة، وهذا يحدث له انكساراً في قلبه لما عوده الله تعـالي من القرب.

ووقع الحجاب والبعد إثر القرب يزيد الشوق ويلهبه.

ويتحدث الإمام أبو العزائم عن الشوق في ديوان ضياء القلوب قائلاً:

هو الشوق للمذكور يخفي المظاهر ... ويشهد مذكوراً علياً وقادرا
ويظهر أنوار الحائق جهرة ... لديها يلذ الجمع راحاً مطهراً
هو الشوق أفناني وأخفي معالمي ... فصرت به غيباً وربي ظاهراً

ب-الغيـــــــرة:-

وأما الغيرة فيري الإمام أبو العزائم أنها حالي سنية من أحوال المحبين وقد يحدث في هذا الحال نوع من القرب إلي درجة يظن العبد فيها أنه عرف الله وحظي بالقرب منه سبحانه ، وعنـدما يتحقق البعد بعد زوال هذا الحال ينظر ، فإذا هو لم يعط منه لسواه شيئاً ، ولا أظهر من معانيه وصفاً ، فانطوت الغيرة في توحيدهم لما عرفوا بيقين أنه ما نظر إليه سواه ، ولا عرفه إلا إياه فتسقط هممهم بالغيرة عليه ، وعرفوا حكمته بتعريفه أنواع ما يظهر ، وأقسام ما ينشر ، وأنه غيب غيبه لا يظهر عليه سواه.. فقام لهم مقام المعرفة بالتوحيد مقام الغيرة عليه.

الأحـــــــوال [1]

للأحوال عند الإمام أبي العزائم تعريفان ، يقترب كل مهما من الآخر في المعنى ، وإن اختلاقـا في اللفظ.

أما التعريف الأول: فيري فيه إن الحال معني يرد علي القلب من غير تعهـد ولا تكسـب مـن صاحبه ، وهي مواهب ربانية ومنح إلهية من حكمها الطرب أو الحزن ، أو القبض أو البسط.

وأما التعريف الثاني: فيشير فيه إلي أن الحال هي الحجة القائمة علي صدق الـدعوى ، فمـن ادعي محبة الله تعالي ولم يقم الحجة بقوله وعلمه علي تحقيق دعوة كان ضالاً مضلاً.

وينقسم أصحاب الأحوال عند الإمام أبي العزائم إلي ثلاثة أنواع:

١- صاحب حال رباني ، وهذا لا يكون إلا للمريد الصادق مع الله تعالي.

٢- صاحب حال طبيعي،وهو أيضا من المرييدين الصادقين،ولكن يختلف الحـال عنـده - نوعاً ما عن صاحب الحال الرباني.

٣- صاحب حال مدع ، وهـو الـذي يظهـر أحـوالاً كاذبـة ، ليقضـي مـن وراء ذلـك حاجة في نفسه.

---

(1) راجع ص ٢٩٨ من الرسالة

الفصل الثالث

ثمرات المنهج الصوفي عند الإمام أبي العزائم [١]

يقصد بالثمرات ما يمكن أن يحصل عليه المريدون بعد تطبيقهم للمنهج الذي يأخذون به في مجاهدة أنفسهم وتزكيتها.

ولقد كان للمنهج الصوفي عند الإمام أبي العزائم ثمرات مرجوة..

وقبل الحديث عن ثمرات الطريق عنده رضي الله عنه لابد من ملاحظتين:

أولهما: أن هذه الثمرات لا تتحقق للسالكين بدرجة متساوية ، لأنهم يتفاوتون فيما بينهم في مدي تطبيق الأسس التي يقوم عليها هذا المنهج.. وترتب علي ذلك أن أكثر السالكين حظا من ثمرات هذا المنهج هم الموفقون لطاعة الله تعالي..

وفي ذلك يقول الإمام أبو العزائم: (فإن دعاك داعي العلم إلي تحصيل أسرار الكائنات وعلم ما خفي في تلك الآثار.. فجاهد نفسك وزكها ، واعمل بما علمت يورثك الله علم ما لم تعلم ، ولا تطمع يا أخي أن ينكشف لك سر فوق مدارك فكرك وعقلك إلا بجهاد اكبر في ذات الله وعمل في سنة ماضية علي صراط مستقيم).

ثانيهما: إن التعبير عن حصيلة المجاهدة بالثمرات ينبغي ألا يفهم منه ، أن هذه الثمرات ، واجبة الوقوع ، أو متوقفة علي كسب العبد وحدة ، وذلك لأن تحققها متوقف علي الفضل الإلهي في المقام الأول.

.. وفي هذا يقول الإمام أبو العزائم في احدي حكمه: (طلبك له هو عين طلبه لك ولولا طلبه لك ما طلبته أنت)

وقد جمع الإمام أبو العزائم ما ذكرناه آنفا في احدي قصائده حيث قال:

السالكون طريق الخوف أبطال ... والواصلون بنور الفضل أبدال
سهروا الليالي في ذكر يؤرقهم ... خوف الجلال فلما صابروا نالوا
خفوا فخافوا فكان الخوف داعيهم ... إلي الجنان وفي الجنات إقبال

ثم يقول رضي الله عنه:

والواصلون بفضل الله قربهم ... به إليه وللإبدال أحوال
رأوا جمالا عليا عن منازلة ... يخفي علي العقل والتوضيح إجمال

ومن أهم الثمرات التي ينالها السالكون هذا المنهج الصوفي ما يلي:

---

(١) راجع ص ٣٠٢ من الرسالة

١) المعرفـــة:

يري الإمام أبو العزائم أن المعرفة لا تتحقق إلا لمن لحقته عناية الله أزلاً وولايته سبحانه أبداً.. وتتحقق هذه العناية إذا جعل الله تعالي لنا نوراً في قلوبنا نقبل به الحق وتفضل علينـــا بمرشـــد كامل يبين لنا ما خفي من آثار رسول الله صلي الله عليه وسلم ثم منحنا التسليم والطاعة لـــه ، ما دام علي ما كان عليه أئمة الهدي من أصحاب رسول الله صلي الله عيه وسلم والتابعين لهم بإحسان رضي الله عنهم أجمعين.

ومما تقدم يتبين لنا أن الإمام أبال العزائم كان من المعتدلين في حديثــه عــن المعرفــة ، وأن منهجه كان موافقا الكتاب والسنة.

١) الفنـــــــــــــــــــاء:

يري الإمام أبو العزائم أن الفناء: تجريد عن لوازم البشرية ، ومقتضـــيات الآدميـــة ، ونـــوازع الإبليسية ، وميول النباتية ، ودواعي الجمادية ، مسارعة إلي الزهد في الدنيا ، والمجاهدة لتلك النفوس تتجمل فادح الآلام صبراً وعزيمة ، وتشبهاً بالعالم الروحاني ، إقتداء برسول الله صلي الله عليه وسلم ، وبأئمة الهدي. وهذا هو النوع الأول للفناء عند الإمام أبـــي العـــزائم وهـــو (الفناء بالجلال).

وقد عبر عن هذا النوع بقوله رضي الله عنه:

التحلي بالتخلـــــــــــي بعد محوي لمحلـــــي
وانفصالي عن فعالـــــي وسروري بالتجلـــــي
وارتحالي عن عقالـــــي وانمحا وهمي وعقلـــي
واتصالي بانفصالي عن سوي مجدي وأصلي

فإذا استطاع العبد قطع علائق نفسه ومحو هواها.. حق له الاتصال بالعالم الروحاني وهنا يقول الإمام أبو العزائم:

وارتشا في راح قدس لي باب الكنز يولـــــــي
عندها تمحي ظلالي وأري من غير ظـــــل.
نور قدس لاح جهراً مشرقاً من غير فصـــــل
لابكم أو بكيف أو بنسب أو بعقـــــــل
تشرق الأنور تنبي أم بفصلي أو بوصلـــــــي

وتكشف الأبيات عن أدب جم للإمام أبي العزائم والتزام بآداب الشرع الحنيف ، حينما يشـــير أن ما رآه من نور الله تعالي ليس بكم أو بكيف.

إما النوع الثاني فهو الفناء بالكمال.. والفناء بالجمال عند الإمام أبي العزائم

مقام العارف المتمكن والغارق الأمكن.. صاحب العينين المشرفتين بالشريعة والتحقيق والقلـــب المنير بحق اليقين ، واللسان المترجم عن أسرار التنزيل وحقائق التأويل.. وإلي هــذا المعنـــي يقول الإمام أبو العزائم:

دعوني أغني إن أداروا شرابيا فقد صار سري عن سوي الحقق خاليا

وإن أشرق النور العلي مجملاً معالم ذاتي.. خلياني وحاليـــــــا

وفي قصيدة أخري يبين رضي الله عنه حقيقة الفناء ، وما يحدث فيه للســـالك مـــن فيوضـــات وأسرار قد تفنيه عن نفسه وعن عالمه ، وقد تدفعه إلي البوح ببعض الأسرار فيقول:

كشفوا الرموز عن الكنوز الخافية فتلألأت درر المعاني الصافيــــة

موحوا طلاسم وصف ذاتي فانحلت أنوار باطنها ولاحت باديـــــة

ثم انمحي هذا الشهود بمظهر متزين بعقـــــــــود غيب غالية

فيه بدت أنواره منه له بعد انمحا تلك الرسوم الباليــــة

(٣) المشاهـــــــــدة:

والمشاهدة عند الإمام أبي العزائم إما أن يكون في مقام تلوين أو مقام تمكين. أما أهل مقام التلـــوين: فتكون وأجيده داعية إلي محو السبب ، لأنهم جذبون إلي الحضرة مجال التجريد والتخلية.

وأما أهل مقام التمكين: فخرجوا عن الأحوال ، وحرقوا حجب القلوب ، وباشرت أرواحهم سطوع أنوار الذات ، فارتفع التلوين لعدم التغير في الذات ، إذ جلت ذاته عن حلول الحوادث والتغيرات.

وذكر الإمام أبو العزائم أن أهل التمكين من أولي العزم كانت مواجيدهم القلبية وأحوالهم القديسة داعية لطلب المزيد من كشف الكيفية.. أو من تمكين الرؤية.. وفي قصيدة واحدة جمـــع فيهـــا بين أهل التلوين وأهل التمكين في مقام المشاهدة..

يقول رضي الله عنه:

أمن القلوب إلي القلوب شرابي ومن الفؤاد إلي الفؤاد خطابي

ومن اللطيفة للطيفة نظرتـــي تعطي لمطلوب من الوهـــــاب

ومن الخفاء والسر للألباب قد تعطي علوم الغيب للأحبـــــاب

شتان بين الواصلين بفضله والسالكين بجهدهم لرحـــــــاب

(٤) المكاشفة:

يري الإمام أبو العزائم ضرورة أن يتقيد السالك أولاً بعلم الواجب عليه شرعاً حتي تنفتح لـــه الأبــواب التي يلج منها إلي سبيل الحق.

ولقد وضع الإمام أبو العزائم شروطاً لمن سلك طريق الكشف أو الذوق ، حرصاَ علي آداب الشـــرع ، وخوفاً علي مزلة قدم السالك.. ذلك لأن السالك عندئذ يكون من أهل الإطلاق من المشاهد العلية والأنور البهية ما لايمكن التعبير عنه بعبارة.. ولا التلميح عنه بإشارة.. ولكنه يدرك بالذوق.

ولهذا يقول الإمام رضي الله عنه:

وما مقصدي كشف المكون من أنا — أنا العبد مضطر إلي حظوة الرب

الباب الثالث

دور الإمام أبي العزائم في التصوف

الفصل الأول

نقد الإمام أبي العزائم لأدعياء الصوفية

تعرض التصوف كسائر العلوم والظواهر الثقافية والاجتماعية لبعض الظواهر الغريبة ، والأفكار المحرفة التي تسربت إلي التصوف وانتشرت بين المنتسبين إليه.

فدعا ذلك الغيورين عليه أن ينبهوا علي هذه الانحرافات والأخطاء.

ولقد جمع الإمام أبو العزائم في نظرته النقدية.. بين ما يحدث بين أبناء الطرق الصوفية من بدع وانحرافات ، وبين ما ينبغي القيام به من جانب المشيخة العامة للطرق الصوفية وفيما يلي عرض للنظرة النقدية لأدعياء الصوفية عند الإمام أبي العزائم:

(١) راية في خروج أدعياء الصوفية عن الشرع:

يقول الإمام أبو العزائم رضي الله عنه في هذه القضية: (من ظن أن أهل الطريق يحكمون الذوق والحال والوجد ولو خالفوا في ذلك الشريعة)

فقد جهل مبادئهم ، لأن الذوق قبس من نور اليقين الذي فوق العلم ، والحال ظهور أنوار اليقين علي السالك المخلص ، حتى يكون تجملا بجمال أهل الخشية والخوف من الله تعالي ، والرغبة فيما عنده سبحانه ، والوجد حضور بالقلب والسر مع الرب جل جلاله ، ولا يمن الله بتلك المعاني علي من خالفوا حكمه).

ولذلك يوصي الإمام أبو العزائم أتباعه: (بأنهم إذا كوشفوا بمشاهد يرونها علية ، وخالفت السنة ، أن يضربوا بها ظهر الحائط ، أدباً مع رسول الله صلي الله عليه وسلم. وكان رضي الله عنه يري: أن الشريعة والحقيقة طريق واحد. بدايته الأولي. ونهايته الثانية ، وأن الحقيقة من الشريعة كالقصر المشيد العالي من الأساس المتمكن في أعماق الأرض ، فلو لم يبق هذا الأساس ويحكم بناؤه لما قام ذلك القصر ، ولما دام بقاؤه ، وإنه وإن كانت الحقيقة بيتاً والشريعة بابه ، فإن البيوت لا تؤتي من غير أبوابها ، وإن الذي يدخل البيت من غير الباب إنما هو لص مريب لا نظر إليه بعين الثقة ولا الاحترام).

(٢) موقفه رضي الله عنه من دعاة الاتحاد والحلول:

يري الإمام أبو العزائم أن دعاة القول بالاتحاد أو الحلول أو المجسمة هم الذين تلقوا الحكمة من شيوخهم وكانت نفس الواحد منهم خبيثة ، ففهمها علي قدر نفسه وتعصب لفهمه فقال

بالجسيمة والحلول. ولذا فإن الإمام أبا العزائم أطلق علي أصحاب هذه النظرية بـأنهم مجـوس هذه الأمة ، كما حذر أتباعه من مصاحبتهم أو الإقتداء بهم.

(٣) موقفه رضي اللّه عنه من أعمال السحر والشعوذة:

لقد لاحظ الأمام أبو العزائم وجود بعض من رجال الطرق الصوفية يجعلـون السـالك يتصـور ويتخيل الخيالات المضلة ، فيوهمونهم أن هناك عفاريت تأتيهم وشيوخ تزورهم ، لا للاستشفاء بل لخديعة الناس وسلب أموالهم.

وقد كان الإمام أبو العزائم ذات مرة في زيارة لأحدي المدن المصرية.. فجاءه نفر من الأدعياء ومعهم بعض الثعابين والحيات ، وقالوا له: نحن نمسك الثعابين والحيات. فماذا تفعل أنت ؟ فقال له: إمساككم للحيات والثعابين هديتم به كم رجلاً إلي الله عز وجل ؟! فسكتوا ، فقال: أمـا أنـا فأخرج حيات الحقد من القلوب ، وأنزع ثعابين الحسد من الأفئـدة ، وأمسـك بعقـارب الحـظ والشهوة من النفوس.

وتبين هذه الواقعة إيمان الإمام أبي العزائم بدوره في الـدعوة إلـي الله تعـالي ، وفهمـه الصحيح للقيام بهذا الدور وهو محاولة هداية الناس إلي الحق وإخراج الغل والحسد من قلوبهم حتى تصفو وتطهر.

(٣) موقفه رضي اللّه عنه من فساد القدوة في الطريق:

لاحظ الإمام أبو العزائم أن بعض الناس – ممن لا علم لهم – اقتدوا ببعض أدعياء الطريق ، فـأدخلوا في قلوبهم أن التسليم للشيخ مهما كان وعلي أي حال كان ، فيه خير لهم ، ولا يصل السالك إلي الله إلا بالتسليم للشيخ ، ثم يعملون أمام المريدين صريح الحرام أو يقولون صريح الكفر ، أو يأمرون بتـرك الفرض والسنة أو ينهون عن الأعمال الشرعية ، فيسلم لهم أهل الجهالة تسليم الأعمى لاعتقاد أنهـم أهل الحقيقة ، وإنهم ارتقوا عن الشريعة ولعل فساد القدوة في الطريق الآن من الدوافع الأساسية التي زادت من انتشار البدع وتهاون المريدين والأتباع في أداء الفروض والشرائع ومما يؤسف له أن هناك العديد من رجال الطرق الصوفية لا يؤدون الصلاة ، ولا يأمرون بالمعروف أو ينهون عـن المنكـر ، وذلك لجهلهم بالدين وجهل شيوخهم أيضاً.

وقد وضحت بعض مواد اللائحة الخاصة بتنظيم الطرق الصوفية في مصر بعضاً مـن شـروط شـيخ الطريقة ومنها: (أن يكون متمتعا بسمعة طيبة وخلق كريم ، وأن يكون من أهـل العرفـان والكمـال والتقوى والصلاح).

فلو أن هذه الشروط تحققت في شيوخ الطرق الصوفية الآن لما قبل أحدهم مريداً علي غير خلق كريم..

وقد زاد الإمام أبو العزائم علي ذلك سمات أخري للشيخ ومنها: (أن يكون أبر الناس بوالديه وأوصـل

الناس لرحمه وأرحم الناس بذوي قرابته،والعلة من ذلك غرس بذور البر والرحمة والصلة بالسالكين والأتباع. فإذا كان شيخ الطريق لا يصل رحمه ، فإنه لا يبر السالكين ولا يصل أباعه ولايودهم.

(٤) موقفه رضي الله عنه من قضية الوراثة في الطريق:

لاحظ الإمام أبو العزائم أنه جري العرف عند وفاة شيخ الطريقة تعيين أحد أولاده أو أقاربه خلفاً لذلك الشيخ.. ويري الإمام رضي الله عنه أن هذا أمر حسن.. لو أن من سلموا له يكون علي شيء من العلم والعمل والحال ، وأجتهد في تحصيل ما به كمال نفسه ونفع غيره وحافظ علي الإقتداء بالمرشد محافظة حقيقية في القول والعمل والحال.

ثم يقول رضي الله عنه: (أما إذا سلموا لابن المرشد أولأحد أقاربه وكان صبيا لم يبلغ الحلم أو كبيراً علي غير استقامة ، بعيداً عن معرفة الطريق وأهله ، فإنهم بذلك يكونون عرضوا من اقتدوا به للهلاك ، ولا يزيده الإقبال عليه إلا غروراً وبعداً عن الله ، وكأنهم بذلك أساءوا إلي مرشدهم ، لأنه جملهم بالعلم والعمل والحال ، وهو لم يحسنوا إليه في أولاده وأهله.

(٦) موقفه رضي الله عن من الحالة التي عليها أبناء الطرق الصوفية:

أهل التصوف قديماً يتمتعون بمنزلة كريمة عند الناس وعند الأمراء والحكام. أما الآن فقد لاحظ الإمام أبو العزائم أن أسم الطريق أصبح مرذولاً وأهل الطريق محقرين ، وأقوالمه مردودة واحوالهم منكرة ، وأعمالهم مقبحة عند أهل الغزة وأهل الدنيا.

ويري الإمام أبو العزائم أن من أسباب ذلك آن رجالاً منهم اتخذوا الطريق مغنماً ومكسباً ، فزينوا ظاهرهم للناس لخراب سرائرهم ، وباعوا الدين بالدنيا و اعملوا أعمال الآخرة للدنيا ، فذهبت أنوار الطريق ومحيت أسراره وانطمست معالمه ، وجهلت أحوال أهله وحجبت الإمدادات

السماوية والفيوضات الربانية التي كانت تفاض علي القلوب العامرة باليقين والأبدان العاملة بسنة سيد المرسلين والعقول الجائلة في الفكر في أيات السماوات والأرض..

أما الآن فأصبحت أجسامهم بلا أرواح. كل ذلك للاشتغال بالدنيا عن الآخرة ، وترك البحث عن الرجل المرشد العامل الدال علي الله بقوله وعمله وحاله. ولعل دقة الوصف التي بين بها الإمام أبو العزائم الحالة التي أضحي عليها أبناء الطرق الصوفية في العصر الحديث تؤكد صدق تجربته ، كما تبين جرأة الإمام أبي العزائم في الحق ، ومدي تمسكه بما يهدي إليه الشرع الحنيف

الموقف النقدي للإمام أبي العزائم

من قضية الذكر عند الصوفية [1]

لقد سار الإمام أبو العزائم علي ما سار عليه أسلافه من أئمة الصوفية في الذكر ، فأنزله من نفسه منزلة كريمة ، وحث عليه أتباعه ، كما قسمه إلي أنواع.. حيث يري رضي الله عنه أن الذكر إما أن يكون بالقلب واللسان ، أو بالقلب فقط ، أو باللسان فقط.

(أ) الذكر بالقلب واللسان:

يصف الإمام أبو العزائم حال الذاكر لهذا النوع بأنه عرض للقبض أو البسط أو لأي حال آخر ، وذلك لما يتحقق به قلبه من أحوال الحضور مع الرغبة أو الرهبة أو الفرح أو الخوف ، وهذا متوقف علي ما يشرق علي القلب من أنوار معاني الحق سبحانه فإذا استغرق القلب في أسرار تلك المعاني المجلوة له حتى يترجم بلسانه عن حقيقة وجده ، فإذا نطق لسانه باللفظ الدال علي نور المعني المشرق في القلب ، كان ذاكراً بقلبه ولسانه.

(ب) ذكر القلب:

يبين الإمام أبو العزائم أن ذكر القلب هو: العلم بآيات الله تعالي المشرقة أنوارها في الأنفس والأفاق. ثم بأسرار القدرة والحكمة ثم مشاهدة تلك الآيات عند قادر حكيم.

وصاحب هذا الذكر يبلغ به الحضور إلي حال لا يقع نظره علي شيء ، إلا ويلحظ أنوار البديع الحكيم القادر المريد الحي القيوم.. وفي هذا المعني يقول الإمام أبو العزائم في مواجيده:

تلك المظاهر والشئون مرائي	فيها تلوح لمن صفوا أسمائي
فالعارفون يرون سر تنزلي	والجاهلون مرادهم آلائي
أنا ظاهر لأولي القلوب مشاهد	لأولي الصفا من صفوة الأمناء
أنسوا بأنواري فطابوا وارتقوا	عن ظلمة الأكوان والأهواء

(ج) ذكر اللسان:

يشير الإمام أبو العزائم إلي أن هذا النوع من الذكر يقل في المرتبة عن الأنواع الأخرى ، ولعل السبب في ذلك توقف الذاكر فيه عند اللسان دون القلب والوجدان.

---

(1) راجع ص ٣٥٩ من الرسالة.

ويري رضي الله عنه أن الذي يريد آن يذكر بهذا النوع عليه أن ينطق بجملة مفيدة ككلمة التهليل ، أو ينطق باسم مفرد ملاحظاً تمام الجملة ، كما إذا قال "الله " بلسانه ويلاحظ بقلبه: خالق ، أو رزاق ، أو ربي ، أو شافي.

آداب الذكر عند الإمام أبي العزائم:-

لقد وضع الإمام أبو العزائم جملة من الآداب بينت للذاكرين مقومات الذكر المشروع الذي يوافق منهج الشرع الشريف ، فقد وضحت هذه الآداب الحالة التي يجب أن يكون عليها الذاكر أثناء ذكره لله تعالي ومنها:

صفاء القلب ، وطهاة الثوب ، بل وطهاة المكان أيضاً ، كما يرشد أتباعد في وقت الذكر وبعده أن يتناسوا حظوظهم وأغراضهم ، لأن الذاكر جليس الله.. ويلزم أن يكون الذكر لغير غرض عاجل من مال أو شهرة أو عناد أو تفرقة أو إرضاء للخلق أو طلب للدنيا أو لإشهار عمل من أعمال الناس غير الذكر. ولعل مجموع هذه الآداب يحقق للعبد الغاية التي ينشدها من الذكر. وهي التقرب إلي الله تعالي. وهي غاية مدركة في كثير من مجالس الذكر عند أبناء الطرق الصوفية الآن... فطريقة الذكر عند كثيرإلا منهم أصبحت تسئ إلي التصوف والطرق الصوفية... حيث نري حلقات الذكر بالألحان والإيقاعات والدفوف.

وقد عاب الإمام أبو العزائم علي هؤلاء حين قال رضي الله عنه: (إن العبد يذكر الله تعالي ليتقرب إلي المذكور سبحانه ، فكيق يعصاه بذكره ويبعد عنه بما يتقرب به إليه).

كما يري الإمام أبو العزائم أن علة اجتماع الإخوان علي حلقات الذكر :(إما لفقرهم إليه سبحانه ليغنيهم أو بتوبتهم ليغفر لهم،أو باضطرارهم إليه ليحييهم ، أو بشكر نعماه ليزيدهم)

ويري رضي الله عنه أن هذه المعاني لا تظهر لقلوب الإخوان إلا إذا نزع الله ما في صدورهم من غل لبعضهم ، وقد يحجب الإمداد عن الذاكرين لوجود رجل منهم سيئ السريرة أو حسود أو مفسد.

وقد حث الإمام أبو العزائم علي أن تصبح مجالس الذكر عند الصوفية وسيلة من وسائل الدعوة إلي الله تعالي ، فحث الإخوان علي إقامة الذكر في الأماكن العامة.. ليكون ذلك إعلاناً بما عليه أهل الطريق من أتباع الشرع الشريف ، فيكونون بذكرهم جمعوا الخلق علي الله ، وكأنهم بذكرهم دعاة إلي الخير.

الفصل الثاني

الإصلاح عند الإمام أبي العزائم

دعوة الإمام أبي العزائم لإنشاء طريقة صوفية جديدة: -

لقد دفع انتشار البدع والانحرافات التي كثرت بين صفوف الكثير من أبناء الطرق الصوفية في العصر الحديث ، دفع الإمام أبو العزائم إلي التفكير في إنشاء طريقة صوفية جديدة تعيد الأسس والأصول الأولي التي بنيت عليها الطرق الصوفية الأولي قواعدها.

ولقد بدأ الإمام أبو العزائم دعوته لإنشاء طريقة صوفية جديدة منذ تخرجه من دار العلوم ، وانتقاله من بلد الي بلد داخل مصر وخارجها.. فكان رضي الله عنه يقوم بالتدريس صباحاً ، وينشر دعوته و مواجيده ليلا.. وقد أدي ذلك علي مر الأيام إلي تكوين أتباع ومريدين يحفظون عنه مواجيده ويأخذون عنه آداب الطريق الصوفي.

وعندما وجد الإمام أبو العزائم أن الوقت قد حان لإعلان طريقته الصوفية الجديدة ، أرسل إلي شيخ مشايخ الطرق الصوفية في ذلك الوقت الشيخ عبد الحميد البكري خطاباً ، يطلعه فيه علي عزمة علي إنشاء وتأسيس الطريقة العزمية.

وقد جاء في هذا الخطاب قول الإمام أبي العزائم:

صاحب السماحة الحسيب النسيب شيخ المشيخة المنيفة والنقابة الشريفة السيد عبد الحميد البكري جدد الله بسماحته معالم الطريق وأيد بسيادته رجال العلم والدين.. آمين.

مولاي....

رافعة لسيادتكم العبد المسكين محمد ماضي أبو العزائم:

يشرفني يا مولاي بعد أن تلقيت علوم الشريعة الغراء بالأزهر الشريف ، وتلقيت علوم الحكمة والأخلاق وتربية النفوس علي أيدي أئمة من أهل العرفان والولاية.. أبواب التوحيد والأخلاق من كتاب إحياء علوم الدين ، وتلقيت كتاب قوت القلوب في علوم أسرار الطريق وبيان أحوال الرجال من أستاذي ومرشدي الشيخ جبير محمد السائح الخوقندي بسنده المتصل إلي سيدي عبد القادر الجيلانى ، وتلقيت الرسالة القشيرية وحكم ابن عطاء الله علي أستاذي المرشد السيد حسنين الحصافي بسنده المتصل إلي الإمام أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه ، وتلقيت علوم أحوال الرجال مواجيدهم علي سيدي العز محمد نزيل مكة المكرمة ، بعد خدمة الطريق وعلم مآخذها.

وقد من الله علي بأن أرشدت كثيرين من وألفت كتباً طبع منها تسعة كتب في علوم الشريعة المطهرة والأخلاق وأسرار السيادة الصوفية.

وبما أن الله من علي بإرشاد كثيرين يزيدون عن العشرة آلاف في أنحاء بلاد مصر ، وهم ملتمسون من سماحة مولانا تعييني شيخاً لهم أسوة بمشايخ الطرق.

وبما أن طريقة السادة الشاذلية متفرعة إلي فروع كثيرة ، فألتمس من سماحتكم انضمامي بمشيخة السادة الصوفية أنا وأولادي وتعنونون طريقتنا " بالعزمية الشاذلية " وقد جاء رد مشيخة الطرق الصوفية بالموافقة علي الطلب المقدم من الإمام رضي الله عنه و وعندئذ شرع الإمام أبو العزائم في وضع دستور الطريقة وقواعد تنظيمها وكيفية الانتساب إليها.

دستور الطريقة العزمية وقواعد تنظيمها [1]

وضع الإمام أبو العزائم دستور الطريقة العزمية ، وسن لها قوانينها ، وحدد لها أهدافها.

أما الدستور فيتمثل في تكوين هيئة إدارية تنظيم الطريقة ، وتعمل علي حمايتها من البدع والانحرافات، و كما تقوم هذه الهيئة بنشر الطريقة في أرجاء البلاد ، وكذلك يتضمن الدستور كيفية الانتساب إلي الطريقة العزمية وشروط هذا الانتساب.

أولاً: الهيئات الإدارية للطريقة:

تتكون الهيئات الإدارية التي تدير نشاطات الطريقة من ثلاثة مراكز:

(١) شيخ الطريقة

وهو الرئيس الأعلى للجماعة ، كما انه رئيس مجلس الإدارة.

ويشترط فيمن يختار شيخاً للطريقة أن يحظى بالشروط الآتية:

أ- أن يكون من بين الأعضاء المؤسسين للطريقة والمخلصين لها.

ب- ألا يقل سنة عن ثلاثين سنة. حتى يتسنى له معرفة الطريق الصوفي وآدابه ، ويعرف كيف ينصح المريدين والأتباع أو يعاقبهم إذا أخطأ واحد منهم.

ج- أن تتوافر فيه الصفات التي تؤهله ليقوم بأعباء هذا المنصب ، مثل: حسن الخلق،و وسعة العلم ، وشدة الحياء،و وسعة الصدر.

ء- في حالة وفاة الشيخ يقوم الوكيل مقامة ، حتى يعرض الأمر علي مجلس الإدارة في اجتماع توجه الدعوة إليه خلال شهر علي الأكثر ، حتى يتمكن الأعضاء من الاجتماع علي اختيار الأفضل منهم.

(٢) مجلس الإدارة:

يشمل مجلس الإدارة أفضل العناصر من أتباع الطريقة وأكثرها علماً ودراية بآداب الطريق ، وقدرة علي نشر الطريقة في البلاد المختلفة. ويتكون المجلس من عشرة أعضاء تنتخبهم الجمعية

---

(١) راجع ص ٢٩٨ من الرسالة

العمومية كل ثلاث شهور علي الأكثر و تصدر قراراته بالأغلبية ، وعند التســـاوي يرجـــع جانـــب الشيخ.

(٣) الجمعية العمومية:

وهي ثالث الهيئات ، وتتألف من جميع الأعضاء المشتركين بمجلس الإدارة و ويشترط أن يكون مضي علي العضو مدة سنة لكي يصلح لأن يكون عضواً بالجمعية ومن أهم الأعمال التي تقوم بها الجمعية العمومية: انتخاب أعضاء مجلس الإدارة الذين سقطت عضويتهم بالمجلس. والتصديق علي الحساب الختامي ، والنظر في التقرير السنوي لمجلس الإدارة ، بالإضافة إلي إقرار مشروع الميزانية لكل عام مالي جديد.

وتلتقي هذه الهيئات عند غاية واحدة ، هي توسيع نطاق الطريقة وحمايتها من البدع والانحرافات

ومما تجدر الإشارة إليه أن قيام هذه الهيئات بواجبها التي حددها لها دستور الطريقة العزمية ، أدي إلي انتشار الطريقة في مصر وخارجها. كما أدي قيام الهيئات الإدارية للطريقة العزمية بما عليها من مسئوليات إلي ندرة الانحرافات والبدع التي تحدث في الطرق للصوفية الأخرى.

آداب الانتساب إلي الطريقة العزمية [١]

يجد من يريد الإنتساب للطريقة العزمية بعض الآداب التي يجب عليه التحلي بها حتي ينتسب إلي الطريقة العزمية ومن هذه الآداب:

(١) صغر نفسه في نظره وإن عظمها الله بين الخلق.

(٢) أن يستر شهود وجوده بوجود شهوده.

(٣) أن ينظر إلي الناس بعين الرحمة وإلي نفسه بعين الخشية فيري الناس جميعاً خيراً منه.

(٤) احتقاره لإعماله وإن عظمت لأن مراد أل العزائم القبول لا الإقبال.

طريقة أخذ العهد بالتلقين والمصافحة:

تؤخذ البيعة بالتلقين عن طريق الذكر والمصافحة ، وقد وضح الإمام ابو العزائم ذلك في كتاب دستور السالكين طريق رب العالمين ص ٣٩ حيث يقول:

(يبدأ الشيخ بقراءة الفاتحة سراً ثلاث مرات ، مستمداً بركة التلاوة من رسول الله عليه وسلم ، او من شيخه الأكبر صاحب الطريق ، إن كان تابعاً لمرشد كامل واصل ، ثم يقرا هذه الآية: (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله. يد الله فوق أيديهم) ثم يستغفر الله ثلاث مرات بأي صيغة ثم يمسك بيده اليمني يد المريد وتلقنه الذكر) فيتلقي المريد الذكر من المرشد أو نائبه بعد أن يقرأ أوراد الليل والنهار التي تعد بداية لاجتهاده في الطريق ، ثم يسمعه المرشد أو نائبه قول لا إله إلا الله... يسمعها إياه ثلاث مرات ، بأذنه بتلاوتها تسعين ألف مرة في زمن غير محدد بقدر اجتهاد السالك مع ملاحظة النطق بها صحيحة

---

[١] راجع ص ٤٠١ من الرسالة

• وقد بين الإمام أبو العزائم رضي الله عنه ذلك الأمر مفصلاً في كتابه دستور السالكين طريق رب العالمين.

أهداف الطريقة العزمية

وجماعة آل العزائم (م)

(١) الاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله صلي الله عليه وسلم ، وجمع القلوب علي مبادئ الإسلام لبناء المجتمع الإسلامي الفاضل ، وإحياء آثار السلف الصالح بما يوافق روح العصر.

(٢) مكافحة الإلحاد والإباحية والفساد والمذاهب المغوية والشعوذة.

(٣) تقديم الخدمات الاجتماعية والإنسانية و وتشمل: مساعدة الأسر التي تستوجب حالتها المساعدة ، وإنشاء المستشفيات والمستوصفات لتيسير علاج الفقراء والمحتاجين.

(٤) تقديم الخدمات الدينية والثقافية: مثل إنشاء المدارس والمعاهد الدينية. وإقامة المساجد وإنشاء مطبعة لنشر كتب التراث الإسلامية وغيرها من ألوان الثقافة الإسلامية.

(٥) تقديم الخدمات الاقتصادية للمساهمة في رفع معيشة الفرد المسلم والأسرة المسلمة وذلك بإنشاء مؤسسات اقتصادية واجتماعية تقوم علي روح التعاون.

(٦) تدعيم الإخوة الإسلامية عن طريق التوفيق بين المسلمين وتوحيد كلمتهم وقد صارت معظم هذه الأهداف روحاً حية تسري بين الناس لتقدم لهم خدماتها في شتي مجالات المجتمع.

نشاطات الطريقة العزمية

وأثر ذلك في انتشارها (ره)

تقدم الطريقة العزمية نشاطات دينية واجتماعية وثقافية ومنها ما يلي:

(١) بناء المساجد والمعاهد الدينية في العديد من مدن وقري مصر.

(٢) إحياء المناسبات الدينية المختلفة والاحتفال بذكري رجالات الإسلام

(٣) أنشأت الطريقة العزمية مطبعة المدينة المنورة التي تقوم بطبع كتب الإمام أبي العزائم وأهل البيت والسلف الصالح دار الكتاب الصوفي لنشر كتب الإمام أبي العزائم وأئمة الصوفية

(٤) أنشأت الطريقة العزمية دار الكتاب الصوفي لنشر كتب الإمام أبي العزائم وأئمة الصوفية.

(٥) أصدرت الطريقة العزمية (مجلة الإسلامية وطن) وهي مجلة شهرية تعتبر لسان حال الطريقة وتناقش كافة القضايا الإسلامية.

(٦) تقوم الطريقة العزمية بتقديم بعض المبالغ بتقديم بعض المبالغ المادية لمساعدة الفقراء من أبناء الطريقة.

(٧) أعدت مشيخة الطريقة العزمية دار ضيافة للفقراء والمغتربين وضيوف الطريقة علي أعلي مستوي.

(٨) تقوم الطريقة العزمية بعمل معسكرات صيفية لأبناء الطريقة في برج البرلس بكفر الشيخ ، وفي مرسي مطروح سنوياً.

وقد أثرت هذه النشاطات وغيرها في انتشار أتباع الطريقة داخل مصر وخارجها ويؤكد سعة هذا الانتشار ما تبينه مجلة الإسلام وطن في أعدادها المختلفة من نشاطات للطريقة في شرق البلاد وغربها ، كما تبين المجلة الزيارات الأسبوعية التي يقوم بها شيخ الطريقة إلي هذه البلاد.

وبذلك فإن الطريقة العزمية تحاول أن تعيد دور الطرق الصوفية في الدعوة إلي الله تعالي ، وتقديم الخدمات في جميع المجالات للناس جميعاً ، وقد كان الإمام أبو العزائم القدوة الحسنة التي أكدت لأتباعه أن التصوف عمل لا قول،وأن السعادة المريد تكون في مساعدته للناس جميعا.. وقد حاول الإمام أبي العزائم من خلال ما تقدمة طريقته للمجتمع ، إعادة الطابع الإصلاحي الذي ألفه الناس من بعض الطرق الصوفية من ذي قبل.. ومما تجدر الإشارة إليه أن بعض الباحثين أشادوا بدور الإمام أبي العزائم في المجتمع في المجال السياسي والمجال الاجتماعي.. ومنهم الدكتور أبو اليزيد العجمي في رسالته للدكتوراه تحت عنوان الأصول الفكرية للجانب الإجتماعي عند الصوفية.

جهود الإمام أبي العزائم في التربية:-

تعني التربية عند الأمام أبي العزائم بأنها: تلك العملية التي يتم بمقتضاها تنمية الشخصية الإنسانية وبناء الإنسان الكامل داخل الهيكل.

الآدمي بناء يبلغ الإنسان معه غايته التي يرجوها من الكمال الأنسانى ، ويكون ذلك من جميع الجوانب النفسية والعقلية والاجتماعية فلا يهمل هذا الهيكل ذاته ويكون وفقاً لمعايير تتفق عليها الجماعة التي تتم في وسطها عملية البناء وحسب الأدوات التي يقوم بها الفرد المعد للبناء والمراد من التربية وترتكز التربية عند الإمام أبي العزائم علي المقومات التي تكون الشخصية الصالحة التي تقدم لنفسها وللمجتمع ما يكفل حياة هادئة مطمئنة.

ميادين التربية عند الأمام أبي العزائم

جاءن ميادين التربية عند الإمام أبي العزائم لتحاول الوصول بالإنسان إلي درجات الكمال ومن هذه الميادين ما يلي:

(١) التربية العقليـــــــــة:

يري الإمام أبو العزائم رضي الله عنه أن الأمة قد تسود بالفرد الواحـــد إذا نشـــأ علـــي الآراء الصحيحة والمبادئ الحسنة ، والغيرة علي الدين وحب الوطن.

ومن أهم وسائل التربية العقلية عنده رضي الله عنه.. حب العلم والتعليم ، فكان يوجه أتباعــه إلي الإطلاع علي سائر العلوم.. وفي هذا يقول رضي الله عنه. (إن بعض إخواننا كرهوا بعض العلوم التي تبين بعض الآثار الكونية. ظناً منهم أن ذلك يخالف الكتاب والسنة ، والحقيقة التــي لا مراء فيها أن المؤمن لا يعادي علماً من العوم كائناً ما كان ، ولكن المؤمن يبحث عن الحكمة أين كانت وهي ضالته).

ويري الإمام أبو العزائم كذالك أن تغرس أصول التربية العقلية عند الإنسان منذ صغره ، فيــري أنه إذا بلغ الصبي سن تلقي العلوم ، وتبتدئ من السابعة ، وجب أن يحتاط والده في هذا الدور حيطة عليه أكثر من حيطته من الأمراض.

فإن دور تلقيه العلوم هو دور الاستعداد لبذر البذور في القلوب ، فإن كانت بذوراً تنــتج ثمــراً طيباً أثمرت ثمرة صالحة.

ويشبه الإمام أبو العزائم أتباعه وإخوانه قائلاً: (ينبغي لإخواننـــا – أيـــدهم الله تعـــالي – أن لا يعادوا علماً من العلوم ، أو يهجروا كتاباً من الكتب ، ولا يتعصبوا علي مذهب من المـــذاهب ، لأن طريقنا يستغرق المذاهب كلها ، ويجمع العلوم جميعها ، وذلك أنه هو النظـــر فـــي جميـــع الموجودات بأسرها ، الحسية والعقلية ، من أولها إلي أخرها ، ظاهرها وباطنها).

(٢) التربية النفسية:

يعرف الإمام أبو العزائم النفس بأنها اللطيفة النورانية ، والجوهرة الربانية ، والحقيقة التـــي لا تدرك بحس ولا عقل ولا لها إلا بخواصها ، وإنما تري وتعلم بقدر الرائي والعالم بها لا بقدرها.

ويري أن العجز عن إدراكها بحقيقتها وكنهها وهويتها ، برهان ناصع علي عجز أكمل كائن عن إدراك ساطعة نور من أنوار الأسماء ، فكيف ندرك الهوية في غيب غيبها ؟!

ويري رضي الله عنه أن للنفس عدة قوي وهي:

- قوة النفس الملكية أو الناطقة وهي أعلي النفوس وأكملهـــــا.

- قوة النفس السبعية أو الغضبية ، وهي أدني من الملكيـــــــــة.
- فوة تسمي النفس البهيمية أو الشهوانية وهي أدني النفـــوس.

ويري الإمام أبو العزائم أن الإنسان لا يكون إنساناً حقيقة إلا بالنفس الملكية وتتمثل التربيـــة النفسـية عنده في ترقي الإنسان وصولاً به إلي عالم النفس الملكية ولكي تصل إلي درجات هذا العالم ، لابد لها أن تتزكي.

ويري رضي الله عنه أن النفس إذا تزكت صارت شمساً تدور حولها جميع العلويات والسفليات وتستمد منهــا الإضاءة.

وقد استخدم رضي الله عنه في تزكية النفوس منهجاً تربوياً سديداً هو المجاهدة.

(٣) التربية الأخلاقية:

لقد وضع الإمام أبو العزائم إطاراً للخلق الفاضل الذي يظهر أثره في الغير ، وذلك مــن خــلال العلاقة بين الشيخ والمريد ، وبين المريدين مع بعضهم بعضاً.

فقد وضع في تلك التربية الأخلاقية أدأبا يسير عليها المتعلم حتى ترسخ فيه ، أي تصبح له خلقاً يعتاده وهيئة تلازمة.

وعن الآداب التي حث عليها المريد تجاه شيخه حث رضي الله عنه المريد أن يقوم بما يلي :

أ- المحافظة علي تحصيل علوم شيخه ، وفهمها فهماً حقيقياً.

ب-التشبة بالعلماء الهداة المخلصين لربهم.

ج- أن يعمل المريد بما علم من غير تأن. ولو كان في العمل عناء لنفسه أو ضياع لجاهــه وماله.

أما الجانب الآخر من التربية الأخلاقية التي يستحسنها الإمام أبو العــزائم لإخوانــه ، فقــد وضع لإخوانه آداباً كثيرة في الأخوة منها:

- أن يراعي الإخوان أنهم كالجسد الواحد ، إذا اشتكي منه عضو تداعي له سائر الأعضاء بالحمى والسهر.
- أن لا يميل الإخوان في حل قضاياهم وعتاباتهم إلي الأخذ بالقرابة أو أي شئ آخر دون الحق.
- إذا رأي الأخ من أخيه هفوة أو زلة ، فلا يفشها لأحد ، ولكن يجتهد في تقبيحها أمامه بالحكمة
- أن يعتقد الأخ عقيدة إخوانه المؤمنين ويري رأيهم ويعمل أعمالهم بحيث لا يخالفهم في معروف في الدين.
- أن يعمل كل أخ بالدعوة إلي الله ، فيدعو النــاس جميعــاً إلــي الله تعــالي بالحســنى والموعظة الحسنة.

- ألا يكره الأخ أخاه المسلم لغير معصية الله ، وينفر منه ويعاديه ويظهر من تلك الآداب وغيرها حرص الإمام أبي العزائم الشديد علي التمسك بـأداب الكتاب والسنة بين الإخوان. كذلك يبدو منهجه التربوي الذي يعالج أمراض النفوس التي تفسد علي الإخوان مودتهم وحبهم لبعضهم بعضاً.

(٤) التربية الاجتماعية:

يقصد بالتربية الاجتماعية ، ما يتعلق بالفرد والجماعة في فكر الإمام أبي العزائم ولقد اهتم الإمام أبو العزائم بالفرد ، ثم بالأسرة ، ثم تناول قضاياً المجتمع بالنقد والتصحيح ، وهي قضايا هامة في حياته ، وقد أخذت منه الكثير.

أما إهتمامه بالفرد فتمثل في تصحيح وتقيم علاقته بالأسرة وبإخوانه وأخيراً بمجتمعه وعن اهتمام الفرد بأسرته ، فقد بين أن الفرد في حياته المنزلية كأنه أب رحيم وأخ كبير كريم ، فهم أبوهم عند الإنفاق عليهم وملاحظة شئونهم ، وأخوهم الكبير عند قيامهم بما آلزمهم من الأعمال فتكون يده مع يدهم ولسانه مع لسانهم. وأما علاقة السلم بمجتمعة فقد وضح في أكثر من موضع أن حياة المسلم في المجتمع المدني كحياة العضو من الجسد ، مع كل عضو آخر ، ولكل عضو من الجسد عمل خاص به لو أهمله لفسد الجسد ، وكذلك كل مسلم في المجتمع المدني مطالب بحقوق وعليه واجبات لا يقوم بها غيره في هذا المجتمع ، لو أهمل فيها لكن هذا سبباً لفساد هذا المجتمع ، وكان عليه إثم هذا الفساد بأجمعه.

(٥) التربية الروحية:

تنتهي مجالات التربية لدي الإمام أبي العزائم عند التربية الروحية ، حيث العروج الروحي الذي لا يصل إليه إلا المسلم الذي استكمل الجوانب الأخرى من التربية.

وقد بين الإمام أبو العزائم – في أكثر من موضع – لأتباعه ومريديه أن يكونوا أحرص الناس علي صحتهم الروحانية ، فلا يصرف الواحد منهم نفساً واحداً في غفلة أو أمل في الدنيا أو حظ نفساني ، فيعمل في الدنيا لتكون وسيلة للآخرة ، ويجلس الناس لينتفع منهم ، أو ينفعهم نفعاً يدوم أثره.

ومن وسائل التربية الروحية عنده رضي الله عنه: سماع الحكمة المطهرة للأخلاق وسماع الخطب والمواعظ وقبل ذلك كله سماع القرآن الشريف ، وقراءة سير الرسل وخلفائهم وورثتهم والعلماء بالله ، حتى تنطبع تلك الحقائق في خيال الإنسان المسلم ، فتصدر عنها أعماله وأحواله وأطواره موزونة بميزان.

ومن الأعمال التي تربي السالك تربية روحية ، تكليفه رضي الله عنه مريديه بقراءة أوراد وأذكار معينه تعنيهم علي تزكية نفوسهم وأرواحهم.

وتبين رسائل الإمام أبي العزائم لمريديه عظمة التربية الروحية عنده رضي الله عنه فلقد أرسل الإمام رضي الله عنه خطاباً إلي أحد مريديه يقول له فيه: (إذا ورد لك جوابي ، فاقرأ ثلاثة وثلاثين ، ألم

نشرح لك صدرك ثم توجه إلي عملك..فإن وجودك في أعمال التجارة أكمل عبادة الله..) وكـــان هـــذا المريد يطلب من مرشده أبي العزائم أن يترك عمله ويخلو للعبادة.

جهود الإمام أبي العزائم في توجيه المريدين ولقد تمثلت هـذه التوجيهات فيما يلي: -

(١) إصلاح ذات البين:-

يري الإمام أبو العزائم رضي الله عنه: أنه إذا عاتب أخ أخاه أو خاصمة ، وكان لأحـــدهما أقـــراب أو أصدقاء من الإخوان – أو كان بين أحدهما وبين الإخوان شئ في النفس... فالواجب علي الإخـــوان أن يجعلوا الحق أكبر من أن يميلوا عنه إلي القرابة وعلي من في نفوسهم شئ أن يروا الحق أجل وأعظم من أن يخالفوه لحظ نفساني ، ويكونوا مع الحق ولو علي أنفسهم سعياً وراء الصلح والإصلاح ، حتى تسلم صدور الإخوان لبعضهم وتصفو قلوبهم من الحقد والضغائن.

(٢) النصيحة بالحكمة:

يشير الإمام أبو العزائم إلي أن السالكين في طريق آل العزائم أطبـــاء رحمـــاء يعـــالجون الأمـــراض الأخلاقية بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويري أن من نفر أخاً من أخ فليس من طريقنا.

(٣) النصيحة لمن يخالف الشرع: -

يري الإمام أبو العزائم إنه إذا جاهر أحد الإخوان بما يخالف الشرع ، أو مـــا يخـــالف المرشـــد فالواجب علي الإخوان أن ينصحوه ، فإن قبل وألا هجروه ، فإن تاب وإلا قطعـــوه مـــن نســـب الأخوة ، وأعلنوا ذلك لجميع الإخوان ، حتى يشاع عند الناس ، فلا تنسب عيوبـــه للإخـــوان.. ويوصى أيتباعه علي اليد المخالف ، لأن التساهل بالمخالف المجاهر من أكبر المصـــائب علـــي الطريق وأهله.

(٤) الإيثـــــــــــار:

كذلك يري رضي الله عنه أن من أكمل صفات الإخوان أن يؤثر كل واحد منهم أخاه علي نفسه ، ولـــو فيما هو محتاج إليه ، كما قال تعالي:

(ويؤثرون علي أنفسهم ولو كان بهم خصاصة).

(٥)الشفقة والرحمة والعطف بالفقير:

يوصي الإمام أبو العزائم إخوانه أن يجعلوا الفقير الضعيف المسكين محل الشفقة والرحمـــة ، حباً في الله وتقرباً إلي رسول الله صلي الله عليه وسلم لمن اتصفوا بالصفات التي يحبها.

(٦) البذل والبشاشة وإدخال السرور على الأخوان:

ويقصد بذلك رضى الله عنه أن يبذل الأخ منهم لأخية ما لا كلفه فيه من البشاشة والعلم والطعام والمساعدة عند اللزوم، أو عند طلبه للضرورة.

وعلى من قدم شيئاً من ذلك أن يعتقد أنه أخذ بما أعطاه،لأنه بتلك القربة كأنه أنفق فى سبيل الله.

(٧) غض البصـــــــــر:

ينصح الإمام أبو العزائم إخوانه قائلاً:(إذا اجتمع الإخوان فى بيت أخيهم لطعام، أو لزيارة أو لمشورة، فعلى كل أخ أن يغض بصره عن عورات أخيه، وأن يعينه على شكر الله، بأن يحسن له ما هو فيه من المعيشه، وأن يظهر الفرح بما تقدم من الطعام ولو لم يكن جيداً، إدخالاً للسرور على قلب أخيـــه (٨)

القيام بالواجـــــب:

ويقصد به الأمام أبو العزائم تكوين مجتمع متكافل يساعد بعضه بعضاً، حتى لا يحتاج الإخـــوان إلى معين خارجى، وقد يفسد عليهم تآخيهم وتعاونهم على البر والإصلاح فمن الإخـــوان كنـــوز علم،ومنهم عمال لجلب الخير ودفع الضرر، ومنهم كنوز مال، ومنهم الســـائحون فـــى الأرض لتذكير عباد الله..... الخ.

(٩) التأليف بين المسلمين:

فهو رضي الله عنه يدعو كل فرد من إخوانه أن يكون داعياً إلي نشر الإسلام وذلك عن طريـــق التسامح والتراحم ، وليس عن طريق التعصـــب للشـــيخ أو بيـــان أن طريقتـــه هـــي أفضـــل الطرق..فهذا كما يقول...ينفره منك ، وأنت مكلف أن تـــدعو النصـــراني واليهـــودي إلـــي الله تعالي..فإذا كنت لا تحسن أن تدعو أخاك المسلم إلي ما علمت من الحق..فكيف تكون داعياً إلي الله ؟

(١٠) المحبة لأهل لا إله إلا الله:

يري الإمام أبو العزائم رضي الله عنه أنه من شر الشرور أن يكره المسلم أخاه المســـلم بغيـــر معصية الله ، وينفر منه ويعاديه ، كما يحصل بين أهل المذاهب وأهل الطرق..وقد لاحظ رضي الله عنه أن بعض أهل الطريق يبغضون من لم يسلك طريقهم ، ويعتقدون أنهم على الحـــق وأن غيرهم على الباطل ، وقد يبلغ بهم العناد أن يلعن بعضهم بعضاً ، ويكفر بعضهم بعضاً من غير بينه ولا حجة من كتاب ولا سنه ، بل للحمية الجاهلية والعصبية الجهنمية ، ولو تـــأملوا قلـــيلاً لتبين لهم أنهم جميعاً إخوان في الله ، الإمام لنا القرآن ، والنبي سيدنا ومولانا محمد صلي الله

عليه وسلم ، وربنا جميعاً الله تعالي ، وأنه لا خلاف بيننا في عقيدتنا ولا في عبادتنا ولا في معاملاتنا.

هناك توجيهات أخري كثيرة من الإمام أبي العزائم لمريديه ذكرها في كتبه ومنهجه ومما سبق يتبين لنا أن الإمام أبا العزائم يتسم في توجيهه للمريدين والإتباع بصفتين هما:

(٢) الحرص على العمل بآداب الشريعة وتمسكه بها.

(٣) منهجه التربوي الذي يتميز بالسهولة والرفق مع المريد المخطيء واستخدامه لطرق تربوية متعددة قلما يرفضها المريد أو يمتنع عنها.

الخاتمـــــــــــة

يمكننا القول في ضوء ما سبق أن الإمام أبا العزائم حاول إعادة الدور الذي قام به بعض أسلافه من أئمة الصوفية في المجال الاجتماعي..بالإضافة إلي المجال الديني الذي يتمثل في الدعوة إلي الله تعالي.

وهو بذلك يخرج عن الإطار الذي ألفه الناس عن كثير من شيوخ الطرق الصوفية.

فقد عُرف عن شيوخ الطرق في القرون الأخيرة عزلتهم عن المجتمع وقضاياه ، والنظـــر إلـــي التصوف على أنه خوقة بالية يتدثر بها الشيخ أو المريد ليعرف عنه الزهد والورع ، أو الإقامة الدائمة في المساجد أو الخروج غلي الصحراء دون الاهتمام بطلب الـــرزق أو المشـــاركة فـــي أحداث المجتمع.

نتائج هذا البحث

ويمكن أن نجمل النتائج التي توصل إليها البحث فيا يلي:

١- تناول البحث موقف الإمام أبي العزائم من عصره ، وقد انتهي إلي وجود دور فعال مؤثر قام به في المجالين السياسي والاجتماعي.

٢- كشف البحث عن وجود دور علمي ونظري للإمام أبي العـــزائم تجـــاه التصـــوف والطـــرق الصوفية. ويمكن الدور النظري في رصده لأهم البدع والانحرافات التـــي أخـــذها أدعيـــاء التصوف والطرق الصوفية. ويتمثل الدور العلمي في وضعه منهجاً علميا تربوياً استطاع من خلاله تربية جيل من الأتباع والمريدين على الأصول الصحيحة للتصوف

٣- دل البحث علي وجود تجربة صوفية صادقة لدي الإمام أبي العزائم بعيدة كـــل البعـــد عـــن المغالاة في القول والعمل وتأخذ بما يرشد إليه الشرع الحنيف.

٤- توصل البحث إلي تمتع الإمام أبي العزائم بثقافة دينية وعلمية واسعة كانت من وراء نجاح دعوته إلي الله تعالي ، وتكوين أتباع ومريدين كانوا بعد ذلك – الأسس والقواعد التي قامت عليها طريقته الصوفية الجديدة.

توصيات البحـــث

وفي ضوء ما توصل إليه البحث من نتائج دلت على قيمة الدور الذي قام به الإمام أبو العــزائم في التصوف – فإنه يجدر ذكر بعض التوصيات التي لاحظها البحث ويري أنها جـديرة بالـذكر والإشادة ومنها:

١- يوصي البحث شيوخ الطرق الصوفية وأتباعهم الأخذ بآراء الإمام أبي العـزائم النقديـة ليتسنى لهم تصحيح مسار التصوف المعاصر وتنقيته من البدع والانحرافات.

٢- كما يوصي البحث بالأخذ بمنهج الإمام أبي العزائم في الإصلاح عـن طريـق الاهتمـام بشيوخ الطرق ومراعاة الشروط التي عليها لائحة الطرق الصوفية في شـيخ الطريقـة العزمية، حتى يمكن تربية الأتباع والمريدين على أيدي أمينة.

٣- حث الإمام أبو العزائم أتباعه على طلب العلم وعدم اعترافهم على علم مـن العلـوم ، وهذا ما يجب الأخذ به بين أبناء الطرق الصوفية اليوم لترتفع نسبة التعليم بين أبنـاء الطرق وشيوخها.

٤- وجه الإمام أبو العزائم إخوانه إلي العمل بآداب الأخوة الإسلامية والحرص علـى نقـاء القلوب وصفائها حتى يظل الحب والإخلاص فيما بينهم ، وهذا ما يفتقده كثير من أبناء الطرق الصوفية – الآن – ولذا يحب الأخذ بآداب الأخوة التي بينها الإمام أبـو العـزائم لإخوانه.

٥- يوصي البحث المشيخة العامة للطرق الصوفية بمصر أن تنظر إلي المنهج الذي وضعه الإمام أبو العزائم لإصلاح أبناء الطرق الصـوفية وشـيوخها ، وأن تحـاول تطبيقـه وممارسته.

كتاب السر الأعظم

إعداد

الدكتور مصطفي محمود

طبعة دار المعارف

التعرف بالكتاب ومحتواه

يقع هذا الكتاب في ١٢٠ صفحة ويتضمن ما يلي:

- مقدمة: من ص ٧ إلي ص ١٣.
- الهو: من ص ١٥ إلي ص ٣٤.
- الأنا: من ص ٣٥ إلي ص ٥٨.
- المشهد التوحيدي وكشف الحجاب: من ص ٥٩ إلي ص ٨٠.
- الحب الإلهي: من ٨١ إلي ص ٩٢.
- المصير: من ص ٩٣ إلي ص ١٠٦.
- الخاتمة.

مـــــقدمــــــــة

استهل الدكتور مصطفي محمود كتابه الهام " السر الأعظم " بمقدمة هي مفتاح الـدخول لهـذا الكتاب فقال:-

(موضوع اليوم بحث واستقصاء أرجع فيه إلي السادة العارفين وأعتمد علـي آراء الأقطـاب الكبار الكمل ، من أهل الكشف والفتوحات ممن لا شك في مكانتهم العملية وصدقهم ، أمثال ابن عربي والغزالي ، والنفري ، والجيلي ، وأبي العزائم ، وابن الفارض).

ثم قال: (موعدنا اليوم إذن مع أهل الله وأحبائه ممن انشرحت صدورهم لتلقي الأسرار الإلهية، وليس مع المعاندين المكايرين من أهل الجدل.... ولن نلجأ في هذا الكتاب إلـي حرفـة الجـدل ومقارعة الحجج).

إلي أن قال: (والسائر معي في هذا الكتاب سوف يجد المسيرة أشق وأصعب من أي كتاب آخر ، وسوف يكتنفه الغموض ، وقد يبهم عليه الأمر... وقد يتوقف... لأننا هذه المرة نحاول النفاذ من أقطار السموات والأرض والخروج من حدود الزمان والمكان لنتحسـس المطلـق حيـث لا تسعفنا العبارة ، وحيث لا نجد الكلمة وحيث تتقاصر الحروف عن المعاني - وهذا هو الشـأن دائماً في بحر المعارف الإلهية – يقول الإمام أبو العزائم: إن العبارة لا تفي ببيان المضنون من كلام العارفين.. إنما هي أنوار وإشارات ، والنفس تذوق من المعاني بقدر ما وهبها الله.

ويقول: العبارة لا تكشف الحقيقة ، ولو أنها تكشفها ما بقي علي وجه كافر).

الهــــــــــــو

تحت هذا العنوان يواصل الدكتور مصطفي محمود كشف الرموز والإشارات فيقول: (الصـوفي العارف لا يري حيثماً توجه إلا الله... (فأينما تولوا فثم وجه الله) البقرة: ١١٥ فكل مـا فـي الدنيا تجلياته وتنزلات أسمائه الحسني وصفاته.

كل مظاهر الكون رموز من حيث تشير إلي الحقائق الإلهية والتجليات الأسمائية... فما ثم شيء عادي وإنما كل شيء في نظر الصوفي يدعو إلي الدهشة: والوجود كله عجب لأن كل ما يبـدو له يحدث عنده ذكراً ويكشف حكمة ويجلو أمرا... وهو أينما تلفت يقول مبهوراً الله.. الله

وليس في الأمر مجاز أو تشبيه وإنما كشف روحي.. نوراني.

يقول العارف بالله أبو العزائم:

حكمة الخلق أن يلوح ظهوراً   غيب غيب منزها مستوراً

أي أن حكمة خلق الله للكون هي أن يلوح الخالق ويظهر ويجلي للعيون غيبه المنزه المستور.
ويتساءل الإمام أبو العزائم.. كيف يخفي الإله ؟؟؟!!

كيف يخفي والكون علوا وسفلاً مظهر له يلوح مثالاً
كل شيء أراه في الكون يبني بمعاني توحيده إجمالا

والحق تعالي يتصف علي مقتضي ذاته ، يتصف العبد علي مقتضي ذاته فتختلف الصفات وإن اتحدت الأسماء والألفاظ واحده والحكم مختلف والعبد والرحمن معبود
يقول أبو العزائم:

عملت أني عبده والعبد عبد لا مفر

ويقول: إن الله بعيد برغم قربه ، متعال برغم ظهوره

قريب لأهل القرب جل جلاله علي علي الإدراك والتحديد

فالله هو الظاهر في المظاهر.. وفرق بين الظاهر وبين المظاهر كالفرق بين الخمر والقدح وفي ذلك يقول الإمام أبو العزائم:
صارت الأكوان للخمر قداح..
أي صارت الأكوان مظهراً للخمر الإلهية " أي الأنوار الإلهية – أنوار الأسماء والصفات ".
" دنها رسمي وقلبي كأسها " والشرب من هذه الخمر هي رؤية الله في آياته، وحينما ويقول أبو العزائم: " الرسم " فإنه يقصد الجسد والمعالم المادية للأشياء ، فالجسد هو دن الأنوار والقلب كأسها.
وإذا استعرنا التشبيه العصري فسوف نقول " الظاهر والمظاهر كالنور في أنابيب النيون وأنابيب النيون ذاتها... فأنابيب النيون هي المظاهر في تشكيلاتها المختلفة وهندستها المتفاوتة... وفي كل أنبوبة تجلي صفة خاصة للنور حسب هندسة الأنبوبة وتركيبها فأنبوبة تظهر النور الأحمر ، وأنبوبة تظهر النور الأزرق ، وأنبوبة تظهر النور البنفسجي وكل هذه الألوان من النور الأبيض الواحد.. فهي تفصيل ما أجمل في النور الأبيض وهو الظاهر فيها جميعاً علي اختلاف مظاهرها، ومن هنا يقول أبو العزائم إن التجلي هو نزول من الإجمال إلي التفصيل:

أشهدنا نور النزول عيانا من مقام الإجمال للتفصيل

وفي بيت آخر يقول الإمام أبو العزائم في نفاذ بصيرة نادر :
وأظهر لنا شفع الحقائق بالوتر
والوتر والشفع هما الواحد والعدد.

والواحد كما نعلم مدرج في جميع الاعداد وسار فيها والأعداد هي مضـــاعفات الواحــد، وهـــي تكشف لنا جميع الاحتمالات الرياضية والحسابية في الرقم " واحد " وهي تفصـــيل مـــا أجمـــل واستتر فيه. ويقول أبو العزائم عن احتجاب الله في المظاهر: إنه " تنكر الواحد في العدد "

ولو لا التنكر لم يلح معدود

وفي بيت أخر ملئ بالإشارات يقول:

إن التنكر حصننا في سرنا   لولا التنكر دكت الاكوان

التجلي:

ويقول الإمام أبو العزائم في موضوع التجلي:

وأشهد هذا الكون لوحاً مسطراً   بآياتة العليا تلوح لذي عقل

ويقول مخاطباً ربه:

تراك عيون الروح في كل مظهر   فلا تحجب الأثار لأسماءك الحسني

ويقول:

تجلي لنا حتي نشاهد أننا   فلا تحجب الآثار أسماءك الحسني

ويقول:

تجلي لنا حتي نشاهد أننا   مظاهر آيات لأسمائك الحسني

ويقول في كلمات ثاقبة في شافيتها العرفانية:

ولولا سطوع الغيب في كل مظهر   لأحرقني وجدي وأهلكني عقلي

أي أنه منذ مطالعته لنور وجه الله في للمنشأة الأولي " قبل الميلاد " وهو في شوق محرق إلي هذا النور.. ولولا سطوع هذا النور من خلال المظاهر الدنيوية لأحرقه وهلك عقله.

وهو كلام معناه أن المظاهر الدنيوية حجاب علي الغافل الذي يقف عندها ويجعل منهـــا نـهايـــة مطلبه ، أما عند العارف الذي يتجاوزها إلي ما وراءها فهي دليل هاد كاشف لا حاجب ،وفيهـــا يتذوق العارف الحضور الإلهي ويجد السلوى عن أشواقه المحرقة إلي لقاء ربه.

ومن هنا كان لا حجاب بالنسبة للعارف فالله الحق ظاهر في كل شيء وهو عين الحجاب علـــي نفسه.

سبحات النور:

والكثير من الصوفية يسمون سبحات النور المحيطة بالوجه... يسمونها الوجه الكريم علي سبيل التجوز... ومنهم الإمام أبو العزائم الذي قال برؤية الوجه الإلهي... كان يقصد هذه السبحات بدليل هذه الأبيات التي قالها عن الذات:

هي في كنز العما ليست تري ... إن تجلت أصقعت أهل الكمال
والجلال لها سياج مانع ... عن حمالها كل روح او عقال
نزهت عن أن يراها غيرها ... أشرقت بالاجتلا حال انفصال
مظهر يجلي لنا أنوارها ... نزهنها عن حلول واتصال

ثم يقول:

لم يلح منها سوى أو صافها

ومعني ذلك أن كل ما قاله عن رؤيته للوجه الإلهي، وهو كثير متكرر في أشعاره، كان يقصد به السبحات النورانية التي تحيط بالوجه، وليس الوجه لأن الوجه دونه الجلال والهيبة والعزة المهلكة لكل من تطلع إليه كذلك رؤية الذات مستحيلة ولكن رؤية أنوار مجلي الذات ممكنة.

الهوية:

يعبر عنها الإمام أبو العزائم بحرف " الهاء " – الهاء كما نعلم أعمق الحروف نطقا وخرجاً وصدوراً فهي تخرج من الصدر من الجوف ، بعكس حروف أخري سطحية مثل الصاد والسين والميم وتخرج من اللسان والشفتين– ولذلك يتكلم عن " هاء الهوية " ويعتبر الصاد والسين رموزاً للجسد " الرسم والسور ".

وهذا كلام أهل المشاهدات.. ولا قدم في هذا الموضوع إلا لمن شاهد، والعلم في هذا الموضوع علم قلبي كشفي وهبي تذكري لا يحصل بالاكتساب والاجتهاد والعلم، وإنما بالجودة الإلهي، والاجتباء والاصطفاء والإلهام من الله لمن سبقت لهم الحسني عند ربهم، لمن جردوا نفوسهم وجردوا قلوبهم وأخلوها من الأغيار " كل ماسوى الله " والتزموا الطاعة والعبادة والبر والخير والذكر الدائم والاستغراق الكامل في حب ربهم والشوق إليه.

الأنا

تحت هذا العنوان يقول الدكتور مصطفي محمود: يقول الإمام أبو العزائم عن نفسه ويقصد الإنسان إطلاقاً:

أنا كنز ربي ورمزه...

أنا مظهر لجمال طلعته..

ذاتي مظهر لكشف اللثام " الله يكشف عن ذاتيته في ذاتيتي وهي شطحة في غاية العمق "..

وهيكلي ذاتي اللوح سطر بالسر..

أنا الرمز المشير لكنز غيب..

وطلسمي مباني الدنية..

أنا الطين مشكاة مضيء " بصورة الأسماء والصفات ".. وكلها إشارات إلـــي أن الإنســـان هـــو المظهر الذي تتجلي فيه الأسماء والصفات الإلهية، علي قدر استعداده لقبول الفيض الإلهـــي.. والنفس قابلية صرفة تتفاوت عمقاً بين واحد وآخر.

يقول الإمام أبو العزائم:

أنا نسخة من قبضة الكنز عندما	تجلي بحسن الاسم والزينات
أنا الوصف والأسماء والشوق قادني	وقد رفعت بين الوري راياتي
أنا شجرة الزيتون لا الشرق يحوني	ولا الغرب يفهمني ببعض صفاتي

وذلك إشارة إلي الآية القرآنية التي تقول: إن مصباح النفس (يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية) تنويها بأن أنوار الله وأنوار الذات مطلقة لا تتقيد بالجهة والمكان والمقدار فلا هي شرقية ولاهي غربية.

ويقول أبو العزائم:

من الطين قد صاغ المهيمن هيكلي	وصيره كنزا لتفصيل إجمالي

وقد سبق أن قلنا : إن التجلي هو تنزل من الإجمالي إلي التفصيل فالعلم ينزل النفس مجملاً ثم يتفصل بعد ذلك بالتذكر والتعليم.. وما تحصله النفس من معارف هو تفصيل ما أجمل من النفخة الإلهية عند التسوية: (فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له سادين) "الحجر : ٢٩" وهي النفخة التي تتكرر بالنسبة لكل مولود بعد تسويته وحينما يصبح قابلاً للفيض الإلهي.

ويقول أبو العزائم متسائلاً

من أنا والكيان يشغل قلبي	جاهل بالمقام حلف الذنب
أدعي الحب والمحبة حظر	خصصت للمراد بعد الشرب
غيبته عن دار دنيا وأخرى	فر لله في مقام الجذب

خصصت للمراد بعد الشرب: أي بعد رؤية الله في آياته.

ثم يجيب علي نفسة قائلاً :

إن قلت مصباح نور من جلالته فالقول لا يدركن إلا لأمثالي
أو قلت صورته العليا مجملة بالنور نور التجلي غيب متعالي
أو قلت قبضته العلياء من أزل لاحت تشير إلي نور البها العالي
فالقول لا يكشفن قدري ومنزلتي إلا بسابقة الحسني لذي الحال
سر ؟ نعم لاح في طين وفي حما لم يتضح فيه تفصيلي بإجمالي

ويقول عن الأولياء:

تراهم عيون الناس ناسا ونورهم علي عن الأرواح في كنز غيبه

ويقول عن نفسه

فظاهري الرمز المشير لباطني إذا فك لاح النور من فيض إمداد

ويقول في نغم راقص جميل:

أه إن كشف الحجاب واحتست روحي الشراب
يظهر الغيب المصون فأري العجب العجاب
أه إن فكوا الرموز يظهرون لب اللباب
وأري أني صور جملت بالانتساب

ويقول عن النفس الإنسانية:

مجمع الأضداد كنز غامض لم تر أسراره كل العيون
لم أبح بالغيب في لأنني إن أشرت إليه أرمي بالجنون

فالنفس مجمع الأضداد لأنها تجمع بين حضيض سفل العناصر وأعلي عليين الأنوار الإلهية فهي " الثلج والنار قد جمعا برحمته " والإنسان في حالة البعد عن ربه تراب وطين وشهوات وغرائز ، وفي حالة القرب والجمع علي ربه نور علي نور يري ببصر ربه ويسمع بسمعه ، وهو في الحالتين لا يفارق العبودية فهو العبد لم يزل والرب رب لم يزل

لوح آيات التجلي هيكلي جامع الضدين ختمي أولي

فالإنسان مجمع البحرين يلتقيان ولا يمتزجان بينهما برزخ لا يبغيان..بحر المادة وبحر الروح بحر هوان العبودية وبحر نور الالوهية بحر المفارق والمجانس..ولا امتزاج ولا اتحاد ولا حلول..وإنما يظل الرب ربا ويظل العبد عبدا ، والصراخ لحظة الكشف ورفع الحجاب ورؤية العبد بعين الرب.. الصراخ في هذه اللحظات بعبارات.. أنا الله.. سبحاني ما أعظم شاني ، هو

نقص من الصوفي وعدم تمكن وسوء أدب مع الله وفقدان للوعي وسكر وعدم كمال من العارف.. أعاذنا الله من الخذلان.

والروح مجانسة للملكوت والملأ الأعلي في صفائها ونورانيتها ، والجسد مفارق للملكوت والملأ الأعلي بكثافتة وظلامه وغلظته ، ومجانس للشياطين بناريته ، ولكنه بالرياضة والمجاهدة يصفو ويرق ويجانس الروح.

عجبت ومن ماء وترب ومن هوي ونار يشاكلها بكل مقام
يجانسها صفوا فيخفيه نورها فيرقي إلي العلياء بالإكرام
يري في جوار الطهر في المقعد العلي ويشهد في العالين بالإعظام
أيا رسم من سفل تصاغ وترتقي ؟! فبين بحال أو صريح كلام

فيجيبه الجسد قائلاً.. " ولولا ظلام الليل لم يعرف الضيا".

ولولاي ما جاهدت في الله مخلصا ولولاي ما شرفت بالإكرام

فبالمرض عرفت الصحة ، وبالسواد عرف البياض ، وبالسفل عرف العلو ، فكان الجسد بهذا المعني وسيلة إدراك ومعراج صعود إلي العلو وهذا شرفه.

وهذه الرياضة هي تزكية النفس بمجاهدة الجسد " نار المجاهدة نور المشاهدة " وسنتكلم عن هذه التزكية بتفصيل أكثر في حينها.

فرسمي " أي جسدي " معراج لحضرة قربه ونفخته شمي تضئ حدودي

والعكس صحيح أنه في حالة تدني النفس إلي أوحال الجسد المادية واشتغالها بإشباع شهواته فإنها تثقل وتعتم وتجانس الجسد في كثافته وظلاميته وغلظته وهذا معني ظلم الإنسان لنفسه.

والحركة صعودا وهبوطاً هي حركة النفس ، أما الروح فهي دوماً في الإطلاق.. الروح في الجسد مثل الشمس في ماء البئر تظهر فيه دون أن تتحيز..كذلك النور الرباني.

نور معناه مثل شمس بماء

والروح دوماً مجذوبة إلي الله " إلي أصلها " وهي بالتالي تجذب النفس والجسد إلي العلو بينما الجسد متدن وفي حالة قصور ذاتي مادي يشد النفس إلي السفل إلي ماديته.

تجذب الروح الهياكل للصفا أعلي المنازل
أن أداروا صرفا أسكرت عال وسافل

والجذب الإلهي للنفس فضل وتقريب ، والجذب الجسدي إبعاد وتغريب ، والسؤال الآن هو ماذا قبل ؟؟

ماذا قبل هذه التسوية في الأرحام ، ونفخ الأرواح في الأجساد.. هل كان لنا وجود قبل ذلك.. وأين...وكيف ؟!

والإجماع على انه كان لنا وجود قبل ذلك بدليل مشهد الميثاق في القرآن وهو المشهد الذي أخذ علينا فيه ربنا الإقرار بربوبيته قبل النزول إلي الأرحام.

{ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على انفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين. أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون } " الاعراف: ١٧٢ ".

هنا كانت مواجهة..الأبناء قبل أن يخرجوا من ظهور الآباء وقفوا بين يدي ربهم والابن لا ياتي قبل الأب إلا أن يكون في اللا زمان واللا مكان في العندية الإلهية والنفس ما زالت نورا قبل أن تلابس جسدها الطيني.

يؤيد ذلك ما ورد في سورة التين الايتين ٤ ، ٥: { لقد خلقنا الإنسان في احسن تقويم * ثم رددناه أسفل سافلين }.

والعارفون يفسرون هذه الآيات بأن الإنسان كان له طور نوراني في الأزل كان فيه في أحسن تقويم قبل أن يرد أسفل سافلين في حشوة الطين والماء المهين.

والإمام أبو العزائم يردد كثيرا في أشعاره هذا الطور النوراني ويذكر بالشوق والحنين موقفه بين يدي ربه في مشهد " ألست بربكم " ويطلب من الله أن يرفع عنه الحجب ليعود إلي هذا المشهد ويتمتع برؤية وجه ربه ويسمع خطابه في الأزل " ألست بربكم ".

ويؤلف هذا المشهد الأزلي موضوعا محوريا في مشاهدات الإمام وهو حجته على ان الإنسان له وجود أزلي نوراني قبل التصوير في الطين.

ولا عمر لي والبدء محتد نسبتي   ودورة تلك الشمس بعض قوادمي

لقد كان موجودا قبل أن تولد الشمس

ويحكي هذه القصة شعرا فيقول:

قد كنت نورا ولا ملك ولا فلك   في كنز أخفي يراني كل أبدال

والأبدال هم الأولياء الذين كانوا معه في كنز الجود الإلهي – أي في العلم الإلهي – ومرة اخري يسميه كنز المجمل – أي الذي أجمل فيه كل شئ.

وفي مكان أخر يصف هذه الحضرة الاولي وصفا غامضا.

إلي حضرة الإطلاق بدني حيث لا   سماء ولا أرض بحيطة نور

ونون عند الصوفية هو بحر نور الأزل بدأ منه كل شئ وأول قبضة من هذا البحر كانت النور المحمدي.

ونون كرمز وحرف هو الدواة التي جاءت منها كل الكلمات " كلمات الله التي لا تحصي " ولذلك يذكر القرآن الحرف " ن " مرتبطاً بالقلم.

{ ن والقلم وما يسطرون } " القلم:١ ".

ثم يذكر الإمام أبو العزائم أنه طاف بكعبة القدس العلي " وهي كعبة في السموات تقابل الكعبة المعروفة على الأرض " وهو في طوره النوراني:

طفت قبلا بكعبة القدس حتى   صح سعيي إلي الجناب العالي

وفي مشهد غيبي أخر يقول:

أطوف حوالي قدسه في مشاهد   علت عن إشاراتي سمت عن تعقلي

ومن حضرة الإطلاق وكنزل المجمل يتنزل إلي كنوز الأسماء الإلهية " لتفيض عليه من أوصافها وأحكامها ".

صرت لا كون لي أعدت لبدئي   في كنوز الأسماء أحيا حبورا

وفي كنوز الاسماء يتم إمداده وتخصيصه بصفاته المتفردة المعينة. ثم يأتي بعد ذلك مشهد الميثاق بينه وبين ربه ويسمع الخطاب الرباني في الأزل " ألست بربكم " ثم يكون إهباطه من حضرة " الجمع " إلي حضرة " الفرق " في هيكل اللحم والطين في الرحم ، ثم ينزل إلي الدنيا وينسدل عليه حجاب الرغبات وتشتته الحواس فينسي تاريخه وتسجنه الدنيا في إطار الزمان والمكان واللحظة والنزوة فينزل إلي أسفل سافلين.

ويذكر الإمام لقطات من هذا التاريخ ويشعر بالحسرة لما هو فيه من سجن ، ويحن إلي الإطلاق وإلي الصفاء الأول:

كنت روحا أشتاق والنور حولي   صرت جسما في دار دنيا دنيه

ظل كوني قد حجب الروح ويحي   عن شهود الاسرار في الصمديه

كيف صبري من بعد رؤية وجه   في صفا عن صورة المثنويه

أنت يا جسم قد سترت حبيبي   صرت يا جسم للقريب بليه

خل روحي تفر لله إني   في هيام للوصول للأحديه

وفي مكان أخر:

أعدني إلي بدئي لأفني عن السوي   بجذبة حب منك يا سابغ الفضل

ألخ لي نور الوجه جمل لطيفتي   بسر اجتلا الأوصاف من غير ما ظل

ويعاوده الحنين إلي الاولية:

أحن إلي العود الذي كان اولا   حنينا إلي الإطلاق سر التجمل
لاشهد نور العين بالعين أشرقت   من القدس لا من حيطة وتسفل
أن البدء تحناني إلي البدء صبوتي   إلي القدس تهيامي لنيل تواصل

ويجود عليه ربه بمشهد العود فيغني منتشيا:

أعدت إلي العلم اللدني مجملا   برتيه تعييني فتبت من التوب

وفي مكان آخر:

أعدت إلي أزل فلم أر غيره   وصرت له المرآة جل ثناه

ويذكر مشهد " ألست ":

لي تجلي من قبل كن فأراني   سر بدئي والعود بعد شتات
لم يكن في الشهود لبس لأني   منذ بدئي بلا حيطات " بلا حدود "
فعيوني التي راته قبيلا   لم تحجب بحيطه الكائنات
من " ألست " وقبلها كنت نورا   سورة التين وضحت كلماتي
كل يوم شأن جديد وروحي   تشهد الحق هيكلي مرآتي

فالإنسان أزلي وهو عند الصوفية مجمع حقائق (كل ما تراه في الكون مفرقا تجده في الإنسان مجمعا فهو الكتاب الجامع والكون صفحاته ، ففيه مادة الكون وعناصره ، وفيه طـين الأرض ، وفيه سماوات داخلية لا نهائية وفيه انوار الشموس وناريتها في غرائزة وإشراقاته وإلهاماته ، وفيه الحقائق الغيبية كلها فقلبه عرش الرحمن ونفسه اللوح وعقله القلم وهيكلة السدرة ومادته الطور والكرسي ومنصة التجليات التي تتجلي فيها الأسماء والصفات الإلهيـة ، وهـو الـرق المنشور الذي سطر الله فيه قدره ، وفي داخله البحر المسجور ، بحر النور المتفجـر الفيـاض بالجود الإلهي.. وجسمه المشكاة ، وبصيرته الزجاجة وقلبه المصباح وعبوديته لله هـي مـدد الذي يستمد كالزيت النور الإلهي الذي يضئ دون أن تمسسه نار كما جاء في إشـارات سـورة النور).

(الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونه لا شرقية ولا غريبة يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شئ عليهم) " النور: ٣٥ "

والإنسان هو المثل الذي ضربه الله.

وعن جمعية الحقائق في الإنسان يقول الإمام أبو العزائم:

متـــي حققتنـــي تجهـــل وتعلـــم   بأنـــك عـــن هويتـــه تنـــادي
وانـــك لاســـتوا الـــرحمن عـــرش   ولـــوح خـــط فيـــه بـــلا مـــداد
وكرســـــي لأســـــرار تعالـــــت   ومعـــراج بـــه يرقـــي عبـــادي

وفي مكان أخر يقول عن جمعه لتلك الحقائق في نفسه:

أنا سدرة المنتهـي واللـوح والكرسـي   أنا العرش والقلم المعلي عن نفسـي
أنـــا الكـــون والأيـــن المفـــاض بداية   أنا الكل في أصل الأصول بـلا لـبس
انا القدس في التنزيه والحسن في الصـفا   أنا الروح إن حققت في برزخ الـرم
انا الصورة العليـا التـي عنـي انجلـت   أنا رمز مجلي الذات في حالة الأنس

والإنسان عند الصوفية هو البيت المعمور والكعبة – فهو معمولا بـالانوار الإلهيـة – ويفسـر الإمام أبو العزائم جمعه لكل الحقائق قائلا:

لأني عنه – عن الله – صورة الكل في الكل ، والإنسان صورة الكل في الكل ، بسـبب النفخـة التي نفخها الله من روحه في صورته الطينية ، وروح الله جامعة لجميع الحقـائق وكليـة فـي صفتها ولهذا عقد الله للإنسان الخلافة وأسجد له الملائكة.

الروحانية المحمدية:

وأكمل الصور واتم المنشات الإنسانية هو سدينا محمد صـلي الله عليـه وسـلم والصـوفيون يتكلمون عن الروحانية المحمدية في تعظيم شديد فهي أول ما خلق الله من نوره (اول ما خلق الله نور نبيك يا جابر) " حديث شريف "

فهو أول الرسل في الخلق الروحاني وخاتمهم في البعث الجسدي وروحانيته كانت ممدة لجميـع الأنبياء قبل بعثته نبيا بالجسد وهي ما زالت تمد بالأنوار جميـع الأوليـاء والـوارثين ، وهـو

الوسيلة والباب الموصل إلي حضرة الله بالنسبة لكل من يطمح في المكاشفة والمشاهدة ، وهـو الشفيع الأعظم يوم القيامة.. وليس في هذا التعظيم أي رائحة من دعوى ألوهية فكل العـارفين يثبتون له تمام البشرية وكمال العبودية وأنه مخلوق لله ، ولكنهم يجعلون لروحانيته أولية فـي الخلق وفضلاً في الإرشاد والإمداد والشفاعة والوسيلة ، وهي أمور لا تناقض الشريعة... وهم لا يقولون بأن النبي يمد تابعيه من عنده ، فما عنده شيء ، و إنما هو قاسم والله معط فالمـدد من الله ولكن سيدنا محمداً هو الوسيلة والباب وأتباعه يحشرون علي قدمه ويتناولون من يده ، وهذا حال كل أمة مع إمامها.

وهم يؤسسون هذا العلم علي المشاهدات والمكاشفات اليقينية العينية ، وليس علـي المغـالاة العاطفية والتحيز أو العصبية الدينية " والصوفيون أكثر خلق الله سماحة وتسامحاً ".

وتفق في هذا الرأي ابن عربي والجيلى وأبو العزائم والنفري والشاذلي والدسـوقي وجمهـرة الصوفيين والعارفين من أهل الفتوحات ، وقد وصلوا إلي هذا المكاشفات كل علي انفراد فهم لا يرددون بها علوماً نقلية أو يقولون بها تقليداً.

والقول بحياة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الدائمة والسارية والممدة لأتباعه لها سند قرآني ، فالشهداء في القرآن أحياء عند ربهم يرزقون ولا يصح أن نقول عنهم قتلوا أو ماتوا ، وإذا كان هذا حال الشهداء فالأنبياء والصديقين أولي فهم مقدمون علي الشهداء في الرتبة.

ويقول الإمام أبو العزائم عن مدد الرحمة المحمدي:

أشاهد أنوار الحبيب بباطني ... ينـــاولني صرفاً من المشـــروب

ويقول:

وفي نعم سر الحبيب ونوره ... " وفيكم وسول الله " قد طمأنت قلبــي

إشارة إلي الآية القرآنية: (وأعملوا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنـتم) " الحجرات: ٧ ".

وهو يجعل من هذه المعية المحمدية إشارة لمعية دائمة مطلقة من الروح المحمدية لكل الأتبـاع والوارثين... ويقول عن إمداد الروحانية المحمدية للأنبياء من قلبه:

في آدم أشرقت أنوار طلعته ... أخفي ظهورك فيه كل صلصال

ويقول عن أولية رسول الله صلي الله عليه وسلم:

كان نوراً في البدء منـه أضـاءت ... كل شمس مـن حضـرة و أحديـة

نـوره البـدء أصـل كـل جمـال ... مـن لـدى البـدء لاح للآخريـة

قبضـــة شعشـــعت ضـــيا كـــل فـــر   مظهـــر الحـــق ظـــاهر للبريـــة

ويقول عن مشاهداته للرسول ﴿ﷺ وآله﴾ في الأزل :

وروحـــي فـــي التجيـــد يـــاخير مرســـل   لقد شهدت أنوار رتبتك المثلى

ويختم الدكتور مصطفى محمود موضوع "الأنا" بحكمة من كم الإمام أبي العزائم فيقول :

يقول الإمام أبو العزائم في حكمة جميلة من حكمه :

"السعيد في الخلق من عرف حكمة إيجاده وسر إمداده".

المشهد التوحيدي وكشف الحجاب

تحت هذا العنوان يحدثنا الدكتور مصطفي محمود فيقول:

وحفظ رتبة العبودية يقتضي الفصل الدائم فلا وسيلة لعبور البرزخ بين العبوديـــة والربوبيـــة ولكنها الجذبة والاصطلام الذي تكلمنا عنه.. ويقول في ذلك أبو العزائم:

ففصلي حفظ مرتبتي وقدري ووصلي جذبتي تمكين حالي

وينصح المريد بالمحافظة علي البرزخ الفاصل بينه وبين الربوبية وحتى لا يشطح ولا يدعي ما ليس له.

واحفظ البرزخ في القرب إذا لاح غيب الغيب من غير اكتساب

وفي البحر العميق بين الفرق والجمع ((البعد والقرب)) يهلك الكثيرون إذا لم يستقيموا علـــي صراط الشريعة وإذا لم يلتزموا التجرد التام.. يقول:

امح عني شغلي بنفسي وغيري افردني لحضرة الديهـــــــــــور
واعبرن بى في يم فرقي وجمعي مستقيما علي صراط النـــــــور
رتبتي العجز أنت رب قدير فافتح الكنز كنز رب غفـــــــور

ويقول عن التجرد والتصفية:

تجردت عما تقتضيه عناصري فأشهدني الغيب المصون بلا ريب

ويقول:

من العنصر الداني ((الدنئ)) تجردت للسير وللوصل قد جردت مني ومن غيري

ويقول عن شرط الشهود:

تشهد النور عين نفس تزكت من دواعي الحظوظ والشهوات

ولا حظ لمن ظلت أرواحهم أسيرة في قيود الشهوات:

لا ينجلي للحس نور صفائه في الكون للأرواح في التقييد

ولا بد من الفرار من عالم التشتيت والتعدد:

إلي الله فرت كل روح تطهرت من الملك والملكوت والتشتيت

وهذا يتطلب أهل العزائم وأولي الهمم

أهل العزائم بالأرواح قد ســـــــــــاروا لــم تلههم زينة الدنيا وآثار
غابوا بمولاهمو عنهم فقريهـــــــــــم لا جنة الخلد تشغلهم ولا النار

غابوا عن الكون والأشواق تجذبهـــم ... لأنـهم في سما الملكوت أنوار
قد وجهوا الوجه لله العلي فلم ... يقهرهمو حالهم فيه وأوطار

فإذا تجلت الأنوار الربانية اختفت الرسوم وأفنت الحضرة الإلهية كل شئ وهذه علامة الشهود.

اختفاء الشئون ثم اختفائي ... عن وجود الأشكال والأضداد

اختفاء الكون والأين واختفاء معالم الجسد واختفاء الرسوم وظهور النور بلا وصف ولا كيـــف ولا تحديد ولا تعيين

إذا ما اختفي رسمي فنيت ولاح لي ... من الغيب ساطعة تستر بالغيم
غمام يريني نور أسمائه التي ... تظللني في الصفو من عالم القدم

ثم تختفي أنوار الحضرة الأسمائية حينما يرتفع المشاهد إلي مقام الجمع ويري أنـــوار مجلـــي الذات وفي هذا المقام يفني عن نفسه ويفني عن فنائه ويصبح المشهد توحيديا وصرفا وهذا هو تفريد العبد لربه.. لا إله إلا الله ..

ثم يخفي الشهود يخفي مقامي ... عدت للبدء في بحور النور
جزت سر الجحود بحر حدودي ... في مقام التفريد سر العبور

ثم يأتي بعد الفناء البقاء فيفرد الرب عبده ويرد إليه إحساسه بذاته وهي تلك الحالة التي يقول عنها أبو العزائم:

فكلي اذان وكلي السن ... وكلي عيون تشهد الوجه بالفضل

وهو تفريد الرب للعبد كما كان تفريد العبد وتلك هي منازلة المحبة وبين العبد وربه.. تفردنـــي وأفردك.

فإذا عاد هذا المشهد إلي البطون في الغيب عاد العبد إلي حالة التلـــوين فـــي الكيـــف والأيـــن والكون وتداول الشئون والأحوال وإلي عالم التشتيت الدنيوي واحتجب عن حقائقه وعن ربـــه. وهي حالة ((الفرق)) أو البعد أو الغفلة المعتاد التي نعيشها كلنا في الدنيا.

ويتكلم أبو العزائم كثيرا عن حالة المحو والفناء واختفاء الرسوم في مواجيده الشعرية ويعجب لما يحدث من محو الجهات ومحو الزمان والمكان:

أشرقت شمسه فأخفت ظلالي ... صرت نورا بها لمجلي الذات

وفي مكان آخر:

أشرقت شمس ظاهر وظهور ... في غمام إليها ومحو الجهات
هيبة ذكت لها طور سينا جهارا ... من جلال العظموت والآيات

غاب حسي وغاب عقلي ونفسي ... صارت الروح مظهر البينات

وفي مشهد أخر:

فلما رأيت الوجه غبت عن السوي ... رفعت به من عالم الخلق للأمـــــــــــر
تجاوزت عرفان الفحول لأنني ... إلي الأحد المعروف سيري بلا فخـــــــــر
فأحدية التنزيه كعبه وجهتي ... وللذات لا العرفان حالي في الذكـــــــــر

وعن الأسماء الإلهية يقول:

هم أسكروني من شراب صفاتهم ... وشرابهم لم يبق مني باقيـــــــــــــــة
غاب الشهود وأشرقت شمس الخفا ... بعد انمحا تلك الرسوم الباليـــــــــــــة
لو قطرة مما شربت تدفقت ... فوق الجبال الشم ذابت خاليـــــــــــــة
أنا طلسم لا يدرني إلا أنا ... خاف وأوصافي لذاتي باديـــــــــــــة
كل الذي أنا فيه فضل محمد ... منه بدا وإليه كان وصوليـــــــــــــــا

وهو يقول دائما إن المشهد التوحيدي يعود به دائما إلي الأولية

((حضرة الجمع الأولية حينما كان نورا يطوف حول ربه في القدس العلي قبل أن ينـــزل إلـــي ظلام الأرحام)).

محا نوره ما تقتضيه عناصري ... وسترها عني فشاهدت أولـــــــــي

وفي مكان آخر:

أعدت إلي أزل فلم أر غيره ... وصرت له المرآة جل ثنـــــــــاه

وهو يتوسل إلي ربه:

أعدني لأفني عن السوي ... بجذبة حب منك يا سابغ الفضــــــل

ورؤية الأنوار الربانية يصفها العارفون بأنها شراب ساحر طهور.

إذا ذاقه أهل الصفا من دنانه ... فنوا عن جنـــــان الخلد واللون والكون
وفروا إلي القدس العلي بعزائم ... فلم يلههم شـــــأن عن المشهد العينـــي
عزائمهم من دونا العرش رفعة ... ومن دونها الولـــــدان والحور في عدن

وما أجمل ابن الفارض حينما يتحدث عن هذه الخمر القديمة:

شربنا علي ذكر الحبيب مدامة ... سكرنا بهـــــا من قبل أن يخلق الكرم

ويحكي أبو العزائم عن هذه الراح تدور مثنوية بين العبد والرب:

طهور الراح دارت مثنوية ... بلا لبس لأهل السابقيـــــــــــــة

سكرت بها بحان القرب لما محوا رسمي بآي الواحديـــــــــــــــــة
فغبت بها وفي غيبي حضوري لأن الكشف آي معنويـــــــــة
محا نور التجلي فيء رسمي بسر الاجتلا في الأوليـــــــــــة
غشت أنواره سدرة ذاتي فكنت ولا مكان ولا بريــــــــــة
ولا صبح يلوح ولا مساء ولا عرش يلوح لدى العطيـــــــة

وعن حالة الاصطلام يقول:

لا تلمنا إذا صوفنا فإنا عند ذكراه قد خلعنا العـــــــــذارا
نحن قوم بحبه قد شغفنا فمنحنا الشهود والأســــــــرار
ليس يدري أحوالنا غير فرد نال منا القبـــــول والاختيـــار
سرنا غامض دعوني أغني فلدي الأنس حالتي لا تجـــاري
لا تميل الأشباح إلا بسر فتــــــــراها تغيرت أطـــــوارا

وعن الأسماء الإلهية مرة أخري:

سقوني وقد رفعوا البراقع عن حسن فزالت لديها بالصفا نقطة الغيــن
طهورا من الإحسان عند شرابه تلوح لي المجلي يشير إلي العيــن
فغيبني هذا الشراب لأنني تحققت محو الصاد والسين والبيــن
لم يبق إلا الوجه جل منزها محيطا بلا حجب يري جل لا كون
أحاط بآفاقي بأنوار وصفه ولاح لذاتي مشرقا لـــي بلا لون

ويقول عن المحو:

محاني بعد توحيدي وقربي وخلصني له من كل غيري
وصار هو المشاهد بعد محوى لعين أشرقت منه بسري

فالعين التي أري بها الله هي من الله، فلا يمكن أن يري الله إلا الله.

وكلمة القرب في الصوفية لا تعني المكان أو الارتفاع في المكان.

وقربي بلا كون ووصلي بلا أين

وفي أسلوب رامز جميل يصف ذلك المحو والفناء:

تجلي دك ناسوتي وابقي جمالا من ضيا روحي وأصلي
فلا أنا ظاهر للروح أجلي ولا خاف وعملي عين جهلي
أراني فيه خاف لا أراني وأشهد وجهه للروح مجلي

قتلت بحبه فخفيت عني فكان ظهوره ستري وقتلي
فأشهده وأخفي في اتصالي ويشهدني ويبطن حال فصلـــــــــــي
أعدت لمبدئي وبه أضاءت شموس الغيب لي الوجه حولـــــــي

ويصف غيابه عن نفسه ومشاهدته للعرش والكرسي:

لدي مشهد التوحيد أفني عن النفس وأخفي عن الأكوان في حظوة الأنـــس
أنا عندها غيب عن النفس والــ أنا وجودي بنور الاجتلا مشرق الشمـــس
لأن التجلي أصعق النفس عندما يدار طهور الراح بالعين لا الكـــأس
أعدت وحالي إنني العبد غائبا حضورا أري عرش الإحاطة والكرسي

وهو يقول إن هذا كشف لا تراه العقول ولا تفهمه وإنما هو من حظ الأرواح عند القبول فهو من مقامات أهل الأرواح وليس من مقامات أهل الأفكار.

لا تراه العقول عز مقاما بل تراه الأرواح حال القبــــــول
لم ير العقل غير أي تجلت في المباني والعقل عين عقـــال

وهو حائر في أمر المحو والاختفا وفناء الرسوم والمعالم الجسدية ويتساءل عــن ســر الأمــر ويحاول تفسيره.

صار رسمي كالروح أو دك طوري

هل ((يتروحن)) الجسد ويصير مجانسا للروح في لطاقتها بفعل التصفية والجذب الإلهي وهــو يورد هذا المعني في احد أبياته الشعرية:

أفارق ما يوجبه رسمي مجانسا لما تقتضيه الروح من ساطع الغيب

هل هذه المجانسة هي التي تؤدي إلي ((الروحنة)) وإلي لطف الجسد واختفائـــه أو بـــالتعبير العصري ترتفع ذبذبات ذارته فيختفي ويصبح شأنه شأن الأشعة فوق البنفسجية التـــي لا تـــري لارتفاع ذبذبتها.

أم أن الأمر محق وسحق للمعالم المادية كما دك الجبل وخر موسي صعقا بفعل صولة التجلـــي الإلهي:

صار رسمي كالروح أو دك طوري ؟!!

أم أن الأمر كاختفاء الكواكب في النهار بنور الشمس بسبب غلبة ضـــوئها علـــي حـــين تظـــل الكواكب موجودة برغم اختفائها الظاهري.

تلوح المعانى يختفي كل كائن وشمس الضحا تخفي الكواكب بالظل

ذروة التوحيد:

إنما ذروة التوحيد الإسلامي عندنا هو تلك الصيحة التي يطلقها أبو العزائم حال تجرده:

أخلو ؟!! وممن.. وكل الكون مظهره ؟!!

يجلي لنا نوره في ستر تعديد   أي مم أتجرد وكل المظاهر

هي مراتب التعدد التي ظهرت من الواحد ((يجلي لنا نوره في ستر تعديد)) فكل شيء من الله وإلي الله يعود.

وهل أنا إن أبحت ببعض علمي   سوي نور العلي بغير فخر

وبين الثنائية الأصلية والقديمة في الوجود وبين الوحدانية الشاملة والمهيمنة ((فالله يحوي في علمه كل القدماء وكل الأعيان الأزلية الثابتة ويهيمن عليها بحكمه وإيجاده وإعدامه)).

بين هذه الثنائية والوحدانية يغرق العقل الذي ليس لديه مصباح الشريعة ولا مقودها الهادي، وهذا ما قصده الصوفي حينما صرخ هاتفا: غرقنا في أوحال التوحيد.

وفي هذا البحر غرق الفكر الهندي في وحدة الوجود الوثنية.

الحب الإلهي

تحت هذا العنوان يقول الدكتور مصطفي محمود:

والقلب هو كأس هذا الحب لأنه ليس من عالم التقيد كالعقل والحس (لم تسعني أرضي ولا سماواتي ووسعني قلب عبدي المؤمن).

ويصف أبو العزائم هذا القلب بأنه:

محيط في مقام الهوية

رامزا بذلك لإطلاقه وسعته ((محيط)) ولكن برغم ذلك محاط بالهوية الإلهية فهو محاط محيط.

فالقلب هو الوحيد الذي يسع الرب لأنه روحاني من عالم الروح والصفاء وليس من عالم المادة ((كصفاء الماء حينما يتسع لصورة القمر)).

وهيام المحب علي وجهه أولي في الحب الإلهي منه في الحب البشري، لأن الله غير مختص بمكان، وهذا الهيمان في الحب الإلهي علامة بهجة، أما إذا ظهر في الحب البشري فهو علامة يأس وقلق من هجر لا علاج له.. أما إذا ظهر في الحب البشري فهو علامة غني واتساع وتحصيل نشوة.

المصير

تحت هذا العنوان يقول الدكتور مصطفي محمود:

يقول الإمام أبو العزائم في تفسير الآية: (قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) الأنعام: ٩١

إن من يعرف مكانته عند ربه وخلقه من النور الرباني وتأهيله ليكون في مقعد صدق إلي جوار ربه يدرك أن الانغماس في أوحال المادية الدنيوية هو لعب ولهو وعبث وغفلة وأن الدنيا ما خلقت وسخرت له إلا لامتحانه وامتحان أشواقه ليعرف هل يستحق أو لا يستحق هذه المكانة العلية.

والله طول الوقت يخاطب عيون آذان عباده بالمظاهر التي يتجلي بها في الدنيا يومئ إليهم بالحقيقة لعلهم يفهمون أو يدركون أو يفيقون من حالة اللعب التي هم سادرون فيها وهذا هو الشراب الطهور الذي يديره الله علي خلقه.. فمن فهم الإشارة وأدرك العبارة وفك الرمز وقرأ الرسالة صرخ هاتفاً... الله... الله.. لا إله إلا الله وترك الكل في خوضهم يلعبون.. فقد شهد حقيقته في خفاء معالمه.

يدار شراب الطهر في حان قربه	بعين التجلي لا بدن ولا كأس
لديها يفك الرمز عن كنز غيبه	أكون بلا كون ولا يوم لا أمس
وجود شهودي في خفاء معالمي	(قل الله) برهاني فدع موجب اللبس

وهو يفسر الآية: (والفجر وليال عشر والشفع والوتر) الفجر (١)

بأن الفجر هو انفجار حقيقة الإنسان بإيجاده وتعيين رتبته في الغيب الأول من قبل التصوير والتجسيد والنزول إلي عالم الأرحام ودنيا التعدد والأضرار والأشكال..والليالي العشر بعد الفجر في الغيب العلي رمز إلي ليالي الإمداد وما يتطلبه الإمداد من استجلاء الاستعدادات واللياقات ومدي القبول في تلك العين الجديدة.. وهي ليال يتم فيها الدخول في ظلمة الرسم (ظلمة الجسد) والشفع هو ظهور المثنوية من الوتر (الواحد).

والعشر بعد الفجر في الغيب العالي	رمز إلي استجلائه الإمدادي.

<u>ثم يصل الدكتور مصطفي محمود إلي رأيه النهائي في الإمام أبي العزائم فيقول ص ١٠٤:</u>

والإمام أبو العزائم يقول هذا الكلام عن علم كشفي لدني وليس عن اجتهاد برأي وللإمام أكثر من مائتين من الكتب والمخطوطات من المواجيد الشعرية والإلهامات العرفانية وهو في نظري كنز لم يكتشف بعد وقطب ينافس الفحول قدماً وعلماً وسلوكاً.. ولا يصح أن يقرأ شعره علي أنه شعر (كما هو الحال عن ابن الفارض) فشعره لا يخضع للمواصفات الفنية للشعر وإنما هو

شفرة ورموز عرفانية عالية يفهم منها كل واحد علي قدر حظه ونحن ما قدمنا من علم الرجـل إلا نقطة من بحر ولعل خير ما نختم به كتابنا في الأسرار هو هذا الدعاء لمولانا الإمـام أبـي العزائم وهو أجمل ما قرأت في أدعية العارفين ومخاطبتهم لربهم.. ويبدأ بطلـب المغفـرة فـي خشوع وتوسل.

إلهي أسألك خاشعاً دامعاً تجلل وجهي سود الذنوب وظلمة الخطايا، إلهي أنت أكبر من ذنـوبي ولو شئت لغفرت ذنوب كل المذنبين وما نقص هذا من ملكك شيئا..إلهي لو شـئت أن تواجـه التراب بوجهك الجميل لواجهته ولا تسأل عما تفعل.. ولو شئت أن تواجه الطين بوجهك الجميل لواجهته ولا تسأل عما تفعل.. ولقد قبضت قبضة من ذلك الطين والحمأ المنـتن فجعلـت منـه صورة ونفخت فيها من روحك القدسية.. وهذا فضلك الذي لا يحد.. فتفضل علي يا رب بما أنت أهله يا ذا الجود والكرم فأنا التراب والطين وأنا عبدك المذنب.. وذنوبي وإن كثرت لن تضـرك بشيء وطاعاتي وإن كثرت لن تنفعك بشيء فأنت الغني عن أعمالي فأسألك المغفرة.. وأنت أهل التقوى وأهل المغفرة.

إلهي.. فرِّغ قلبي مما يشغلني عنك وأرح بدني مما يلفتني عنك واجذبني إليك بعوامـل جمالـك وعواطف حنانك حتي أتحقق بحقيق العبودة راغباً راهباً ذاكراً لك علي الدوام.

إلهي.. حصني بحصون عنايتك واحفظني من العودة إلي المعصية بصرفي عن أسبابها واجعلني بأعينك يا رب العالمين يا أرحم الراحمين.

الهي.. أشهدني في نفسي حقيقة طفوليتي ومنزلة مائيتي وسر طينيتي حتي أشهد فـي نفسـي الفقر الكامل والذل الكامل وأري فيك الغني الكامل والقوة الكاملة والقدرة اللا نهائية فلا أخـاف غيرك ولا أرجو غيرك.. إلهي وخلصني من بواعث بشريتي ومن دواعي آدميتي واحفظني مـن شح مطاع وهوي متبع وإعجاب عليك في أحكامك الشرعية ومن المعارضة لـك فـي أحكامـك القدرية حفظاً يصبح به إسلامي.. وتولي قبض روحي بيمينك عند انتقالي من الدنيا فرحاً بلقائك وامنحني يا إلهي بعد مفارقة هذه الدنيا إطلاقاً في فردوسك الأعلى حتي تكون روحي سابحة في رياض جنتك وأنت أكرم الأكرمين وصل وسلم علي حبيبك وصفيك وسيلتنا إليـك وبابنـا إلـي رضاك محمد خاتم النبيين والمرسلين.

ثم ينتهي الدكتور مصطفي محمود كلامه بطلب المدد والعون فيقول:

رحم الله أبا العزائم وأمدنا الله وإياكم من عين إمداده.

الخاتمـــــــــــــة

ويختم الدكتور مصطفي محمود كتابه (السر الأعظم) بوصية هامة يقول فيها:

وبدون التراث الصوفي يفقد الدين بعداً وجدانياً وعمقاً عرفانياً لا غني عنه ولكن أيضاً وبـــنفس القدر من الأهمية لا يصح أخذ التراث الصوفي علي أنه قرآن منزل، ولا يصح التسليم بكل مـــا فيه علي علاته ولا يصح النظر إلي الصوفيين علي أنهم أنبياء معصومون لا يأتيهم الباطل مـــن بين أيديهم ولا من خلفهم.. بل هم قوم ممن خلق الله يجوز عليهم الخطأ والصواب.

والقراءة السليمة للتراث الصوفي هي القراءة الانتقائية الناقدة التي تزن كـــل حـــرف بميـــزان الشريعة وتعرضه علي ضوء السنة والكتاب والعقيدة السليمة التي علمها لنا كتابنا ونبينا صلي الله عليه وسلم لا نجاوزها قيد شعرة ولو دعانا إلي هذا التجاوز إمام الصوفية في زماننا.

ولهذه المحاذير سوف تظل المعارف الصوفية زاداً للقلة والخاصة من القراء وعلماً مضنوناً به علي غير أهله، وليس علماً مشاعاً للعوام والكثرة، لأنه علـــم يحتـــاج إلـــي بصـــيرة لفهمـــه واستشفافه، ولأنه معرفة تحتاج إلي زوق ومعاناة لإدراكها.

ولمن يقول إنه لا يفهم شيئاً نقول: ((لو أحببت كما أحببنا لفهمت كما فهمنا))

كتاب المواهب الإلهية

إعداد فضيلة الشيخ

أحمد سعد العقاد

نائب الطريقة العزمية

وإمام مسجد الروبي بالفيوم

التعريف بالكاتب ومحتواه

يقع هذا الكتاب في ١١٥ صفحة ويتضمن ما يلي:-

- مقدمـــــــــــة: من ص١ إلي ص ٤٩
- سيرة الإمام أبي العزائم:من ص ٥٠ إلي ص ١١٠
- خاتمـــــــــــــة.

المقدمـــــــــــة

هذه كلمة أبين فيها بعض مناقب أستاذنا السيد محمد ماضي إمام السادة الصــوفية وإن كانــت مزاياه لا يحصيها كلام.

شمس تضئ لعاشق وموالـــــــــي ... تهدي المريد إلي سبيل كمـــــــــال
كنز ثمين للسعادة والغنـــــــــي ... للراغبين وخيرة الأبـــــــــــدال
لكن علي قدري أقول موضحـــــــاً ... ما لاح لي من ظاهر الأحـــــــوال
ماضي العزائم رحمة وهدايـــــــة ... للعالمين من الولي الوالـــــــــي
بشرى لمن فازوا برؤية وجهه ... ولتابع في القول والأعمـــــــــال
الله يحفظ سره ويصونه ... في اله الأطهار في الأجيـــــــال

اللهم أمدنا بالنفحات العزمية وأنشر هذا النور في سائر الأنام.

مقامات الرجال ([viii]) :

مقامات الرجال كثيرة وأعلاها رتبة الصديقية ويليها رتبة الفرد الجامع بين سر المكانة ورفيــع المقام، ثم رتبة الأبدال للحضرة النبوية، ثم رتبة الأنجاب الذين ثبت الله لهم الأقدام.

ومن العارفين من ورث من رسول الله صلي الله عليه وسلم البيان فكان ناطقاً بالحكم الجليــة، ومنهم من تدبر في الآيات الإلهية فتمتع بحبيبة والناس نيام، ومنهم من ورث النور في ســمعه ففقه الأسرار القرآنية وتجلي له الرحمن في نور الكلام، ومنهم مــن اتصــل قلبــه بالحضــرة المحمدية، فانفتحت عيون بصيرته وشهدت من التجلي ما تعجز عنه الأفهام، والوارث المحمدي من ورث كل الحقائق النورانية، فسرى المدد المحمدي في جميع جوارحه فكان في عصره إمام.
وقد جمع الله الميراث في أستاذنا السيد محمد ماضي، إمام السادة العزمية فكمل تلاميذه وجملهم وسقاهم من الحوض المحمدي صافي المدام فهنيئا لمن رآه فهو كنز واسع العطية وبشرى لمن أحبه مع التشبه والاستسلام.

كلام أستاذنا حكمة ([١]):

إن كلام الأستاذ دواء للقلوب والنفوس البشرية، قال: (ذرة من أعمال القلوب خير مــن أمثــال الجبال من عمل الأجسام، لأن نظر الله إلي القلوب وحركتها الخفية، ومن وقف عنــد حركــات الأجسام فهو جاهل بالأحكام فالقلب الذي فيه رحمة علي العوالم الكونية هو الذي تخلق بــأخلاق الله ونال المرام)

سيرة الإمام السيد محمد ماضي أبو العزائم رضي اللّه عنه

نسب سماحة السيد محمد ماضي أبو العزائم [١]

أما نسبه الشريف الحائز لكل مفخرة بهيبة المتصل بسيد ولد عدنان هو السيد محمد بن السيد عبد الله ثمرة الشجرة النبوية وقد اشتهر بماضي أبو العزائم وعم صيته الأكوان وأصله من عين ماضي بلده بالمغرب كما روى ذلك أهل البرهان وعين ماضي منسوب لجده لأنه حفر بها بئر فكانت حلوة روية فتكبر بها الناس وسكنوا حولها وكثر بها العمران.

أما نسبة من جهة أمه فإنه يتصل بالسيد عبد القادر الجيلاني إمام الطريقة القادرية فقد اتصل برسول الله صلي الله عليه وسلم من الأب والأم فكان الكنز المصان.

مولد سماحة السيد محمد ماضي أبو العزائم [٢].

ولما أراد الحق أن يتجلي علي أهل هذا العصر بالنفحات القدسية ويفتح كنوز حبيبه طه سيد ولد عدنان قدر سبحانه وتعالي أن يغيث النفوس المتلهفة إلي فهم الحقائق الروحية، لأن الطريق قد اندثرت معالمه ولم يبق إلا اسم طريق وأخوان،وكان الزمان قد كثرت فيه الأمراض القلبية،وأصبح كل سالك حيران،وقد مرضت النفوس فزل قدمها من حب المادة والعقائد الفلسفية،وصار الخلق يحقرون أهل الطريق لما يشاهدون من التقصير والنقصان،فمنح الله أهل الوقت أعظم نعمه و أكبر هديه،وهى ميلاد وارث رسول الله(صلى الله عليه وسلم)منقذ الحيران.

وقد كان ميلاده معجزة لرسول الله حيث كان في زمان الفتن الظلمانية، فقد ظهرت أنوار هيمت القلوب وهزمت الشيطان وقد فرح أهل الوجود وتمت له المسارات السعودية بقدوم المادة فهي كمال للحيوانية ولكن أفرح بمجيء العارفين فهم حياة القلوب وحصون من النيران ومن علامة الإيمان الفرح بأولياء الله وخصوصاً من جاء بالفتوحات الإلهية فإنه يدلنا علي سبيل الرضا والرضوان ويجب علي كل مسلم أن يجدد ذكرى العارفين فهم أهل المزية فإن ذلك يرضي الله ورسوله ويقوى الإيمان وولد رضي الله عنه ببلدة رشيد في حدود الديار المصرية، وكان ذلك فى سنه ألف ومائتين وست وثمانين من الهجرة أشرف بنى الإنسان،وكان الميلاد ليله سبعه وعشرين من رجب الموافق لليله الإسراء البهية،فكان مبشرا بالنور منبها للأذهان.

نشأت السيد أبو العزم [٣]

---

[١] راجع ص ٥٠ من الكتاب

[٢] راجع ص ٥٠ من الكتاب

[٣] راجع ص ٥٢ من الكتاب

نشأ رضى الله عنه بمحله أبو على مركز دسوق ففاز المفاخر العلية،والعناية تحفة فى كل زمان ومكان،ولما وصل إلى سن الثمانية حفظه والده القران والمتون الدينية، فكان يلوح عليه الفتوح من الملك الديان،وكان لوالده زاوية بجوار منزله لإقامة الشعائر الشرعية،فكان السـيد محمـد ماضي يتعهد بالنظافة والأذان، وكان فـى تلـك البلـدة رجـل مـن أهـل الجـذب والولايـة الخصوصية،وكان يقول للسيد محمد ماضي سيفتح الله لك باب المعـارف فتكـون فريـدا فـى الزمان،وقد كان رضى الله عنه يحب كل أهل الطريق وخصوصا أهل البلية،وقال رضى الله عنه :كلما رأيت رجلا مبتلى حنت روحى إليه مهما كان،ولما حفظ القران والمتون توجه إلى الأزهر الشريف ليدرس العلوم الشرعية،فكان فارسا سباقا متفوقا على ألالأقران،ثم توجه إلى مدرسـة دار العلوم فدرس العلوم الرياضية والمباحث العقلية،فجمع بين المعقول والمنقول حتى صار إمام الزمان، وقد اختصته العناية بالمعارف الواسعة والمزايا الوهبيـة،فكان ينظـر فـى آيـات الله ويغوص فى بحار القران،ولمـا كملـت دراسـته طلبتـه وزارة المعـارف مدرسـا بمدرسـة الشرقية،فكان ذلك ابتداء شروق شمسه ودخول الميدان، وكان حريصا على أنفاسه فى البكـرة والعشيه إذا انتهى من عمله توجه إلى المساجد ليرشد الخلق إلى سبيل الرضوان،وكانت عبارته فى المواعظ حلوة وطلعته بهية،وله تأثير على النفوس بنور البيان،فاجتمع حوله أهل النفـوس المتعطشة إلى فهم الحقائق الربانية،وذاقوا من المعارف والدقائق ما لم يخطر علـى الأذهـان، وممن فتح له الله الكنوز والمواهب العزمية،هو الأستاذ الشيخ محمد الصبيحي المشهور بـالعلم والأيمان كان رضى الله عنه عالما عاشقا لعلوم الصوفية،وكان يبحث عـن الأسـتاذ العـارف المخصوص بوراثة طه صفوة الرحمن فلما تقابل بالأستاذ وسمع كلامه وذاق إشاراته العلية،تأكد أنه ظفر بالضالة المنشودة التي من دونها نعيم الجنان،فأقبل بكليته على خدمة الأستاذ وضـحى بحيثياته الشخصية،فنال مكانة اغتبطه عليها جميع الأخوان.

صار الصبيحي منجذبا لله بالكلية،حينما نظر له الأستاذ فأشرقت عليه الأنوار،كان كبيـر السـن جليل القدر لا يرى فى إخوانه أقل منه مع مواهبه العلمية،غرق فى بحار التوحيـد فتجلـى لـه المبدئ المعيد فطهر من الأغيار، وقد خصه الأستاذ برتبة المحبوبيـة،وأباح لـه مـن العلـوم غوامض الأسرار.

وقد كتب له الأستاذ جوابا يقول فيـه :يـا صـبيحى.. اعلـم. أن القـران جنـة المعـارف الشهودية،وقد انبع الله فيه أربعة أنهار..

النهر الأول :الماء..وهو أحكام الشريعة الظاهرية.

النهر الثاني :اللبن..وهو التدبر فى آيات الله وما فيها من الحكم المطوية،فهو غـذاء القلـوب التي فازت برضاء الغفار.
النهر الثالث :الخمر..وهو شهود التجليات الإلهية،وهو غذاء الأرواح التي فازت برفع الستار.
النهر الرابع :العسل.. وهو مقام أهل التكمين الذين تخصصوا بالنفحة القدسـية،فكانوا أقطابـا عليها المدار،فاعط لكل إنسان ما يناسبه بالحكمة الإلهية،فالقران رحمه للمقصر والبار.
وقد كان للشيخ الصبيحى أحوال وكرامات علية،لأن سر الأستاذ يظهر فى تلاميذ الأخيار،وقد أخا بيني وبينه الأستاذ ووضع يدي فى يده وهى سنه نبوية،ودعا لنا بخير فشـاهدنا فـى دعائـه الأنوار.

جمالات الرجل وكمالاته [1]

أما جمالات الرجل وكمالاته فلا تحصى بالعبارات القولية،وكيف يحصر اللسـان ميـراث سـيد المرسلين،ورث من الرسول(صلى الله عليه وسلم)العقيدة التوحيدية، فكان ذا تكلم فى التوحيـد هامت الأرواح وصعقت الأشباح وطاب الأنين، ورث من رسول الله صلى الله عليه وسلم الأخلاق فكان يشرحها ببيانه ويؤيدها بحاله وأعماله الجلية، فكـان يـؤثر الإخـوان بلطفـه ورحمتـه ويتواضع للمساكين، ورث العبادات فكانت حركاتها كلها مرضية، حتى يتحير الإنسان من قـوة صبره وجهاده فيحكم بأنه بشر فى الصورة وفى العبادات من الملائكة المقربين، ورث المعاملـة فكان يعامل الإخوان بالنصيحة الأبوية يتعهدهم ويفرح بزيارتهم كأنهم أعطوه الكنز الثمين، كان له مع كل فرد من الإخوان معامله على قدر وسعته الفطرية، كان يخاطب كل إنسان على قـدر عقله ويزل له على قدر فهمه حتى صار محبوباّ للأميين والمتعلمين، كان يؤلف العاصي بـاللين ويكشف له عن وسعة كرم الله فى البرية، فيصبح ببركته من التأبين، كـن يؤلـف المسـيحية ويرحب بهم ويذكر لهم إن النبي أوصى أمته بالإحسان إلى الأمة المسيحية ويشرح لهم جمـال الإسلام حتى تخالط قلوبهم بشاشة الدين، وقد رأيت سيدة فرنسية أسلمت علـى يديـه ونالـت المراتب النورانية، وصارت تحيى الليل وتكثر من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسـلم حتى اغتبطها كبار المريدين.
إن الله تعالى جمل الأستاذ ظاهراّ وباطناّ بالحلل النورانية، فقد أعطاه صـورة مجملـه تخطـف القلوب بباهر الجمال، من رآه أحبه لأن الله ألقى عليه محبه منه بهية، ومن نظر إليه أهابه لما لديه من الجلال، إذا حدثك رأيت الدرر الغالية التى تؤثر على اللطائف القلبيـة، وتشـهد مـن

---

(1) راجع ص ٦٢ من الكتاب

معاملته أخلاقاً تجذبك إلى الوصال، إذا رأى أحداً من الحاضرين ركن ظهره إلى حائط المكان قال له تباعد عنها فقي طيهأ رطوبات مؤذيه، وأن شعر بالسعال من أحد الحاضرين دعـــاه وقربـــه وأسعفه بدواء السعال، ليتعهدوه فى سائر الأحوال، ويتوجه بنفسه ليراه ويصـــف لـــه الـــدواء المناسب لحالته الصحية ويكرر السؤال ؟، يتعهد الفقراء بالمودة الروحانية والعادية وينادى أين فلان ؟ ويقربه منه ويقول: التواضع للفقراء من أعظم معارج الرجال.

ولقد كان يؤماً عنده كامل باشا جلال يسمع النصائح الدينية، فدخل عليه رجل فقير يلوح عليـــه سليما الكمال، فقال الأستاذ: يا كامل باشا وسع لأخيك فهذا ممن لهـــم الدولـــة يـــوم المواقـــف الحشرية، وقام الأستاذ وعظمه حتى التفت إليه الأنظار بالسؤال.

ومما يذكر ويهيم القلوب فى مكارم الأستاذ وملاحظاته للدقائق الخفية، أنني كنت جالساً بين يديه فى الدرس وبجانبي ولده السيد أحمد والأستاذ يشرح مقامات القرب والوصال فقال الأستاذ: يـــا سيد أحمد قم حضر كذا وهى حاجة خصوصية فقام السيد أحمد وصـــار الأســـتاذ يبـــين مقـــام المحبوبية، فقال لي: إني أمرت السيد أحمد بالقيام أنى خشيت أن أميزة بنظره أبويه، فيعـــاتبني رسول الله ممد الرجال، لأنه يلزم للداعي أن تكون دعوته مجرده مـــن العواطـــف خالصـــة لله بالكلية، يستوي الابن والأخ والقريب والبعيد بحسب كل حال، ولقد كان الأســـتاذ يبحـــث عـــن الضيوف بنفسه ويتعهد المستريح فى نومه بدقة خفيه، فكان ينزل وقت السحر متخفياً ويشـــاهد بنفسه ذات اليمين وذات الشمال.

ولقد كنت عنده فى ليله من ليالي مولد خير البرية، وكان عدد الإخوان كثيراً وكانـــت الرطوبـــة قوية فنزل رضى الله عنه وأيقظ الخدام وأحضر الغطاء ووضعه على بيده الشريفة وقال: هؤلاء ضيوف رسول الله نقدمهم على الأهل والعيال... اللهم جملنا بجمال إمام السادة العزمية وأمـــدنا بمدده فى سائر الأحوال.

منح الله الأستاذ بإمدادات مؤيده بروح قدسية. كان إذا دخل عليه الفيلسوف يتكلم معه بالفلسفة حتى يقر له بأنه فيلسوف الإسلام.

وإذا دخل عليه فقيه أو من يمارس العلوم العقلية يخاطبه من جنس كلامه حتى ينـــدهش مـــن فصاحة الكلام.

وإذا دخل عليه طبيب تذاكر معه فى الطب وفى الدقائق التشريحية ويبين له حكم الله فى الإنسان حتى يعشق ربه بكل احترام.

وإذا دخل عليه سياسي تناقش معه بالأدلة القوية، وبين السبيل حتى يعتقد أنه ماهر بين الأنام، وإذا دخل عليه صوفي تكلم معه فى معارج الرجال بالأدلة القرآنية، حتى يؤمن أنه عارف متمكن وهو خير أمام.

ويكلم العامي بلسانه والسوداني بلغته وهكذا كل طبقة باصطلاحاتها الكلامية، فكنت ترى فى مجالسه الغرائب والعجائب من الخاص والعام. وكان عنده مترجم يفهم الكلام باللغة الأجنبية، فكأن كل طبقة يصل إليها نصيبها على التمام، ومن حكمته العلية أنه أخذ الطريق عنه كل الرجال فى عصره وأجازوه بها وشهدوا له بالتقوى والقبول التام، فعنده الإجازة الشاذلية والرفاعية والأحمدية وطريق الغزالي حجة الإسلام فلا يصل عليه صاحب طريق إلا ويقول له: أنت أخي فى الطريق وحبيبي لأنك تحب الصوفية حتى صار الكل يحبونه ويقدمون له كل إكرام وقد كان يقول:

يجب على الشيخ أن يكون ملماّ بجميع طرائق الصوفية فالذي عرف طريقاّ واحداّ لم يسلك معه إلا القليل من الأنام لأن كل إنسان له استعداد وفطره خصوصية يناسبه طريق خاص من طرق السادة الكرام، والكل يستمدون من سيد الخلق والجميع فى يقظة والخلائق نيام اللهم أمدنا بنفحات السادة العزمية، حتى نكون فى شوق إلى الله وغرام.

يوم من حياه الإمام أبى العزائم [١]

ومن العجائب أن الأستاذ كان ينزل قبل الفجر للصلاة فيصلى السنن فى جماعه عمومية ثم تقام الصلاة ويصلى الصبح فى أول الوقت مع الخشوع وحضور الأرواح ثم يختم الصلاة بأذكار فتشرق الأنوار الإلهية ومن حشر فاز صدره بالانشراح فإن أشرقت الشمس أمر بإحضاره الطعام وأكل مع الإخوان بالسوية ويتعهد الجميع يحييهم بالكلمات الملاح، ثم يأمر بإحضار القلم والقرطاس فيملى ما يناسب الوقت من الأدوية العلمية، وفيكتب في التفسير ثم في الحالة الحاضرة وقصده الإصلاح، ثم يكتب البريد إلي الأقطار الإسلامية مزودة بالنصائح يدعو فيها إلي الرابطة وهي أساس النجاح، ثم يصلي صلاة الضحى ويستريح وبجانبه من يتلو له في المصحف الآيات القرآنية، أو أحاديث سيد المرسلين أو كلام الصالحين أهل السماح، فإذا جاء الظهر صلي السنن القبلية، ثم تختم الصلاة ويدخل حجرته الخصوصية، فينصح السيدات بإقامة الصلاة وطاعة الزوج فإن نتيجة ذلك الرضا والأفراح، فإذا جاء وقت العصر صلي بالإخوان السنة القبلية، ثم صلي ويختم الصلاة ويجلس كالكعبة التي تطوف حولها الأرواح، ويدعو

---

(١) راجع ص ٦٨ من الكتاب

بالمصحف الشريف فيتلو الآيات ويشرح الغامض منها ويبين الأسرار الخفية حتى كأننا بـــالحرم وفي كل قلب مصباح.

وكان يؤكد علي الإخوان في المداومة علي قراءة القران مع الآداب الكلية ويقــول استحضـــروا أنكم تسمعون مني القران أو تقرؤونه علي فالاستحضار هو المفتاح، ثم يأمر بإحضار العشـــاء فيجلس مع الإخوان وهم حوله في المسرات القبلية، وينادي حضروا فلانا وفلانا ويمكث حتـــى يحضر الكل بكل ارتياح، ثم يصلي المغرب والسنة في جماعة كلية،ويختم الصلاة ويأمر بقـــراءة الصلوات التي طيبها قد فاح،ثم يصلي العشاء ويختم الصلاة ويبقى الوتر لخلوته الفردية ثم يبدأ الدرس ببيان الأحكام والأحاديث الصحاح،ثم يقوم بالذكر في نشاط وهمة كلية ويقول في الـــذكر ما يفيضه مولاه من كنوز الفتاح،ثم يدخل الخلوة ويدعو أهل الفهم والأذواق الخصوصية،ويملى ما يجلي له من المعاني التي تعجز عن وصفها الشراح،فإذا ذهب نصف الليل دخل منزلة الخاص لصلاة الوتر ومناجاة الذات العلية،ولا يزال في شوقه وغرامه إلى طلوع الصباح، اللهم اجعلنـــا من المحبوبين لأهل الحضرة العلية،الفائزين بالنجاح والفلاح.

يقظة في استغراق [١]

ومن العجائب أن الأستاذ يكون مستغرقا في المشاهد القدسية وهو ثابت حاضر قواه فتراه يسألك عن التجارة ويرشدك إلى المصالح التجارية،ويسألك عـــن أولادك وأهلـــك ويرشـــدك إلـــى مـــا تتمناه،وكان بعد صلاة التراويح يصلى بالإخوان صلاة التسابيح المروية،وهو في غاية النشـــاط والإقبال والشوق إلى الله،ومن المواهب التي امتاز بها الأستاذ أنه لا يرضى أن يتكلم أحد فـــي مجلسه في أحد بأي كيفية ولو كان من أشد خصومه في الحياة.

طريقة الإمام أبى العزائم وكلامه[٢]

أما طريقة السيد رضي الله عنه فهي على الكتـــاب والســـنة وأئمـــة الســـلف فـــي منـــاهجهم العلمية،والأخذ بالعزائم في سائر الأعمال،وأما كلامه فانه عجيب تهتز له اللطائف القلبية،ويبعث النور فتأنس به الأرواح،قال رضي الله عنه في حكمة المروية : ((محمد ماضـــي بـــرئ ممـــن يفرق بين مسلم ومسلم لسبب في النفوس والأشباح.أعتقد أن كل مسلم خير مني ولـــو أرتكـــب الكبائر غير الشرك برب البرية،لأن الله قد اختاره للإسلام لسر بينه وبينه لا يعلمه إلا الفتاح)).

---

(١) راجع ص ٧١ من الكتاب

(٢) راجع ص ٧٥ من الكتاب

ومن نصائحه قال : ((رغبوا الأمة في فضل الله واسع العطية،وذكروهم نعم الله الذي صـــورهم في الأحشاء،فالعارف من يوسع للأمة باب الصلح ولا قي نصائحه الوعظية،ولذا خلا بنفسه شدد عليها وسقاها مر الدواء)).

كلامه في تفسير القران :

فقد حل مشكلات كثيرة تعجز عنها العقلاء،مترسم مثله خطي الرسل فإقتداؤك بالأنبياء فيه راحة لنفسك الزكية.

كلامه في الحديث : ألا وان للأستاذ فتوحات في فهم الآيات والأحاديث النبوية تدل علـــي أنـــه مخطوب العناية مأمون على الأسرار،قال في معنى قول رسول الله(صلى الله علية وسلم) : (رجعنا من الجهاد الأصغر إلي الجهاد الأكبر جهاد النفس).

قال رضي الله عنه : ((الجهاد الأصغر بالسيف والمدفع يفتح علينـــا الـــبلاد ويوســـع الملـــك والمالية،والجهاد الأكبر يفتح كنوز السماء وغيوب الملكوت وأسرار الغفار،فمن فتح له كنز قلبه يرى الدنيا ضيقه مهما اتسعت مساحتها الأرضية ويرى انشراحا وفلاحا ورفعـــه وتتجلـــى لـــه الأسرار في الأقدار)).

وقال رضي الله عنه : ((إن السر في وصول السالك إلي مراتب الصديقية،هو الأدب مع الأستاذ ومع رسول الله ومع مولاه فالأدب مع المرشد هو الأساس الموصل إلى المراتب العلية،ومن لـــم يتأدب مع المرشد سقط من عين الله)).

معارج الأولياء [١]

قال رضي الله عنه للأولياء معارج توصلهم إلي المراتب العلية:

أولها: أن يكو في حضرة الله كالطفل ولا يعارضه في شرع ولا قضاء، ويكون مع الخلق رجلا واقفا علي الحدود الشرعية، ويعطي لكل شخص رتبته في الوجود كما هي عـــادة أوليـــاء الله، وعند ذلك يأمنه الله علي أسراره الخفية ويدفع عنه الأعداء ويحفظه من نفسه وهواه.

<u>المعراج الثاني:</u> وهو أعلي من الأول عند أهل العطية، وأن يشهد نفسه كالجنين في بطن أمـــه يصوره المصور ويتولاه، وعند ذلك يكاشفه الله بأنوار أسمائه القدسية، فيشاهد أنـــوار الحـــق الحي القيوم الذي أحياه، ويشاهد دفاع الله عنه وهو في ظلمة الحشا وعنايته والكليـــة فيطـــرق رأسه دائما خوفا من جلال علاه.

---

(١) راجع ص ٨٠ من الكتاب

المعراج الثالث: أن يشهد نفسه ترابا ببطون العناصر والأرضية، فيشهده الله أنوار سره الجماع الذي جمع حقائقه وقواه، ويشاهد معاني لطفه وكرمه حيث أنبته من الأرض كشــجرة نباتيــه، وصاغه بيديه وجعله مملوء بالثمار التى هي من واسع عطاياه فلإنسان شجرة ثمارها لله المنزه عن الخواطر الوهمية، فمتى أكل العبد من تلك الثمار خرج من جنة رضاه، ففي الإنسان جمـال وسمع وبصر وروح نورانية فانسبها لله ولا تنسبها لنفسك عن كنت تخافه وتخشاه.

المعراج الرابع: أن تقرأ (أولا يذكر الإنسان أن خلقناه من قبل ولم يك شيئاً) وهى أية قرآنية، فيرجع للعدم الصرف وعند ذلك يفتح الله له الكنز الغالي فينال غناه وبالاختصار من لم يأخذ عن العارفين مات وهو مصر على الكبائر النفسية، مهما تعلم من العلوم الظاهرة وصار عظيم الجاه

إن ترد أن يكون ربك راضى — وتعافى من سائر الأمـراض
فتمسك بهدى وراث طـــه — شمس حق أبو العزائم ماضى
وتمثل كماله وتجمـــــــل — من معانيه تلق خير المراضي

كلام الأستاذ [١]

واعلم أن كلام الأستاذ بحر واسع حوى كل ما يحتاج إليه طالب الحقائق الإنسانية، ففيه الحكــم التى تغذى الأرواح بمعناها المفاض من الفتاح، وفيه الدرر التى تنور العقول فتــدرك الــدقائق الخفية، وفيه الأدوية التى تزكى النفوس وتنشط الأشباح، وفيه الكلام المبين للســير والســلوك وعقبات الطريق التى يخافها الصوفية، وفى كلامه ما يبين آيات الله وتجليات فــالق الإصــباح، وفى كلامه ما يذكر بأيام الله والمواقف الأخروية، وفيه ما يشرح أطوار الإنسان بدأ وختام، وما أودع فيه من الصلاح والإصلاح، فكلام الرجل مجموعة شاملة كلية، فيها لكل حقيقة ما يناسبها من الدواء أو الغذاء أو الإصلاح، فأعط كل إنسان ما يناسبه بقدر مواهبه الفطرية، ولا تتكلم مع لأهل العقول بكلام أهل الأرواح، فسعادة الأمة أن يكون تلاميذ الرجل حكماء لهم فراسة ذوقيــة، حتى يمكنهم أن يسعدوا الأمة بهذا الراح، وقد قال لي يا ولدى لا يضيع الرجال إلا طيش التلاميذ وترك محافظتهم على كمالاته العلمية، فقد يمدحوه فوق عقل السامع فينفر ويصير خصماً حاملاً للسلاح، وقد يقرأون الكلام الخاص بالروح عند أهل العقول فتقــع المنازعــات القويــة، وقــد يتخلقون بأخلاق شاذة تنفر من معاشرتهم قلوب أهل الإصلاح، وقد قــال الأمــام الشــافعي: إن الأمام الليث أفقه من الإمام مالك فى مواهبه الإلهية، ولكن تلاميذ الإمام الليث أضاعوه وفرطوا فى علمه وهو فى العالم مصباح فيا آل العزائم قد أعطانا الله مائدة تتسع جميع طبقات النفــوس

---

(١) راجع ص ٩٠ من الكتاب

البشرية، فيسروا على قدر العقول واتركوا المبالغة فى الأستاذ وتواضعوا حتى تنهضوا بالعالم إلى النجاح.

من كلامه فى الوحدة الإسلامية ([1])

ومن قوله رضى الله عنه:

قال صلى الله عليه وسلم: (المسلمون كالجسد الواحد) فى الرابطة والمصالح الاجتماعية، فكل العالم الإسامى كالأعضاء تساعد الجسد فى الغدو والرواح، فمنهم من هو بمنزلة الروح النورانية، ومنهم من هو بمنزلة العين النظرية، ومنهم من هو بمنزلة السمع المتلقي الأحاديث الصحاح، ومنهم من هو بمنزلة اليد أو القدم والكل له منفعة عمومية، ولكن الفرق بين الأعضاء واسع يعرفه الشراح فالظفر له منفعة، والعين لها منفعة، وشتان ما لكل من المرية فأنزل كل إنسان في رتبته لتحيى في ارتياح.

قال (ص): (انزلوا الناس منازلهم) يعني بالعدل بين البرية فاعمل بسنة طه تدخل في زمرة أهل الفلاح، واعلم إن إحسانك لإخوانك هو إحسان لنفسك إن كانت نفسك نورانية وإساءتك إلي إخوانك إساءة لنفسك فكن من أهل السماح ولو أنعم الله علي أخيك فاعتبره عضوا فيك وصلت إليه العطية فافرح به وكن في بهجة وانشراح، وإن رأيت أخا أذنب أو مرض فاشهد أنه عضو في جسدك لحقت به البلية، واطلب له من الله العفو والرضي والفلاح.

اللهم انفعنا بنصائح الأستاذ النورانية، حتي يروق لنا الشراب في الأقداح.

منهج الأستاذ في الدعوة ([ix])

إن الله وهب الأستاذ عينا في رأسه يشهد بها الآثار الكونية وعينا في قلبه يشهد بها أحوال البرزخ وما فيه من الأسرار وأعطاه عينا في روحه يشهد بها الغيوب السماوية وعينا في سره يشهد بها وجه ربه ويتنعم بالأنوار فالعارف عيونه كثيرة وأسراره خفية يطلعه الله علي أسرار الغيوب لكثيرة العبادة والأذكار فتتجلي لقبله الآخرة فيفر إليها من القواطع الدنيوية ويتجلى له جمال الله فيفر من الجنة إلي ربه الستار قال الأستاذ:

غيري يميل إلي الجنان ويرغب	وأنا الذي منها أفر وأهرب
الكل طمعا في الجنان تعبدوا	وأنا القتيل بحبه لا تعجبوا

أهل النفوس البشرية خير من ألف عالم يعظون رجلا بظواهر كلامهم ولم تظهر منهم الأسرار).

وكنت أري الأستاذ يخاطب الناس بلغة بسيطة عادية فأري كأن روحا سرت في قواهم فانشرحت صدورهم وتنوعت أخلاقهم وحنوا إلي الطاعة والأذكار، ولقد كان للأستاذ أمثلة قريبة تريح القلوب راحة كلية وذلك من علامات الميراث التام وعلو المقام قال رضي الله عنه: (إن الإنسان إذا أعطي وجهه للشمس كان ظله تابعا لحركته الشخصية، وإذا أعطي ظهره للشمس كان ظله سابقا له في الأمام فإن وجهت قلبك إلي الله كان رزقك وعمرك مثل الظل وراءك في التبعية، وإن وجهت قلبك إلي الأكوان أعرض عنك الحنان وحجبك ظل الكون عن الواحد العلام، فتوجه إلي الله تجد كل شيء ساعيا خلفك مسخرا لك بالحكمة العلية إن عملت بهذا المثل فأنت العارف المهام) وقال رضي الله عنه: (لو ألقيت للفراخ قمحا ومعه دررا جوهرية لا لتقطوا القمح وتركوا الدرر تحت الأقدام كذلك بعض النفوس لا يقدرون الحقائق لجهلهم وبمعانيها العلية، فلا تضع المعاني العالية إلا عن أهل الأفهام). وقال: (إذا وجد الإنسان جوهرة في مزبلة طأطأ رأسه وأخذها واعتبرها عطية، كذلك إذا وجد الإنسان حكمة عند أي مخلوق أخذها ولو كان دونه في المقام). وقال رضي الله عنه: (إن طريق الوصول أسس علي حديث مروي عن خير البرية، سأل رسول الله (ص) السيدة عائشة فقال لها: (متي يكون الرجل محسنا يعني مشاهدا للحضرة العلية ؟) فقالت: إذا رأى نفسه مسيئا يا سيد الرسل الكرام، فقال لها: (ومتي يكون الرجل مسيئا ؟) قالت: إذا رأي نفسه محسنا في مساعيه الكلية، فقال: (صدقت يا بنت الصديق فقد عرفت باب السلام)) فإحسان الذي يحصب من العبد إنما هو بتوفيق الله وهدايته الإحسانية، فيجب عليه أن يشكر الله علي ذلك وهو غافر الآثام فالذين شهدوا الإحسان لأنفسهم هم المسيئون في نظر الحقيقة واقعون في أوهام، قال الأستاذ: (لا تفرح بالعمل إلا إذا تحققت بقبول الله فيه من كل دسيسة نفسيه، ولا تفرح بالإخلاص إلا إذا تحققت بقبول الله فيه علي الدوام، ولا تفرح بقبول الله فيه حتى تفرح بالله الذي أقامك عاملا له بشرف العبودية، إذا عرفت ذلك رفعت لك بين العوالم أعلام).

وفاة الأستاذ (x)

دعا الرب الكريم الأستاذ إلي حضرة القدسية، فلبي بشوق وهيام وغرام، وكان أخر كلمة قالها الأستاذ وهي السند مروية تدل علي تمكنه في المكانة والمقام:

مولاي أنت وليي والوكيل فكن	عونا لنا يسرن يا سيد سؤلي
كونوا مع الله في أدواركم فعسي	أن تمنحوا فضله بالحول والطول

ولقد انتقل الأستاذ إلي رحمة الله الواسعة ونفسه راضية مرضية وذلك سنة ١٣٥٦ في يوم ٢٨ رجب علي التمام فيكون عمره المبارك سبعون عاما قمرية ملأ فيهـا أطبـاق الأرض علمـا، وطوايا القلوب بالأسرار والحكم والأحكام.

الخاتمة (١)

كان الأستاذ من أكمل المتأدبين مع الله ورسوله وأهل المقامات العلية، وأنه هو الخائف من الله المراقب لعظمة ذي الجلال والإكرام، وأنه هو من أكبر نعم الله وأعظم هدية، وأنه نفحـة مـن رسول الله للإسلام، فابحثوا عن أقواله فهي كالكواكب الدرية، واحفظوها من الجهال فإنهم عـن الحقائق نيام.

شيخ الطريقة العزمية

السيد محمد علاء الدين ماضي أبو العزائم

تطلب مؤلفات الإمام المجدد

عليه السلام السيد محمد ماضى أبو العزائم

من مكتبة دار الكتاب الصوفى

002 022 3901030 تليفون المكتبة

١١٤ش مجلس الشعب

فى جانب تفسير القرآن :

١ – هذا السفر الجليل " أسرار القرآن ".

٢ تفسير سورة القدر.

فى جانب العقيدة :

١- كتاب عقيدة النجاة .

٢- كتاب الإسلام دين الله وفطرته التى فطر الناس عليها.

فى جانب العلوم الفقهية:

١- كتاب أصول الوصول لمعية الرسول ﴿ﷺ﴾ وآله.

٢- صيام أهل المدينة المنورة.

٣- هداية السالك إلى علم المناسك .

فى جانب السيرة النبوية والرد على المستشرقين:

١- سيرة النبى ﴿ﷺ﴾ وآله

٢- وسائل إظهار الحق .

فى جانب ما يجب أن يعرفه المسلم :

١- النشأة الثانية.

٢- الوسيلة وما إختلف فيه من السنة والبدعة.

٣- الشفاء من مرض التفرقة.

٤- الجفر.

٥- تحذير الدين من بيع أراضى فلسطين.

٦- النور المبين لعلوم اليقين ونيل السعادتين.

٧- الرد على نظرية دارون.

فى جانب الأخوة الإسلامية :

١- الإسلام نسب يوصل إلى رسول الله ﴿ﷺ﴾ وآله.

٢- الإسلام وطن والمسلمون جميعا أهله.

فى جانب المناسبات الدينية :

١- السراج الوهاج فى الإسراء والمعراج

٢- بشائر الأخيار فى مولد المختار

٣- مشارق البيان فى فضائل شعبان

٤- لبيك اللهم لبيك.

فى جانب المسرحيات الدينية :

١- محكمة الصلح الكبرى.

٢- العالم والتاجر والفلاح.

٣- المقتصد والمسرف والفاسد.

٤- السياسى والحكيم والغشيم.

٥- الصالح واللص والسكرى.

فى جانب الصلوات والأدعية :

١- نيل الخيرات بملازمة الصلوات.

٢- الفتوحات الربانية والمنح النبوية فى الصلاة على خير البرية.

٣- الأدعية والاستغاثات الكبرى.

فى جانب التصوف :

١- شراب الأرواح من فضل الفتاح.

٢- تذكرة المرشدين والمسترشدين.

٣- معارج المقربين.

٤- الطهور المدار على قلوب الأبرار.

٥- من جوامع الكلم.

٦- الطريق إلى الله تعالى.

٧- الفرقة الناجية.

٨- دستور السالكين طريق رب العالمين.

٩- دستور آداب السلوك إلى ملك الملوك.

١٠- مصطلحات الصوفية

١١- آداب أل العزائم

١٢- دروس تزكية النفوس

١٣- موارد أهل الصفا

١٤- قبس من المضنون

١٥- الصوفية والتصوف

فى جانب المواجيد:

١- مواجيد شهر محرم، صفر، ربيع أول، ربيع آخر، جماد أول، جماد آخر، رجب، شعبان، رمضان.

٢- المواجيد العزمية فى مواجهة الروضة الحسينية.

٣- ديوان ضياء القلوب من فضل علام الغيوب.

الفهـــــرس

الموضوع		رقم الصفحة
مقدمة الكتـــــاب		
	الرسالة الأولي **منهج التربية عند الإمام** **السيد محمد ماضي أبي العزائم**	١
المقدمـــة		٢
البـــاب الأول	حياة الإمــام المجــدد ووسائل تربيتــه	٣
	الفصل الأول: مع الإمام في حياته ونشأته	٤
	الفصل الثاني: التربية عند الإمام أبي العزائم	١٧
	الفصل الثالث: وسائل التربية عند الإمام ابي العزائم	٢٣
الباب الثانـــي	ميادين التربية عند الإمام أبي العزائــم	٢٦
	الفصل الأول: التربية النفسيـــــــة	٢٧
	الفصل الثاني: التربيـــة العقليـــــة	٣٥
	أصـــول وآثـــار في التربيـــة العقليـــة	٤٤
	الفصل الثالث: التربية الأخلاقيـــة	٥٢
	الفصل الرابـع: التربيـــة الروحيـــة	٦٢
	الفصل الخامس: التربية الاجتماعيـــة الإمام أبو العزائم والإصلاح العام في المجتمع الإنساني	٧٥
الخاتمـــة		٧٨
	الرسالة الثانيـــة **النثـر الصوفـي عند كتاب مصر المحدثيـن**	٨٠
المقدمـــــة		٨٣
الباب الأول	موضوعـــات النثـــر الصوفــــي	٨٧
	تمهيـــــــــــــــــــــــــد	٨٧

	الفصل الأول: الصوفي والوجـــــــــــــود	٩٣
	الفصل الثاني القلب وأدابـــه عند الصوفيــــــة	٩٨
	جهاد والنفس عند الصوفيــــــــــــــــة	١٠٠
	الذكـــــــــــــــــــــــــــــر	١٠٤
	الصوفيـــــة والعلـــــــــــــــــم	١٠٨
	الفصل الثالث: الحـــب الإلهـــــــــــــي	١١٠
	الفصل الرابع: الجوانب الاجتماعية للنثر الصوفـــي	١١٤
البـــاب الثانـــي	البناء الفنـــي للنثـــر الصوفـــــــــــي	١١٨
	الفصل الأول: فنـــون النثـــر الصوفـــــــي	١١٩
	القصـــة الروائيـــة للإمام ابي العزائـــــــم	١٢٥
	المقـــال في الأدب الصوفـــــــــــــي	١٣٤
	الحكمـــــة عند الصوفيـــــة المحدثيـــــــن	١٣٧
	أداب الدعـــاء والمناجـــــــــــــــاة	١٣٩
	الرسائل الصوفيـــــة الحديثـــــــــــــة	١٤٤
الفصل الثانـــي	التجربـــة الصوفيـــــــــــــــــة	١٥٧
الفصل الثالـــث	الفكـــرة وسماتهـــا الفنيـــــــــــــة	١٥٩
الفصل الرابـــع	التصويـــــــــــــــر الأدبـــــــــي	١٦٢
الفصل الخامـــس	الموازنـــــة بين النثـــر الصوفي القديـــم والحديث	١٧١

رقم الصفحة

الرسالـة الثالثـــة ١٨٣

آثـار الإمام ابو العزائـم الشعريــــــة

تمهيـــــــــــــــد ١٨٥

الفصل الأول: أثـــر الإمام المجـــدد علي الحياة السياسية في عصـــره ١٨٦

الفصل الثاني: ملامح شخصية الإمام المجدد وثقافته ١٩٠

الفصل الثالث: مصادر القصائـــد وحجمهـــــــــــــــا ٢٠١

الفصل الرابع: أغراض القصائـــــــــــــــــــد ٢١٢

الفصل الخامس: الخصائص الفنيـــة في قصائـــد الإمام أبي العزائم ٢٣٣

الرسالـة الرابعـــة

الإمام محمد ماضي ابو العزائـــم

ودوره في التصوف الإسلامـــــــــــــــــــي ٢٥٦

الباب الأول — حيـــاة الإمام أبي العزائـــــم وعصـــــــــــــــره ٢٥٨

الفصل الأول — الجوانـــب التاريخيـــة والحضاريـــة من حياة الإمام أبي العزائـــم ٢٥٩

الفصل الثانـــي — مؤلفات الإمام المجـــدد ابي العزائـــم واتجاهـــه الفكـــري ٢٨٢

الباب الثاني — المنهـــج عنـــد الإمام أبي العزائـــــــــم ٣٠٧

الفصل الأول: بدايـــات الطريق الصوفي عند الإمام أبي العزائم ٣٠٧

الفصل الثاني: المقامات والأحوال ٣١٤

الفصل الثالث: ثمرات المنهـــج عند الإمام أبي العزائـــم ٣٢٩

الباب الثالـث : دور الإمــام أبي العزائــم في التصوف ٣٣٥

الفصل الأول: نقــدِ الإمام ابي العزائــم لأدعياء التصوف ٣٣٦

الفصل الثاني: الإصلاح عند الإمام أبي العزائـــــــم ٣٤٥

دستور الطريقــة العزميــة وقواعــد تنظيمهـــــا ٣٤٧

أهــداف الطريقــة العزميــة وجماعــة آل العزائــم ٣٥١

نشاطات الطريقــة العزميــة واثر ذلك في انتشارهـــــا ٣٥٢

جهــود الإمام أبي العزائــم في التربيــــــة

الخاتمــــــــة ٣٦٥

كتاب الســر الأعظـــــــم ٣٦٨

للدكتــــور مصطفي محمــــــود

المقدمــــــــة ٣٧٠

الهــــــــــــــــو ٣٧١

الأنــــــــــــــــا ٣٧٦

المشهــد التوحيــدي وكشف الحجــــاب ٣٨٩

الحــــب الإلهــــــــــــــي ٣٩٧

المصيــــــــــــــــر ٣٩٨

الخاتمــــــــــة ٤٠٢

كتاب المواهب الإلهيــــة ٤٠٣

لفضيلــة الشيــــخ

أحمــد سعــــــد العقـــــاد

المقدمـــــــــة ٤٠٥
سيــرة الإمام السيــد محمد ماضي ابو العزائـــــــم ٤٠٧
جمـــــالات الرجــل وكمالاتـــــــــــه ٤١١
يــوم من حيـــاة الإمـــام أبي العزائـــــــــــم ٤١٥
طريقــة الإمـــام أبي العزائـــم وكلامـــــــــــه ٤١٧
منهـــج الاستاذ في الدعـــــــــــوة ٤٢٢
وفاة الاستـــــــــــــــاذ ٤٢٤
الخاتمـــــــــة ٤٢٥
شكـــر وتقديـــر ٤٢٦
الفهـــــرس ٤٢٧

تم بحمد الله توفيقه

كتاب بحوث ورسائل علميــة عن الإمام المجــدد	٣٠٨ صفحـــــة
مذكـــــرات مستـــر همفــــر	٦٨ صفحــــة
المجمــــــوع	٣٧٦ صفحـــــة

راجع ص٩ من الكتاب

[٢] - راجع ص ١٠ من الكتاب

() راجع ص ١٢ من الكتاب

[1] راجع ص ٢٥ من الكتاب

[1]

[1] راجع ص ٤٠ من الكتـــاب

[1] راجع ص ٤٢ من الكتـــاب

[1]

[1] راجع ص ٥٣ من الكتـــاب

[1] راجـــع ص ٦٦ من هذا الكتـــاب.

() راجع ١٠٨

([1]) راجع ص ١٢٠ من الكتـــاب

[1] راجـــع ص ٢٨- ٢٩-٣٠-٤١ من هذه الرســـالة.

([1]) راجـــع ص ٥٦ من الرســـــالة

[1] راجـــع ص ٦١ من الرســـــالة.

[١] راجع ص ٦٨ من هذه الرسالــــــة.

[١] راجـــع ص ١١٥ من هذه الرسالــــــة.

[١] راجـــع ص ١٢١

[1] راجع ص ١٥٨ من الرسالــــــــــة

[1] راجـــع ص ١٨٣ من الرسالــــــة

[1] راجـــع ص ٢٥٢ من الرســـــالة

[١] للإمام ابي العزائم رضي الله عنه كتاب جامع للحكم،.. وهو (من جوامـــع الكلم)

[١] راجـــع ٣٢ من الرســـــالــــــــة

[١] راجـــع ص ٣٢٨ من الرسالـــــــــة

[1] راجـــع ص ٣٦١ من الرسالـــة

[1] راجع ص ٦٩ من الرسالـــة

[2] راجـــع ص ٧٠ من الرسالـــة

[1] راجـــع ص ٧٢ من الرســـــالة

[1] راجـــع ص ٧٨ من الرسالـــــــــة

[1] راجـــع ص ٨٨ من الرسالـــــــة.

[ii] راجــع ص ١٨٤ من الرســالــة
[١] راجــع ص ٢١٤ من الرسالــــة
[٢] راجــع ص ٢٣٣ من الرسالــــــة
[١] راجــع ص ٢٥٠ من الرســـالة
[٢] راجــع ص ٢٦٠ من الرسالـــة
[١] راجــع ص ٢٦٦ من الرسالـــة
[١] راجــع ٢٨٠ من الرسالــــــة
[١] راجــع ص ٢٩ من الرسالـــة
[١] راجــع ص ٣١٤ من الرسالـــــــة
[1] راجــع ص ٣٨٩ من الرســالة
[1] راجــع ص ٤١٠ من الرسالــــة
[1] راجــع ص ٤٢٩ من الرسالـــة
[1]راجــع ص ٨ من الرسالـــة
[1] راجــع ص ١٣ من الرسالـــة
[2] راجــع ص ١٣ من الرسالـــة
[1] راجــع ص ١٧ من الرسالـــــة
[2] راجــــع ص ١٨ من الرسالـــة
[1] راجــع ص ٢٧ من الرسالـــة
[3] راجــ ص ٢٨ من الرسالـــة
[1] راجــع ص ٤٠ من الرسالـــة
[1] راجــع ص ٥٥ من الرسالـــة
[1] راجــع ص ٦١ من الرسالـــة
[1] راجــع ص ٦٧ من الرسالـــــة
[1] راجــع ص ٧٧ من الرسالـــة
[1]راجــع ص ٨٣ من الرسالـــــة
[١]– راجع ص ٩٣ من الرسالة
[٢]– راجع ص ٣٦١ من الرسالة
[١]– راجع ص ١٨٣ من الرسالة
[١]– راجع ص ٤٠٦ من الرسالة.
[٢]– راجع ص ٤٠٧ من الرسالة.
[viii] راجع ص ١٠ من الكتاب
[١] راجع ص ٤٥ من الكتاب
[١] راجع ص ٩١ من الكتاب
[ix] راجع ص ١٠٢ من الكتاب
[١]– راجع ص ١١٠ من الكتاب.
١ راجع ص ١١١ من الكتاب.